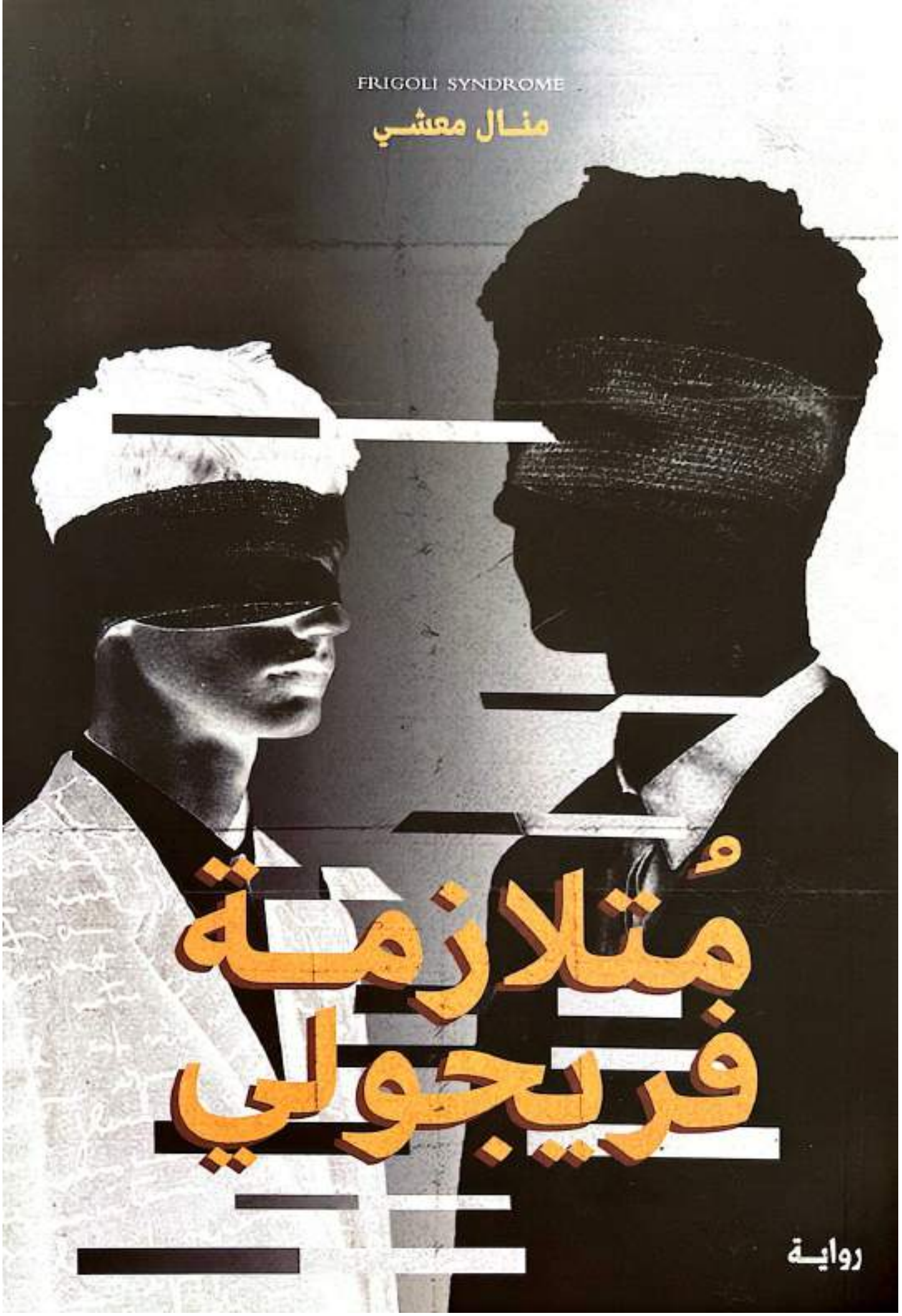



Scanned with CamScanner

هل تؤمن بالصُّدفة؟!..

لكني لا أومن بها..

أؤمن أن الخضر يتجول بيننا، يخرق سفينة هذا ويقتل حبيب آخر، ويبني القلاع لآخرين!

أؤمِنُ أنه..

لم يحرك إخوة يوسف من فلسطين لمصر الجوع فقط!

ولم يكن قذف أمواج نهر النيل الطفل موسى لقصر فرعون حادثة فقط؟!

لا يوجد في القدر صُدفة أو خطأ.. إنها حكمة فقط..

حتى وجود هذا الكتاب بين كفيك الآن.. ليس صُدفة.



Scanned with CamScanner

# متلازمة فريجولي
# الموسم الأول



Scanned with CamScanner

# الفصل الأول

اليوم 5مايو - ٨صباحاً -

بدا التأفف على ملامحه وهو يسير بخطوات متثاقلة إلى حيث حجرة (فارس) مريضه الأول في أكبر مستشفىً للطب النفسي بالعاصمة وبين كفيه استقر ملف ضخم يشرح حالة (فارس) بأكملها مُنذُ دخوله المستشفى في سن التاسعة وإلى هذا اليوم..

«ما مشكلة هذا المستشفى؟.. كيف يسندون حالة مرضية نادرة الحدوث لمستجد مثلي؟!.. وأيضاً دون طبيب مختص مسؤول؟!»

أوقف خطواته ورسم وجهه كل تعابير الحيرة.. بل الحمقى كيف قبلوا به موظفاً لديهم إن لم يكن هناك طبيب سيُشرف عليه ويدربه هو الآخر؟!

أخذ نفساً عميقاً في محاولة لتمالك أعصابه الثائرة قبل أن يتذمر بصوته الأبحّ وعسليتاه تسقطان مجدداً على الملف:

«ألا يوجد بقائمتهم مضطرب نفسي مُقعد!.. مُسن!.. ولا بأس بالعجائز حتى.. المهم شخص بالكاد يتحرك.. سحقاً.. هذا ما كان ينقصني.. التعامل مع المراهقين المرضى نفسيّاً.. »

زمّ شفتيه وتابع خطواته الضجرة نحو حجرة مريضه، كان



Scanned with CamScanner

مظهره في أول يوم عمل له بغاية الأناقة.. بمعطفه الطبي الناصع البياض الذي انتهى طوله فوق ركبتيه بعدة سنتيمترات.. ومن تحته برز بنطاله الأسود المكويّ بعناية..

رفع يده ليزيح خصلات شعره الكستنائية عن عينيه العسليتين في توتر ملحوظ وهو يقف أمام باب الحجرة المقصودة أخيراً..

«طبيب نادر.»

التفت للخلف بحنق لوصفهم له (بالطبيب) ليرى جمعاً من الممرضين وعاملي المستشفى الذين رفعوا أيديهم ملوحين له من بعيد..

عقد حاجبيه في استغراب وأحدهم يشجعه من البعيد بنبرة ساخرة:

«حظّاً موفقاً معه.»

هذا ما كان ينقص (نادر) فقط ليرتفع منسوب غضبه لأقصاه، فقد أصبح موطن سخرية من الأطباء والعاملين القدامى بسبب توليه لحالة هذا الفتى ذي المرض الغريب، بينما شد أحد عاملي التنظيف على مكنسته وهو يقترب من الحجرة هامساً بلهفة:

«لن يفوتني هذا الحدث أبداً.. فقد فوته في المرةِ الماضية.»

الجميع بلا استثناء كانوا يقفون فقط ليروا ما سيحدث عند دخوله لحجرة فارس وكأنهم اعتادوا طقوس اللقاء الأول بين هذا



Scanned with CamScanner

المريض وأطبائه المتعددين..

زفر نادر بغيظ ويده تمتد لمقبض الباب ثم فتحه بهدوء ليظهر له من خلف الباب فتىً في السابعة عشرة من عمره ذو شعر كثيف حالك السواد بدت الوسامة في كل جزء منه، كان يجلس جوار النافذة المغلقة بأسوار حديدية يرقب السماء الزرقاء الصافية..

«السلام عليكم ورحمة..»

نطق نادر وهو يتقدم أكثر نحوه لينتبه الفتى لوجوده فالتفت إليه بعينين زرقاوين متسعتين خوفاً، جعلتا نادر يحرك كفيه محاولاً تهدئته:

« أنا المسؤول الجديد عن حالتك.. أُدعى نادر.. سأتولى علاجك بدءاً من اليـ.. »

بتر عبارته وابتسم ساخراً من نفسه القليلة الحظ فقد وقف الفتى فجأة لينقلب المقعد من خلفه وهو ينظر نحوه بعينين مفزوعتين غشاهما الظلام وجسده يرتد للخلف ليلتصق ظهره بالحائط..

« أنا شخص آخر.. أنا نادر.. نادر.. ولستُ من تظنه. »

ورغم صياح نادر اليائس إلا أن الدموع غشت عيني الفتى قبل أن يفاجأ الجميع بحمله للمقعد للأعلى ثم رمى به نادر بكل قوته..

ومن خلفهما ابتسم المتجمهرون وأحدهم يهتف مستمتعاً:



Scanned with CamScanner

«ها قد بدأ العرض».

***

_ ٨:٣٠ صباحاً _

« أي جنون يحدثُ هنا؟! »

تابع رئيس الأطباء اختراقه لصفوف المتجمهرين من أطباء وممرضين وعاملي المستشفى وهو يصرخ بتساؤله المستنكر دون أن يجد رداً من موظفيه الذين سدوا مدخل حجرة فارس التي علَت فيها الجلبة..

« كما قالوا عنه تماماً.. عنيف ووسيم. »

همست إحدى الممرضات بعبارتها، وعيناها تراقبان ما يحدث في الداخل، حيث علَت صرخات فارس وكفه القابضة على قلمه الرصاص تحاول إيجاد طريقها لصدر نادر الذي قيّد بكلتا يديه ذراعي فارس وراح يقاومه في استماتة صارخاً:

« اهدأ.. اهدأ. »

إلا أن نوبته كانت شديدة العنف مما سبب ضغطاً هائلاً على نادر الذي احتقن وجهه من فرط بذله لأقصى قوته كي يمنعه من أن يجرحه بطرف قلمه الرصاص الحاد، وزاد الأمر سوءاً حين انحنى فارس فجأة على ساعد نادر ليعضه بقوة..

« الوغد.. هل يظن نفسه كلباً؟! »



Scanned with CamScanner

آهة متألمة خرجت من بين شفتي نادر وأنياب فارس تُغرس في ساعده أكثر وأكثر واكتنف رأسه ألم شديد إثر الشجة التي سببها المقعد الذي ارتطم سابقاً برأسه..

ورغم ازدياد الصراع سوءاً لم يفكر أحد المتجمهرين بتجاوز عتبة الباب ليفصل بينهما مما زاد من غضب وغيظ نادر ليجد نفسه يتصرف بعنف هو الآخر، فقد اشتدت أصابع كفه بغتة لِتُغرس في ساعد فارس الذي صرخ متألماً وقلمه يسقط من بين أصابعه..

وقبل أن يرد فارس ضربته له، دفع نادر رأسه بقوة مُبعداً إياه عن ساعده ثم لوى ذراعه للخلف مما أجبره على أن يستدير نصف استدارة جعلت ظهره مقابل صدر نادر الذي ابتسم بظفر قائلاً:

« لا أظن الحائط ضمن مُثيرات مرضك المزعج »..

وعلى الرغم من أن النافذة والحائط هما الوحيدان اللذان أصبحا في مدى رؤية فارس إلا أنه واصل حركته وصراخه وهو يعيد جسده للخلف ملتصقاً بصدر نادر محاولاً إسقاطه معه للخلف _ رغم قصر قامته مقارنةً بقامة نادر الفاره الطول _ مما دفع نادر ليدفعه بقوة وغلظة للأمام كي لا يسقط ولكن لم يكد يفعل ذلك حتى صدرت شهقة عالية من بين شفتي فارس تنم عن تألم بالغ وتراخى جسده أمام نادر الذي ارتفع حاجباه دهشةً..



Scanned with CamScanner

وأمام عينيه المتسعتين تهاوى جسد فارس على الأرض وغطت خصل شعره السوداء عينيه الزرقاوين اللتين تدفقت منهما دموع غزيرةٌ وكلتا كفيه تقبض على جانب ظهره حيث تلقى دفعة نادر..

تراجع نادر للخلف وعيناه تُحدقان بقبضته فهو بحق لم يقصد إيلامه إلى هذا الحد ولكن تلوي فارس على الأرض وشهقاته العالية تُنبئه بالعكس..

كان لا يزال بعمق صدمته حين دخل فجأة أربعة من العاملين إلى الحجرة.. بدا من هيئتهم الضخمة وعضلاتهم البارزة من أسفل ردائهم الطبي أنهم المختصون بمثل هذه الحالات من تمرد المرضى، وأمام عيني نادر انحنوا نحو فارس ثم قيدوا أطرافه الأربعة ورغم بكائه العالي وصرخاته بهم إلا أنهم جروه نحو سريره المستقر في زاوية الحجرة ثم استخرجوا من أسفل الفراش أغلالاً متينة، استخدموها في تقييد ذراعيه وقدميه، ورغم تعطيلهم لحركته إلا أنه لم يتوقف عن نشيجه الباكي وصراخه:

« لا... يُـؤ... يـ.. يؤلم. »

صوته المتقطع بدا لنادر وكأنه صوت طفل للتو تعلم النطق أو.. فتىً لم ينطق منذ سنوات عدة..

« اخرج. »



Scanned with CamScanner

مزق شـــروده صـــوت رئيس الأطباء الغاضـــب الذي دخل الحجرة وقد عكســـت عيناه نظرة ناقمة عليه وهو يتفحصـــه من رأســـه لأخمص قدميه، فرفع نادر يده ليضـــغط على رأســـه فتلك الضـربة من المقعد ما زالت تؤلمه بينما أشـارت إبهامه نحو فارس سائلاً:

« كيف استطعتم التعامل معه كل هذه السنوات؟!! »

ازداد انعقاد حاجبي رئيس الأطباء بشـدة مما أشـعر نادر وكأن سؤاله كان خطأً وازداد يقينـاً حين أجابه بحدة:

« أنت لست هو.. هناك خطأٌ ما »

ثم أشار لباب الخروج آمراً:

« مدير المستشفى هو من أرسلني.. إنه بانتظارك. »

قفزت ابتســـامة خبيثة لشـــفتي نادر فما دام ســـيلتقي بمدير المستشفى فهو لن يخرج من عنده حتى يتخلص من هذا المريض فمســـتجد مثله يجب أن يتم تكليفه بأبســـط الحالات، وبخطوات متحمســـة غادر الحجرة شـاقّـاً صـفوف المتجمهرين لتلتقط أذناه حديثهم المتحمس عن فارس:

« إنها المرةُ الأولى التي أراه فيها منذ دخوله المستشفى. »

« مُدلل مثله كالألماس.. لن تحظى برؤيته إلا في الأحلام.. »

« أنا مســـتعد لتولي حالته ومحاولة علاجه علّي أفوز بعدة



Scanned with CamScanner

ملايين من أموال وصيّه.»

« وصـيّه؟!.. أيها الأحمق الفتى نفســه ملياردير.. يكفي ما سيعطينا هو إذا تحسن. »

ملأ وجه نادر امتعاض شـديد لحديثهم العديم الفائدة، فلماذا إذاً لم يريحوه مسبقاً ويتولوا هم حالته العَصيبة!

« صـبي يافع مثله يملك كل شـيء من الحداثة والوسـامة والمال.. أشعر بالأسف تجاهه أن يكون مثله مريضاً. »

تجعد أنف نادر تقززاً من الممرضـة الصـغيرة السـن والجميلة التي همست بعبارتها السابقة وعيناها تتفحصان الفتى بنظرة بذيئة جعلته يهمس بدوره وهو يمر بها:

«علمتُ الآن لمَ حظروا اقترابكم من حجرته.. تبّاً.. أنتم أشـد خطراً من مرضه نفسه..»

احمَرَّ وجه الممرضـة حرجاً ومطت شـفتيها غضـباً وهي تلتفت نحوه لتراه يبتعد بعد أن فجر كلماته كقنبلة في أذنيها..

* * *

- ٩:١٥ صباحاً -

« لا أُريد علاج هذا المجنون. »

صـرخ نادر بلهجة غاضـبة وعيناه تحدقان بمدير المسـتشـفى الذي تجاوز العقد الخامس من عمره والذي تنهد بتعب قبل أن



Scanned with CamScanner

يتقدم للأمام ليتكئ بمرفقيه على مكتبه الفخم وأسند ذقنه على قبضتيه المضمومتين وعيناه تتفحصان نادر من رأسه لأخمص قدميه بشكلٍ مستفز..

وحين لم يجد نادر لكلماته أي أثر؛ اقترب منه أكثر مشيراً لجرح جبهته المتورم ومحركاً معطفه الطبي الرث وهو يصيح:

« لقد رماني بمقعد حديدي أصاب رأسي قبل أن يقفز فوقي محاولاً إيذائي بقلمه الرصاص وحين قيدتُ حركته راح يصرخ ويصرخ ثم عض ذراعي ككلب متشرد لم يذق طعاماً منذ دهر.. سحقاً له ولمن رباه.. إنه همجي أرعن.. »

وأطبق شفتيه عن شتيمة هي الأسوأ، بينما تجهم وجه مدير المستشفى وجسده المكتنز المحشور بالمقعد يهتز إثر محاولته النهوض سائلاً:

« ألست نادر عبد المجيد؟ »

هدأ غضب نادر وهو يجيب مستغرباً سؤاله:

« بلى.. أنا نادر عبد المجيد. »

« ولكنك تعلم حالته بالكامل قبل قدومك للمستشفى!.. أعني عن مدى عنفه وغرابة مرضه وقد قبلت.»

« أي هراء هذا؟!.. كلا.. لم ينبهني أحد لذلك.. ولم أعلم أنه سيكون مريضي إلا قبل ساعتين من الآن.. بل وناشدتهم أن



Scanned with CamScanner

أوظف للعناية بمسن خرف.. موسوس.. حتى لمضطرب البوليميا إلا أنهم تجاهلوا حقيقة أني أخصائي نفسي ولست طبيباً.»

اتسعت عينا المدير بالكامل وتحركت شفتاه مكررتين بصدمة: (أخصائي نفسي.).. وظل متجمداً لعدة ثوان قبل أن ينهض على عجل ليسحب ملف نادر من الخزانة المجاورة له، ثانية فقط وصاح ملء فمه تفاجؤاً:

« أنت لست طبيباً!. »

« نعم.. هذا ما قلته سابقاً.»

رد نادر براحة وقد تأمل أخيراً تحقيق مطلبه، إلا أن جسد مدير المستشفى الممتلئ ارتج بشدة وهو يقف في وجهه صائحاً:

« تبّاً.. لم تكن أنت المختص بحالة هذا الفتى. »

وعلى الرغم من كلماته الغريبة إلا أن نادر لم يلتقط منها سوى عبارتهِ الأخيرة فقال بارتياح:

« هذا جيد.. إذاً قُضي الأمر لن أتولى مسئوليته أبداً وعلى لمختص بحالته أن يُسرع بالمجيء. »

لم يفهم نادر سر نظرات المدير المنزعجة وهو يسأله مجدداً:

« كيف تم توظيفك هنا؟! »

عدل نادر من وضع معطفه المجعد وراح ينفض الغبار عنه



Scanned with CamScanner

مجيباً بهدوء:

« لقد وضعتُ أوراقي حيث قسم التوظيف وتم الاتصال بي.. هذا كل ما في الأمر. »

« الحمقى خلطوا بينك وبين الآخر. » زمجر بغضب ثم استطرد بحزم:

« سيتم إنهاء عقدك إذاً. »

صدمة قوية غطت وجه نادر بعد عبارة المدير القاسية اللامبالية به بل التقط هاتفه على الفور مشيراً له بكفه ليخرج وهو يستطرد:

« ما حدث اليوم ستتلقى أجره كاملاً وتعويضاً عن كل ضرر. »

لم يكن هذا ما أراده نادر أبداً، أراد فقط إفراغ غضبه والتخلص من مريضه الأول ليجدهم يسلبونه فجأة وظيفته.. اتسعت عيناه وانقبض قلبه وراح يهتف في توتر:

« لم أكن أعلم أن الأمر سيزعجك إلى هذا الحد.. لقد كُنتُ ثائراً فحسب.. أعتذر عن.. »

أخرس كلماته المتبقية إشارة محتدة من عيني المدير حين تناهى لسمعه صوت محدثه على الهاتف فراح يسأله في لهفة عن سبب عدم وصول الطبيب المسؤول نادر عبد المجيد..

مط نادر شفتيه وغشى الضيق قلبه فهذا المدير المتعجرف لم يفكر به إطلاقاً بل وبكل وقاحة راح يسأل عن بديله.. أدرك نادر



Scanned with CamScanner

عندها أنه سيئ الحظ بدءاً من مريضه إلى رحيل وظيفته المحترمة..

تذكر فرحة والديه الشديدة به بعد أن أبلغهما بحصوله على وظيفته الأولى بالمستشفى، بل وتخيلهما أمام عينيه يلتقيان بأهل قريته ليفتخرا أمامهم أن ولدهما العديم الفائدة قد أصبح كما تمنيا (طبيباً!)..

كان ما حصل عليه مجرد عقد ولمدة عام كامل يُتيح له كسب المال إضافة لشهادة خبرة من هذا المستشفى الشهير..

الآن أدرك كيف حصل كسول وعابث مثله على وظيفة في أرقى وأكبر مستشفيات العاصمة!.. الأمرُ كان محض خطأٍ فحسب.. فمن سيقبل بشاب مثله يُعدُّ الأدنى في دفعته من حيث مستواه؟!..

« ستة أشهر!!.. ستة أشهر!!.. تبّاً لك.. لم يُصبه حادث مروري إلا في هذا اليوم!.. كيف ستتعامل إذاً مع المريض ما دام طبيبه المختص لن يخرج من المستشفى إلا بعد ستةِ أشهر؟! »

صرخ المدير بجزع ووجهه يحتقن بدماء الغضب ويبدو أن محدثه كان قليل الحيلةِ مثله فما حدث كان مفاجئاً..

بصيص من الأمل لاح لنادر وهو يرى المدير يضرب بهاتفه على المكتب في ثورة مخيفة صارخاً:



Scanned with CamScanner

« ماذا سـأقول لعمه؟!!.. سـحقاً.. يا لها من مصـيبة أوقعنا أنفسنا بها. »

عدل نادر ياقته وشد قامته ثم اقترب منه قائلاً بابتسامة:

« يمكنني تولي حالته. »

لم يصـدق المدير ما سـمعه فرفع عينيه المحتدتين نحوه فقد كان قبل خمس دقائق من الآن يرج جدران هذه الحجرة بصـراخه الغاضـب ورفع يده ليطرده فقد بدا له أن شـخصـاً كنادر يصـعب ضـبطه داخل دائرة عمله ولكن سـرعان ما تبدد تفكيره هذا حين قال نادر بعزيمة صادقة:

« ولستةِ أشهر فقط.. إلى حين عودة طبيبه المختص. »

ارتخت ملامح المدير وجلس على مقعده سائلاً بحذر:

« لماذا؟!.. ألم تكن ترفض تولي حالته قبل خمس دقائق من الآن؟!.. كما أنك أخصائي نفسي ولست طبيباً حتى؟! »

دلك نادر خلف عنقه وابتسم بارتباك:

« ذلك كان قبل خمس دقائق.. والوضـع الآن أصـبح مختلفاً، أنا أُريد ورقة خبرة من هذا المستشفى الشـهير.. وأنتم بحاجة إلى مسؤول عن مريض واحد.. إنها مصالح متبادلة. »

عقد المدير حاجبيه وبدا غارقاً في تفكير عميق وعيناه تجوبان ملامح نادر المشجعة له ليوافق، قبل أن يلتقط أوراق نادر من فوق



Scanned with CamScanner

المكتب وراح يقرؤها في تركيز شـديد جعل نادر يبتلع ريقه في توتر.. فمن سيقبل في مستشفاه بمثل مؤهلاته المتدنية للغاية!!.. بل والأسوأ هو لا يملك أي خبرة سابقة.. سيرفضه بالتأكيد..

وبعد عدة دقائق أشبه بالدهر لنادر رفع المدير رأسه وظل صامتاً لثوانٍ يدرس الأزمة التي وقع بها ومدى أثرها على علاقته بوصيّ فارس ثم.. هز رأسه أخيراً بالإيجاب ليبتسم نادر ببهجة.. وفي أعماقه شعر بالصدمة ففارس من كان سبب بؤسه قبل قليل أصبح سبب سعادته الآن..

أشار له المدير ليجلس قائلاً بحزم:

« ولكن هناك بعض الشروط عليك سماعها أولاً قبل أن نتفق.»

أسرع نادر يجلس قائلاً بحماس: « جميعها مقبولة. »

ابتسم المدير برضاً كبير ثم راح يشرح له تلك الشروط التي جعلت وجه نادر يمتقع بشدة إلا أنه لم يعارض ولا شرطاً واحداً منها فهي لا تضره أبداً بل توفر له كل سبل الراحة في هذا المستشفى الذائع الصيت..

ولكن لم يكد يصل المدير بحديثه إلى أهمها حتى انفرجت شفتا نادر وبدا استيعابه لما يُقال له غير متزن فكرر المدير في تأكيد:



Scanned with CamScanner

« احرص جيداً على أن لا يقتل الفتى نفسه. »

***

ـ ١١:٠٠ مساءً ـ

هبط الليل بظلامه وغرقت شوارع العاصمة تحت وقع تلك الأمطار التي استمرت لساعاتٍ عدة.. وفي شقة صغيرة بأحد مباني العاصمة القديمة ظلت قطرات المطر -المرتطمة بزجاج نافذة حجرة نادر- تُزعجه فوضع الغطاء فوق جسده بالكامل محاولاً النوم.. ومرت الدقائق تتلوها الساعات قبل أن يستوي جالساً..

ولم يستطع أن يكذب على نفسه فلم يكن المطر هو السبب الرئيس في انزعاجه بل ذلك الحظ السيئ الذي قاده ليقبل بعلاج ذلك الفتى العنيف والهمجي فارس..

كان يُدرك أن مسألة علاج مرضه النادر والغريب مفروغ منها، فهو طوال دراسته لم يسمع إشارة محفزة واحدة تُبشر بأن مثل هذا المرض قد تم علاجه بل كل ما كان يعرفه عنه أنه على مر الزمن لم يصب به في العالم سوى أشخاص لا يتجاوزون الأربعين.. وفارس هو الوحيد في عصره الآن!

بل أولئك المرضى بفترة علاجهم التجريبية لم يُعتمد أي دواء لمرضهم.. وهذا ما جعله يرفض سابقاً تولي مسئوليته فهو لا يريد أن يبدأ وظيفته الثقيلة بفشل محسوم يجر شؤماً عليه لما



Scanned with CamScanner

تبقى من حياته..

تنهد بتعب قبل أن يضغط بأطراف أصابعه جانبي جبهته في ألم من صداع شديد زاد من حدته أن نفسه التي لم تتقبل علاج المرض الغريب لم تستسغ أيضاً صاحبه المراهق العنيف.

استسلم أخيراً لأرقه فسحب ملف فارس الضخم من فوق المنضدة وراح يطلع على ما كُتب فيه بدقة.. الفتى مُصاب بالمرض مُنذُ بلوغه سن الثامنة وإلى السابعة عشرة من عمره لتكتمل تسع سنوات من معاناته مع هذا المرض الغريب.

عمه هو وصيّه ومن يتولى رعايته، حين أُصيب بالمتلازمة مكث في منزل عمه لعام كامل يرافقه أطباء نفسيون متعددون قبل أن يتم نقله في التاسعة من عمره لهذا المستشفى..

لم يُسجل تحسن ولو طفيف في حالته إطلاقاً.. لا في منزل عمه ولا طوال السنوات السبع التي قضاها بالمستشفى يشرف على حالته أفضل طبيب بالعاصمة « فؤاد المسعود »..

لم يكد يصل نادر بقراءته لهذا الحد حتى انعقد حاجباه غير مصدق أن أشهر طبيب قد أشرف على علاجه، راح يقلب الأوراق في لهفة فوفقاً لما درسه يجب أن يُكتب مع اسم كل طبيب رقم هاتفه حتى يتواصل معه الطبيب المعالج من بعده للاستفسار عن أي أمر يُشكل عليه في حالة المريض..



Scanned with CamScanner

ولكن كل محاولات بحثه عن رقمه باءت بالفشل فتنهد بتعب ليرمي بالملف أرضاً ثم استلقى على السرير وراح يحدق بسقف الحجرة وذاكرته تحاول جاهدة استرجاع تفاصيل هذا المرض الغريب والنادر..

« متلازمة فريجولي هي من أغرب الاضطرابات التي تجعل المصاب بها يتوهم أن العالم كله هو عبارة عن شخص واحد فقط، وهذا الشخص يتنكر في هيئات وأوجه مختلفة بهدف خداعه، بل ويظن المصاب أن هذا الشخص قادر على انتحال حتى هوية الجنس الآخر، يُبادل المريض هذا الشخص المشاعر نفسها التي حملها له قبل إصابته بالمرض من كره أو حب، تلك المتلازمة تختزل عالم المريض في شخص واحد يستحوذ على تفكيره ويبالغ مخه بالتركيز عليه إلى حد إصابته بهذا الخلل والهلوسة.. ويعاني المريض من نوبات هلع و.. و.. »

اعتصر نادر ذاكرته محاولاً استرجاع باقي معلوماته حول هذا الاضطراب ولم يلبث أن أطلق ضحكة عابثة فهو لا يتذكر من دروسه الجامعية إلا لحظة دخوله للقاعة فقط ولولا غرابة المرض لم يكن ليتذكره أصلاً..

بل شعر بالغرابة من نفسه لمحاولته تذكر شيء لم يؤمنْ ولن يؤمن به في حياته يوماً ما.

لوح بكفه للخلف باستهجان قبل أن ينهض واقفاً ليتجه



Scanned with CamScanner

لخزانة ملابسه وقد عزمت نفسه على اتباع خطتها التي رسمها لها سابقاً.. لن يُعطي نفسه لهذه الوظيفة.. سيكسب منها المال فقط وسيحمل منها اسمها فقط « طبيب نفسي » ليُرضي العجوزين الكبيرين بمنزله.

بل ولحسن حظه فقد أمره المدير بأن يدعي أمام الجميع أنه طبيب نفسي وأن لا يفضح حقيقة نفسه بأنه ليس إلا معالجاً نفسياً دون خبرة وقد وعده المدير بمنحه مبتغاه وبأعلى الامتيازات.

أخذ يُفرغ ما بالخزانة في حقيبة متوسطة فمنذ الغد لن يكون سكنه إلا في المستشفى وبحجرة قريبة من حجرة فارس.. سيكون مسئولاً عن مراقبته فقط والتدخل في حالة محاولته إيذاء نفسه.. ليس ملزماً بدخول حجرته ولا فحصه ولا إجراء محادثه معه.. مهمة سهلة ومريحة وذات أجر عالٍ يستحيل أن يجمع مثله في عشر سنوات.

« ذلك البغيض عليه أن يبقى حيّاً فقط للستةِ الأشهر الخاصةِ بي. »

همس نادر بعبارته ببرود وهو يغلق الحقيبة مردفاً:

« وبعدها لن أُمانع مغادرته الحياة للأبد.. فمثله ماذا يُرجى منه؟! »



Scanned with CamScanner

❋ ❋ ❋



Scanned with CamScanner

# الفصل الثاني

_ ٦ مايو._ ٨ صباحاً_

مساحة صغيرة شاغرة بموقف السيارات حشر فيها نادر سيارته قسراً وشفتاه تُطلقان سباباً ساخطاً.. أجل.. وظيفته لم ترحل.. ومستقبله المشرق بين يديه مجدداً.. إلا أن هذا كله لم يُفلح في تهدئة عقله الرافض جر نفسه ليرافق ذاك المراهق الذي ما زالت آثار أنيابه تحيط بمعصمه..

دفع الباب وترجل خارج السيارة ثم التف للباب الآخر وفتحه ليحمل حقيبته التي ملأها بمستلزماته الشخصية..

وقف للحظه يتأمل ذلك البناء المكون من سبعة طوابق.. سيكون سجيناً فيه لستة أشهر.. وبطابقه السابع حيث لا أحد، سواه هو ومريضه!.

أطلق زفيراً متأففاً وقدماه تتجاوزان باب الدخول ولم يكن بحاجه للتعريف بنفسه فالكل دون استثناء أصبحوا يعرفونه، فقد أصبح شهيراً بقدر شهرة فارس مريضهم لثماني سنوات، وحفل استقباله بالأمس تكفل بمن تبقى ممن يجهله..

استشاط غضباً وهو يشعر بأن جميع الأعين لا ترى غيره لتُحدق به..



Scanned with CamScanner

وصل للمصعد واختار الطابق السابع وقبل أن تغلق دفتاه تذكر أن عليه أن يأخذ معطفه الطبي الذي رماه بالأمس في خزانة الطابق الأول بعد خروجه من حجرة المدير الذي أمر أحد العاملين بالتكفل بتنظيفه له من آثار العراك..

عاد بخطواته نحوه فلا بد من استعادته فليس هناك حاجة لاستخدام خزانات الطابق الأول ما دام سكنه الجديد سيكون بالطابق السابع..

وصل إلى الخزانة وفتحها ليجد معطفه قد تم تنظيفه جيداً.. (الخدمة الوحيدة التي تستحق التصفيق في هذا المستشفى!!).. كان يعيد غطاء الخزانة حين..

« أوه.. إنه الطبيب السيئ الحظ. »

نظرة محتدة أطلت من عينيه وقبل أن يلتفت للخلف كان قد أحاط صاحب العبارة عنقه بذراعه مكملاً:

« أنت هو سيئ الحظ صحيح؟!!.. الكل يتحدثون عنك وعن عراكك مع المريض.. أنت الوحيد من بين كل الأطباء من تجرأ أمام أعين الجميع على رد ضرباته إليه بل وآلمته. »

بنظرة جانبيه رأى نادر ذلك الشخص الذي تجرأ على لمسه.. كان شاباً في عقده الثالث بدا من هيئته أنه مفرط المرح ولا مسئول و.. ممل.. وهذا هو الأهم..



Scanned with CamScanner

نظرات نادر تلك جعلت الشاب يضع كفه على رأس نادر قائلاً بغيظ: « هل نظرت لي كعجوز الآن؟!! »

دفع نادر ذراعه بحدة ثم رتب شعره وكأنه يمسح آثار لمسه مجيباً بغلظة:

« إياك أن تضع يدك على رأسي مجدداً وكأني طفل.. وإلا فإنها لن تعود لك سليمة. »

أطلق الشاب صفيراً مرتاعاً ثم سار خلفه متمتماً بحماس:

« كما قالوا تماماً.. لا يُمزح معك.. أنت تروق لي.. اسمي ياسر وأنا وأنت سنتشارك حجرة واحدة يكون بها مكتبانا معاً. »

تصلب نادر في صدمة غاضبة فهذا ما كان ينقصه فقط ليُختم صباحه بالسوء، بينما تقدم ياسر في خطواته ليقابله وجهاً لوجه وهو يشير بسبابته نحوه قائلاً:

« إلى اللقاء يا رفيقي المستجد.. بدءاً من هذه الليلة سيكون عشاؤنا المشترك عليك. »

دفعه نادر من كتفه بخشونة مبعداً له عن طريقه وهامساً:

« ستموت مسموماً إذاً. »

امتقع وجه ياسر وصاحت أعماقه: « إنه مخيـــــف » بينما غادر نادر سريعاً قبل أن يستفزه ياسر بكلمةٍ أخرى فهو بحق ليس في مزاج جيد ولا نفسية متزنة ليتحلى بفضيلة كظم الغيظ معه.

***



Scanned with CamScanner

طابق مُغاير لما أسـفل منه بالكُلّيّة.. إنه الطابق السـابع حيث حطّ نادر حقيبته الثقيلة أمام باب إحدى حجرها التي حددها له المدير سـابقاً.. تسـاءل في نفسـه: (لِم لَم ينتبه بالأمس لكل هذا البذخ وكأنه بفندق وليس مسـتشـفىً!!).. لا بد أن توتره من لقاء مريضه هو السبب!!

زفرة عميقة أخرجها من صـدره محمَّلَة بثقل ما هو مقدم عليه، ويده تمتد لتدفع باب الحجرة الملاصقة لحجرة فارس..

ولم يكد يكتمل انفراج الباب حتى كسـا وجهه الجمود.. ليس لفخامة ما بداخل الحجرة من مقاعد جلدية ومكاتب ضـخمة.. ولا لسـبل الراحة من الأرائك الوثيرة أو الشـاشـة الكبيرة المعلقة بأعلى الحائط.. بل وليس من أجل تلك المنضـدة التي تراص فوقها آلات مختلفة لصـنع القهوة مع أكوابها الخزفية ولا.. ولا..ولا!

بل من أجل ذلك..

ذلك الشيء الغريب الذي يفصل بينه وبين حجرة (فارس)..

إنه غريب.. بل بغاية الغرابة!!

فبدلاً من حائط حجري مبني من الطوب، كان ما يفصـله عن حجرة فارس حائطاً مختلفاً..

حائطاً من زجاج متين شـفاف يسـمح له برؤية كل ما تحويه



Scanned with CamScanner

حجرة فارس.. بدءاً من جدرانها المطلية باللون الرمادي وأثاثها الفخم المصمم بعناية والمنظم بدقة وانتهاءً بصاحبها الساكن النائم الذي تبعثرت خصلات شعره فوق وسادته الرمادية لينافس شعره الفاحم لون فراشه ولحافه في السواد..

انعقد حاجبا نادر وهو يفلت حقيبته على الأرضية ثم سحب خطواته ليقف مواجهاً لذلك الحاجز الزجاجي بل ملاصقاً له تماماً وعيناه لا تغادران وجه ذلك النائم الذي لا يدرك أن هناك أعيناً ولثمانِي سنوات كانت تُحدق به وتتفحصه وتدرسه وتراقبه من خلف هذا الحاجز..بل وتقتحم خصوصيته..

تذكر نادر أنه بالأمس حين دخل حجرة فارس لم ينتبه لهذا الزجاج الشفاف الكاشف لحجرة المراقبة هذه..

« إذاً يمكننا الرؤية من اتجاه واحد فقط كزجاج السيارات تماماً. »

وازداد التحام حاجبيه لفكرة غير مستساغة فلا بد من أن الاتجاه الآخر بالنسبة لفارس أسود بالكامل.. أي حائط أسود..

تذكر أن عراكه بالأمس معه لم يمنحه الوقت للتدقيق بكل تلك الألوان القاتمة السائدة على الحجرة.. بل إن فارس لم يمنحه الفرصة حتى ليتم بسلام ثلاث خطوات داخل مملكته الخاصة..



Scanned with CamScanner

الآن أدرك سر تلهف الممرضين والعاملين لرؤية هذه المملكة بقاطنها الماسي..

ابتسامة مُستخفة علَت شفتيه لتلك الخاطرة التي رماها له عقله.. فبالتأكيد ليس هو الطبيب الصحيح ووجوده هنا محض مصادفة.. ولا بد أن ذلك النادر ذو شهادات ومؤهلات عالية تنافس الطبيب فؤاد المسعود ليتولى حالة هذا الفتى الثري..

عادت له طبيعته الباردة فجأة فهو هنا ليس بهدف دراسته، ولا جعله فأر تجارب يستمتع بمراقبته من خلف قفصه الزجاجي.. ابتسامة عابثة تسللت لشفتيه فجأة.. (ماذا لو علم أساتذة جامعته بهذا المكان؟!!.. سيتسابقون حتماً وقد يدفعون هم أموالهم ليحتلوا مكانه.. فأن يكون بشر حقيقي بدلاً من القردة هو محطَّ دراستهم وتجاربهم وبمرض نادر كمرض فارس!.. إنه لشيء مغرٍ ومثير حقّاً!.)

- أسف لكوني مخيباً لآمالكم.

قالها باستهزاء واضح وكأنه يعتذر لأساتذته فهو لا يسعى ولن يسعى لما يسعون إليه..

سحب حقيبته الثقيلة والتفت باحثاً عن مكان لينام فيه فليس من حق فارس وحده أن ينام بعد أن كان هو سبب أرقه البارحة.

لم يشعر بنفسه إلا وهو يرتمي بإهمال فوق إحدى الأرائك



Scanned with CamScanner

الوثيرة بمعطفه الطبي وحذائه الجلدي الأسـود وقد أغمض عينيه بالكامل مستسلماً لنوم عميق.

***

اهتزت أرنبة أنفه وتوسـعت فتحتاه لرائحة غريبة شـاركته أحلامه البائسة والتي كانت كلها تدور حول رفيقه الذي لا يفصله عنه سوى حاجز من زجاج.

تلك الرائحة كانت هي الأجمل بل والألذ وبالرغم عنه تململ نادر في اسـتلقائه وغزا وجهه الضـيق فلم يكن يرغب بالاسـتيقاظ ولكن..

شـارك فجأة تلك الرائحة صـوت كيس ما يهتز فوق رأسـه مصحوب بصوت مضغ عالٍ جعل جسد نادر يقشعر بأكمله وهو ينهض صائحاً بتقزز:

« تبّـاً. »

اسـتقبل ياسـر صـيحته بابتسـامة كبيرة أظهرت أسـنانه وبعض قطع الدجاج المحشـورة بينها وهو يواصـل هز الكيس قائلاً بصوت بالكاد يفهم:

« أخيـ.. راً استيقظت.. »

نظرة نارية أطلت من عينيه العسـليتين وكز على أسـنانه في عصبية وهو بالكاد يتمالك نفسـه عن البطش بالواقف أمامه، فيما



Scanned with CamScanner

ضـحك ياسـر وهو يتطلع لشـعر نادر المشـعث ومعطفه الذي اختفت كوايته بالكامل لتملأه التجاعيد.. فيبدو أنه لم ينم فقط بل كان يتقلب طوال الوقت فوق الأريكة مصـارعـًا عدوّاً وهميًّا قد يكون اسمه فارس.

رفع نادر يده ليفرك وجهه بتعب من آثار النوم التي ما زالت عالقة به بينما عاد ياسر يهز كيسه قائلاً بكرم:

« انهض واغسـل وجهك.. وتعال لتشـاركني قطع الدجاج المشـوية فقد مرت عشـر سـاعات على بقائك هنا ولا بد أنك تتضـور جوعـًا وإلا لم تكن لتفلح رائحة قطع الدجاج في إيقاظك بدلاً من صرخاتي لنصف ساعة عليك. »

- ارمها في كهفك.

بصـق نادر كلماته صـافعـًا كرم ياسـر الذي تجهم وجهه ورفع يده ليغطي فمه المحشـو وقد فهم تمامـًا ما يعنيه بكهفه.. فيما وقف نادر و.. مهلاً.. (هل قال إنه مر على نومه عشر ساعات؟!)

أسـرع لهاتفه ليأخذه من فوق المكتب ولم يكد يرى سـاعته الرقمية المشيرة للسادسة مساءً حتى اتسعت عيناه في صدمه.. هل نام كل هذا الوقت؟!!

وبتوتر عنيف أدار بصـره تجاه حجرة فـارس ليجـده لا يزال نائمـًا فوق سريره بهيئته نفسها التي رآه بها صباحـًا.



Scanned with CamScanner

فهم ياسر ما تبادر لذهنه فقال بنبرة منخفضة وإن تسلل إليها بعض من استيائه:

- لحسن حظك أنه لم يستيقظ.. فقد كدتُ أُجن حين رأيتك نائماً وأول ما تبادر لذهني أنه قد استغل الفرصة وآذى نفسه بشكلٍ ما.

- أين أجد دورة المياه؟

نطق نادر متجاهلاً حديثه تماماً وهو ينزع معطفه الطبي فقد لمس في نبرته أنه يُجرّمه لنومه.. كيف يجرؤ على توبيخه؟!.. بل هو ليس في حاجةٍ لأحد ليخبره بأنه أخطأ.

تجهم شديد كسا وجه ياسر وشعر أنه سيصعب عليه التعامل مع رفيقه هذا.. ولكن استياءه منه لم يمنعه من أن يشير لباب في الجهة الأخرى من الحجرة مجيباً:

- توجد خلف هذا الباب حجرة نوم مُلحق بها دورة مياه.. الآن أدركت لِم نمت هنا.. أنت لم تلاحظ وجود هذا الباب الذي يقود لحجرة نومك الخاصة.

حك نادر رأسه وحدق به بوجوم فهو لم يلاحظها حقّاً وإلا لما تحمل آلام ظهره ورقبته بنومه على الأريكة.. وفجأة اتسعت عيناه وتصلبت كل عروق وجهه لفكرة مريعة جعلته يلتفت لياسر سائلاً:



Scanned with CamScanner

« وهل ستشاركني أيضاً حجرة النوم؟! »

وفي هذه المرة لم يستطع ياسر منع الاستياء الذي تفجر في صفحة وجهه فهذا الشخص يعامله كما لو كان ذبابة مزعجة تجاوزت حدها واعتدت على ممتلكاته.

وبالرغم من استيائه واصل حشو فمه بقطع الدجاج وهو يسحب نفسه ليرميها فوق مقعد يقابل مكتبه الخاص الذي تناثرت أكياس الأطعمة من حوله مجيباً:

- كلا.. انعم بها فهي لك فقط.. فأنت الطبيب المسئول وأنا لستُ إلا مساعداً لك..

ارتخت ملامح نادر وبدا فيها ارتياح كبير جعل حاجبي ياسر يهتزان مفكراً..: (أي شيء قذر فكر فيه حقّاً هذا الوغد ليرتاح هكذا؟!).. ولم يسعده ارتياحه فقال محاولاً تنغيص سعادته:

« ولكن هذا لا يعني أنه لن يكون هناك شيء مشترك بيننا!!.. فمثلاً هذه الحجرة من الساعة السادسة مساءً وإلى التاسعة مساءً سنتشاركها معاً لتبادل المعلومات بيننا حول المريض وما استجد بحالته، وستكون بعدها نوبة مرافقتي له من التاسعة مساءً وإلى السادسة صباحاً لتأتي بعد ذلك نوبتك من السادسة صباحاً وإلى السادسة مساءً ثم نلتقي مجدداً لثلاث ساعات وهكـ.. »

- سآخذ إذاً نوبة المساء.



Scanned with CamScanner

- لماااااذا؟!

صرخ ياسر بها في حدة فقال نادر ببرود:

- لأنها تناسبني.

عينا نادر وثقته ووقفته جعلت ياسر يثق تماماً أنه يستحيل تغيير رأيه.. وعلى الرغم من أنه أكبر سنّاً منه لم يستطع مجادلته فقال مستسلماً:

- لا بأس إذاً.. نوبة المساء هذا الشهر لك وما بعده لي وهكذا لما تبقى من ستة أشهر.. أظن هذا عادلاً كفاية.

اتجه نادر نحو حجرة النوم وهو يقول:

- بقايا طعامك وقمامتك وأنت أيضاً لا أريد أن أجدك بمجرد خروجي فإنه وقت نوبتي إذاً.

كتف ياسر ذراعيه أمام صدره وقد أدرك مدى استهتار شريكه فهو لم يختر نوبة المساء إذاً إلا من أجل هذه الليلة كي يطرده..

رمى بكيس طعامه على الأرضية قائلاً: « كلا إنه وقتنا المشتر... »

بتر عبارته فجأة والتفت الاثنان معاً لينظرا لذلك النائم الذي استفاق من نومه ليعتدل جالساً فوق فراشه وقبضته تفرك إحدى عينيه في تعب واضح ثم استند براحة يده الأخرى على طرف الفراش لينهض، ولكن لم يكد يستتم واقفاً حتى انهار مجدداً



Scanned with CamScanner

فوق سريره وكأن قدميه تأبيان احتمال ثقله.

تحرك نادر نحو الحاجز وقد انعقد حاجباه مستغرباً ما يراه فقال ياسر بانفعال:

- لا يزال أثر المهدئ في جسده.. يحتاج لوقت حتى يستفيق جيداً.

أدار نادر بصره المتسع نحوه سائلاً باستنكار فالموضوع جاد ولا وقت لإكمال شجارهما..

- لهذا إذاً لم يستيقظ طوال النهار؟!.. لماذا؟!.. لا تحتاج حالته لمهدئ؟! وعراكنا كان بالأمس صباحاً؟!

تنهد ياسر بتعب وهو يقف إلى جواره مجيباً:

- تلك الحقنة التي منحوه إياها ليهدأ بعد عراكه معك استفاق بعدها في السابعة ليلاً فحاول قتل نفسه بشق معصمه بقلمه الرصاص فاضطروا لمنحه جرعة مزدوجة من المهدئات.

صدمة عنيفة غطت وجه نادر بأكمله وهو يلتفت نحو فارس الذي كان يتمايل نصفه العلوي من أثر المهدئ وقد ضغطت أصبعا كفه اليسرى جانبي جبهته في ألم وصداع واضح ليرى نادر قطعة الشاش المحيطة بمعصمه الأيسر وقد تلوثت ببعض دماء جرحه..

خمس عشرة دقيقة مرت وفارس يُغيّر من وضعياته فوق سريره



Scanned with CamScanner

ما بين جالس بترنح.. أو منحنٍ عليه بنصفه العلوي حاشراً رأسه في وسادته مقاوماً دواراً عنيفاً..

«لا تقلق.. لن يلبث أن يصيبك بالدوار ويحطم رقبتك بمتابعته متنقلاً من زاوية لأخرى.»

نظرة جانبية محتدة رماها نادر نحوه والذي كان لا يزال يقف أمام الحاجز ثم استدار فجأة مغادراً نحو حجرة نومه جارّاً حقيبته من خلفه وهو يقول مستنكراً:

« من القلق؟!.. أنا؟!..هل تعُدُّ نفسك طبيباً نفسيّاً وأنت لا تستطيع قراءة تعابير الآخرين؟!! »

زفرة حانقة خرجت من حنجرة ياسر.. فهو يستقل به تماماً!!.. وقبل أن يرد له كلماته تابع نادر ببرود:

- موته سيحفظ أموال عمه من تبذيرها على هذا المستشفى.. وستفرغ مساحة لا بأس بها في هذا الطابق يتم استغلالها لمرضى أكثر يُرجى شفاؤهم.

« أنت وغد بالكامل.. من رأسك إلى أخمص قدميك. »

قالها ياسر بصرخة كبيرة وعيناه لا تفارقان ظهر نادر الذي وقف مجيباً:

- هذا الوغد أدرك أيضاً أن موت هذا الفتى لن يسبب مشكلةً لغيره.



Scanned with CamScanner

- إذاً ستحافظ على حياته من أجل نفسك فقط وجيبك.

- نعم هذا ما كنت أفكر به ولو كان لديك حذاقة ومهارة طبيب نفسي مختص لأدركت ذلك قبل أن ترمي ترهاتك جزافاً.

صفعة عنيفة تلقتها جبهة ياسر من راحته المتسخة ببقايا طعامه وهو يدير بصره نحو فارس الذي بدا كما لو أنه استعاد قوته أخيراً فها هو يقف دون أن يسقط، وبفم ممتلئ همس:

« أيها الفتى.. إنه الأسوأ.. الأسوأ.. فلتنُحْ على نفسك فقد ولت أيام سعدك. »

ساعة بأكملها مرت قضاها نادر في حجرة نومه انشغل خلالها بإفراغ ما بحقيبته في الخزانة الملحقة بحجرته ثم استحم ليخرج أخيراً بهيئة متأنقة للغاية مرتدياً قميصاً أصفر وبنطالاً أسود وقد التف حول رقبته شال صوفي.. وللحق فإن أغلب الوقت قد قضاه متجمداً بصدمة أمام تفاصيل الحجرة الفخمة غير مصدق أن مثلها قد مُنح له.

و مع خروجه رأى ياسر الذي كان يدور حول مكتبه يلتقط الأكياس الساقطة والأوراق المرمية فقد نجح ببث الرعب فيه..

ومن خلف الحاجز كان فارس خارجاً من دورة المياه الملحقة بحجرته ماشياً ببطء وقد اتكأ بإحدى كفيه على الجدار ساناداً لنفسه من الوقوع بينما ضغطت كفه الأخرى على جانبه الأيسر



Scanned with CamScanner

مكان ضربة نادر له السابقة.

انعقد حاجبا نادر أكثر وأكثر فكل ما يراه بهذا الفتى ليس بطبيعي على الإطلاق.. فما الذي يختلف به جسده عنه لتؤثر به ضربه خفيفة كتلك!!.. إنه مرفه ومدلل وزاد من حساسيته أن لا حياة له يشاركها مع الآخرين وخاصة المتنمرين بالمدارس كي يشتد عوده وجسده.

برز فجأة رأس ياسر من خلف مكتبه صارخاً به:

« هل ستخرج لتحضر لنفسك طعاماً؟ »

انتزعت صرخته نادر من شروده ليومئ بانزعاج فابتسم ياسر قائلاً بعجلة:

- أحضر معك بعض أكياس البسكويت المحلاة بالشكولاتة فقد نفدت التي هنا.. وستكون لذيذة جداً مع القهوة التي تصنعها لنا هذه الآلة.

- لماذا؟!

بدهشة سأل نادر ليسأل ياسر بدوره:

- لماذا ماذا؟!

- لماذا أصرف نقودي عليك؟

بهتت تلك الابتسامة على شفتي ياسر ووقف قائلاً بغيظ:

- بخيل للغاية.



Scanned with CamScanner

- لستُ بخيلاً.. ولكن لا أجد سبباً كافياً يجعلني أبدد نقودي عليك.

أخرست إجابته ياسر تماماً لتتلعثم الكلمات فوق شفتيه دون أن ينطق بحرف واحد وفي نفسه تساءل: كيف له أن يعيش كل هذا الوقت دون أن يقتله أحد؟!

ولما لم يتلقَّ نادر أي عبارة من ياسر مبررة طلبه غادر الحجرة صافقاً الباب خلفه فلا بأس بأن يقضي وقتهما المشترك بالتجول في المراكز التجارية والمطاعم ومراكز التسوق المحيطة بالمستشفى كي يتعرف عليها إذا ما احتاج إلى شيء ما فستة أشهر ليست بالقليلة..

***

ـ٨ مساءً ـ

غطت الألعاب النارية سماء العاصمة المظلمة وازدحمت طرقاتها بالسيارات، والناس، القادمة من شتى المدن كي تشهد مهرجانات الاحتفال ببدء إجازة منتصف العام بعد انتهاء اختبارات المدارس منذ أسبوع..

ووسط ذلك الزحام بدا شخص متأفف للغاية وهو يمشي بحذر على الرصيف محاولاً تجنب الاصطدام بالمارة من أطفال ونساء وشباب..



Scanned with CamScanner

تعالت صرخات الأطفال من حوله لرؤيتهم السماء التي تزينت فجأة بالألوان المضيئة مصحوبه بصوت تفرقعها العالي.. وهرباً من ذلك الضجيج جر ذلك الشخص خطواته لأول مركز تجاري ليلاحظ أنه لم يكن الوحيد الذي قد التجأ إليه.

فها هو مسن يجلس على أحد المقاعد دون أن يبتاع شيئاً.. وامرأة حامل تمسك بطفلها ذي السنوات الثلاث مانعة له من مغادرة المحل وهي تهمس:

- دع الزحام يخف أولاً.

(هل هو سينضم إليهما؟!).. امتقاع شديد غطى وجه نادر وهو يقرأ ذلك السؤال المستهجن في أعين الاثنين.. فهو ليس مسنّاً ولا حتى امرأة و.....؟!

« سحقاً.. لِم الناس مزعجون هكذا؟! »

قالها نادر وهو يعود أدراجه للخلف ولكن لم يكد يستدير حتى تساءلت نفسه: (ومنذ متى كُنتُ أهتم برأي الناس؟!)، ثم عاد مجدداً للداخل متجاوزاً الاثنين بلا مبالاة ليبحث بين رفوف المحل عن بعض متطلباته التي يحتاجها أثناء بقائه بالمستشفى.. سمع بغتة من خلف أحد الرفوف أصواتاً متهامسة:

- إنها مناسبة ورائعة جداً.

- هل حقّاً يمكنك شراؤها؟!



Scanned with CamScanner

- أخبرتك أن هدية نجاحي كانت كبيرة جدّاً وكما وعدتك سأشتري لك أيضاً.

- ولكن أنا لم أتسلق الجبال من قبل؟!

« أما زلتما تختاران حذاء للتسلق؟! »

ارتفع الصوت الثالث المتذمر من خلف نادر قبل أن يمر صاحبه من جواره.. كان فتىً بآخر مرحلته الثانوية والذي التحق برفيقيه مؤنباً لهما:

- لقد ضجرت من انتظاركما.. وباقي الفتيان يهددون بتحريك السيارة والمغادرة دونكما من أجل رحلة الجبال.. هيا.. لا نريد أن تُشرق شمس الغد إلا ونحن هناك نتسلق لقمته.

بدا الارتباك والاستعجال على الاثنين اللذين كانا يتهامسان مسبقاً وكل واحد منهما قد سحب حذاء تسلق ليشتريه مارين من جوار نادر وقد بدا الحماس عليهما من أجل هذه الرحلة.

ابتسامة طفيفة مستهزئة تحركت بها شفتا نادر لهذا الشيء السخيف الذي ظنه في أحد أيام مراهقته حلماً كبيراً وشيعهم بعينيه إلى خروجهم من المحل وهم يتمازحون ويتضاحكون وقد أطلت السعادة من أوجههم...

عاد مجدداً ليختار حذاء خاصّاً من أجل دورة المياه الملحقة بحجرته وعدة مناشف ومذكرات وأقلام.. تذكر فجأة حاجته



Scanned with CamScanner

لسماعة لهاتفه النقال وحاسوبه الشخصي فأدار بصره في كل ما حوله ولكن هذا المركز الصغير الضيق لم يبدُ أنه مخصص لذلك، لذا غادر المركز بعد أن ابتاع ما احتاج إليه..

ولكن لم يكد يضع أولى خطواته خارج المحل حتى كاد يرتطم به شيءٌ ما مر من أمامه بسرعة فظيعة جعلت نادر يرتد للخلف مطلقاً سباباً عالياً وعيناه العسليتان تتحولان لجمرتين ملتهبتين تكادان تحرقان الفتى الذي واصل طريقه للأمام فوق لوح تزلجه صارخاً بصوت ممدود:

« أســـــف »

همّ نادر بشتمه ولكن تلعثمت الكلمات فوق شفتيه حين تدافع من خلف الفتى مجموعة أكبر من الفتيان، البعض فوق ألواح تزلج والبعض بحذاء ذي عجلات يتسابقون نحو المهرجان وقد تراوحت أعمارهم ما بين الرابعة عشرة والتاسعة عشرة.

انتظر نادر بغيظ اكتمال مرورهم قبل مغادرته المحل.. الآن على الجميع أن يُدركوا لِمَ هو يكره المراهقين بشتى أصنافهم!.

« نـادر. »

صوت مألوف صدح فجأة ويد صاحبه تلامس كتف نادر الذي ميّز النبرة فوراً وقبل أن تلتقي أعينهما كان قد قال بدهشة: « أحمد؟! »



Scanned with CamScanner

تبسم أحمد ابتسامة كبيرة وهو يتأمله قائلاً:

- إنه أنت بالفعل.. نادر..

مد نادر يده مصـافحاً أحمد (جاره من قريته) فيما تابع أحمد بنبرته المتحمسة وهو يشد على يده:

- لقد رأيتك من بعيد وشككتُ لوهلة أنه أنت!!.. يا للعجب.. لم أرك تتسوق مسبقاً من مثل هذه المحلات.

- الوظيفة الجديدة تطلبت بعض الأمور لذا كنت مضطرّاً.

ضحك أحمد بجذل:

- نعم.. لقد أخبرتني والدتي أنك قد حصـلت على وظيفة فوالدتك لم تترك أحداً لم تخبره.

ثم تأمله للحظة بصمت قبل أن يستدرك:

- لا بد وأنك بمزاج سيئ الآن..

- من الوظيفة؟!.. أم من التسوق؟!

قالها نادر بضيق فضحك أحمد:

- يبدو أنه من كليهما.

ثم أشار لمطعم في الشارع الآخر هاتفاً بجذل:

- أنا أعمل هناك.. إن طعامه لذيذ للغاية.. تعال معي لنكمل حديثنا هناك ويمكنك سـؤالي عن أي شـيء عن هذا المكان



Scanned with CamScanner

وسأساعدك بالتأكيد.

(خدمة مجانية) لم يستطع نادر رفضها وهو يطيعه مباشرة باللحاق به ولم يتوقف أحمد عن الثرثرة حول هذا وذاك ليعرفه به..

فيما تسمرت عينا نادر فجأة على نافورة ضخمة تصاعدت منها المياه للأعلى وتناثر رذاذها في كل مكان حولها وقد لمعت من خلفها أضواء الألعاب النارية وواجهات المحلات التجارية لتضفي جوّاً من البهجة والسرور على المكان وقد تَقافَزَ الأطفال حول النافورة محاولين استقبال قطرات المياه المتساقطة فوق أيديهم ومن أمامها تعالى صراخ مراهق وأصدقائه يحاولون إسقاطه في حوض مياهها ممازحين له..

« ما زلت على طبيعتك.. »

عبارة أحمد رسمت ابتسامة خفيفة ونظرة عميقة بعيني نادر وهو يجيبه دون أن ينظر إليه:

- وما الذي قد يغيرني؟!

- أنت محق..

قالها أحمد بصدق فالتفت له نادر وقد عكست عيناه نظرة مهددة ومُحذرة:

- بجلبك لي للمطعم أنت لا تستغلني.. أليس كذلك؟!



Scanned with CamScanner

توتر عنيف ظهر بملامح أحمد ولوح بكفيه أن (لا) وقد تلعثمت الحروف على شفتيه ليتحرك نادر مرافقاً له وهو يقول:

_ إن كان هدفك التسويق للمطعم ووجدت طعامه سيئاً.. فأنت ميت.

- يا لأفكارك السيئة.. أنت تعلم أني لم أفعلْ ولن أفعل هذا معك أنت بالذات.

أومأ نادر عندئذ برأسه قبل أن يتبعه بثقة، فأحمد خير من يعرفه.. فأي خطأ بحقه يرده أضعافاً مضاعفة حتى لو كان هذا الشخص جاره ومن قريته.

***

حالة امتلاء شديدة أثقلت خطوات نادر من كل تلك الأطعمة التي التهمها، وداهمته نوبة من الغثيان بالكاد كبحها وهو يدفع باب الحجرة المشتركة بالمستشفى وقد حملت كفاه أكياس مشترياته.

لم يتبقَّ من وقت نوبته المشتركة مع ياسر سوى عشر دقائق وكم تمنى لو يدخل ليجده قد غادر.. تنهد بارتياح وعلت شفتيه ابتسامة كبيرة حين توسط الحجرة ولم يجده فيها فلا بد من أنه قد رحل إذاً..

وفي وسط ارتياحه حانت منه التفاتة للحاجز فرأى فارس



Scanned with CamScanner

يجلس أمام طاولة صغيرة توزع فوقها مجموعة من الصحون حوت أغذية مختلفة وإلى جوارها استقرت قارورة مياه بلاستيكية.

لم يكن فارس يتناول شيئاً منها وكل ما يفعله أن يحرك ملعقته بأحد صحونها في شرود وقد صبغ بياض عينيه احمرار خفيف وأهدابه ترمش بقوة وكأنه يغالب نفسه عن نوبة بكاء ثم رفع كفه ومسح بظاهرها أنفه.. كان يبدو عليه الحزن والملل الشديدان لحد سآمته من طعامه حتى.

لم يستطع نادر منع نفسه من الاقتراب من الحاجز ليتأمل ملامحه جيداً.. لم يكن فارس قصيراً جدّاً ولكن بالنسبة لنادر يستحيل أن يتجاوز رأسه كتفي نادر الفاره الطول.. كان شعر فارس كثيفاً بشكل كبير تنساب منه خصل متمردة أمام عيني فارس الملونتين بزرقة البحر.. بشرته بدت بيضاء للغاية ولكنها شاحبة أيضاً..

تسمرت عينا نادر فجأة على معصم فارس الأيسر وقد تدلى منه بإهمال طرف ممزق من الشاش.. كان يبدو ميتاً في جسد حي.. كهلاً عاف الحياة في عمر مراهق.. طفلاً غابت عنه كل ألوان الحياة ولم يُبصر منها سوى السواد والظلمة..

جو من الكآبة لا يحتمله قلبٌ حي جعل نادر بالرغم عنه يعقد مقارنة بين حاله وحال الفتيان المستمتعين في الخارج بالمهرجان



Scanned with CamScanner

والذين كانوا قريبين من عمر فارس بل البعض في عمره نفسه..

« أخيـراً عدت. »

انتفض جسـد نادر بفزع حين صـدحت هذه العبارة من خلفه بصـوت ياسـر الذي خرج من حجرة نومه وهو يعدل من حزام بنطاله متابعاً بمرح:

- لقد كنت أستخدم دورة مياهك فقط.

عينا نادر اللتان اسـتحالتا حمماً وتقطيبة حاجبيه نبأته أنه قد بلغ أقصى درجات غضبه فأسرع يقول مهدئاً له:

ـ لم تكن الكبيرة.. أُقسم لك.. كنت مضطرّاً.. فبسبب تأخرك لم أستطع ترك المريض بمفرده.

تحرك نادر نحوه بصـمت وبقبضـتين مشـدودتين جعلتا وجه ياسـر يشـحب..: (هل سـيتعارك معه من أجل شـيء أسـقطه في مرحاضه فحسب؟!).

كان يسـتعد بالفعل لرد العراك والدفاع عن نفسـه حين رآه يتجاوزه ليفتح باب الحجرة ثم يرمي بمشـترياته داخلها قبل أن يغلق الباب ويسـحب المفتاح ليرمي به في جيبه، وعندها أدرك ياسر أن الأمر قد حُسـم، فمنذ هذه اللحظة ولستة أشهر قادمة لن يسمح له بتجاوز عتبة باب حجرته.

أزال نادر الشال من حول رقبته ليقلل من بعض الاختناق الذي



Scanned with CamScanner

سببه وجود ياسر معه ورماه بإهمال فوق الأريكة التي نام عليها سابقاً.

- لقد جاء المدير في غيابك.

تصلبت ذراع نادر الرامية للشال وبقيت معلقة بالهواء واصفر وجهه ولحسن حظه أن ياسر لم يلحظ ذلك وهو يخطو نحو مكتبه متابعاً بابتسامة مفعمة:

- لا تقلق.. لقد تصرفتُ بطيبة واختلقت عذراً جيداً لتغطية غيابك.

- ماذا قلت له؟

- قلت إن هناك بعض الأشياء المهمة تنقصك ولأنك ستبقى لفترة طويلة احتجت للخروج للسوق لشرائها وقد ألزمتني بالبقاء لحين عودتك.

- لا يبدو هذا العذر الجيد وكأنه خارجٌ منك.

قال نادر عبارته باستخفاف مصحوب بارتخاء ملامحه التي عاد إليها الارتياح، فيما مط ياسر شفتيه بحنق وكأنه قد كُشف ليقول باستسلام تام:

- حسناً.. أعترف أني حاولتُ تغطية غيابك ولكني لم أُحسن ذلك حين أخبرته أن الألعاب النارية للمهرجان قد شدتك للخروج.. ولكن لحسن الحظ فقد كان يرافقني ثلاث من العاملات اللاتي أسرعن يثرثرن حول ما ينقصك وحاجتك لشرائه كي تضمن عدم



Scanned with CamScanner

مغادرتك هذا الطابق للاعتناء بمريضك لوقت أطول.

لم يدرِ نادر هل يغضب من عذره القبيح الذي اخترعه أم من وجود فتيات يقتحمن حجرته وقبل أن يثور كان قد التقط ياسر حقيبته استعداداً للمغادرة وقد امتلأت عيناه بخبث مقيت وهو ينظر لكتفيه العريضين وشعره الكستنائي وأنفه الحاد.. كان وسيماً بالفعل.. ثم قال بحماس:

- كن يتجولن سابقاً حول حجرة الفتى.. ولكن فوجئت الليلة بمجيئهن الواحدة تلو الأخرى يسألن إن كُنتُ بحاجة لشيء.. ولم يكن هدفهن الحقيقي إلا رؤيتك والتقرب منك.

وبجدية صادقة استطرد:

- إلى الآن أجد أنها الحسنة الوحيدة من مرافقتي لك..

- لقد تجاوزت وقتك بخمس دقائق.. إنها التاسعة وخمس دقائق.. غادر وفي طريقك أخبرهن أن لديّ أربع زوجات في منزلي.

ارتفع حاجبا ياسر وصرخ:

- تبّاً.. لن يبتعدن عنك وحسب بل وسيكرهنك بالتأكيد.

لوح نادر بكفه بلا مبالاة فهذا ما يهدف إليه بالفعل ثم اشتدت ملامحه فجأة وأطلت من عينيه نظرة جعلت ياسر يهدأ حقّاً وينظر له نظرة عميقة وهو يردف:

- وأخبرهن أني المسئول عن مريضي ولا أسمح ولن أرضى



Scanned with CamScanner

باقتراب إحداهن منه حتى لو تجاوز عمرها السبعين.

صمت قصير حلّ في الحجرة قبل أن يومئ ياسر برأسه موافقاً له وكأن هذا الشيء الوحيد الذي اتفقا عليه منذ لقائهما الأول.. وبنبرة جادة سأله ياسر وعيناه تتسمران على فارس الجالس بسكون فوق مقعده يرتوي من قارورة مياهه:

- هل أُخبرك عنه؟!.. عن والديه وكيف تخليه..

« لا أريد أن أعرف عنه أي شيء. »

(أي تناقض عجيب في هذا الشخص؟!).. شعر ياسر كما لو أنه سيفقد عقله فقبل قليل يُصرح بحمايته من مضايقات الفتيات وفي الوقت ذاته لا يهتم بمعرفة أي شيء عنه!!.. إذاً.. هو لا يريد علاجه ولا حمايته!!.. يريد فقط رعايته والذود عنه كما لو كان حيوانه الأليف.. سيُغذيه لستة أشهر وبعدها سيقدمه للمذبح لو لزم الأمر.

ابتسم ياسر بوجل فهو لم يقابل في حياته رجلاً بجرأته ولا وقاحته.. ألا يمكنه على الأقل الشعور بالخجل من إظهاره لحقيقته السيئة أمامه!..ثم استدار بظهره مغادراً وصافقاً الباب خلفه تاركاً نادر ليقوم بنوبته الأولى مع.. حيوانه الأليف!.

***



Scanned with CamScanner

# الفصل الثالث

ارتفع صوت احتكاك الحافة السفلية لمكتب نادر بأرضية الحجرة المشتركة، ونادر يتابع دفعه لتلتصق مقدمته بالحاجز الزجاجي الفاصل بينه وبين فارس ثم سحب المقعد ليجلس عليه مبقياً حجرة فارس بكل ما فيها أمام عينيه..

تنهد بتعب وهو ينحني ليسحب حقيبة حاسوبه المحمول من أحد الأدراج فلم يكن للحظة يظن أنه قد تكون مهمته بهذه الصورة.. فهو أشبه بحارس شخصي من طبيب نفسي!!

وممن يحرس الشخص الذي أمامه؟! من نفسه؟!

« يا لها من مهزلة!! »

قالها وهو يضع حاسوبه فوق المكتب وأوصل سلك سماعة الأذن به وبدأت أصابعه تتنقل على لوحة مفاتيحه بسرعة وهو يُلقي ما بين لحظةٍ وأخرى نظرة على فارس..

وبعد مرور ساعة من تنقل عينيه بين شاشة حاسوبه وبين مراقبته لفارس الذي ظل جالساً بوضعيته نفسها تمتم حالماً:

« ليت لدي القدرة على إيقاف المشهد هكذا إلى حين انتهاء نوبتي.. »

ولكن يبدو أن أمنياته كاسمه نادرة التحقق فها هو بمجرد



Scanned with CamScanner

إطباقه لشفتيه نهض فارس واقفاً بعد جلوسه الطويل..

قد كان من قبل يجلس على الأرضية مستنداً بظهره على جانب سريره وقد أحاطت ذراعاه بركبتيه في سكون وهدوء لا يخلو من رفعه لرأسه ما بين وقت وآخر ليلتفت فقط يمنةً ويسرةً قبل أن يعود مجدداً ليستند بذقنه على ركبتيه ولمدة ساعة بأكملها بعد مغادرته مائدة طعامه.

ولم يكترث نادر إطلاقاً بالتساؤل ولو لثانية واحدة ما الذي يجعله متجمداً هكذا وما الذي يفكر فيه طوال هذا الوقت!.. (بل ماذا لو علم فارس أن هناك شخصاً يتمنى لو يجمده كما لو كان تمثالاً لا حياة فيه!!)

تأفف قوي خرج من بين شفتي فارس لم يسمعه نادر ولن يسمعه فالحاجز الزجاجي عازل للصوت ومع صوت تأففه اتكأ بكفيه على ركبتيه لينهض واقفاً.. ولم يُكتب لفارس أيضاً سماع زفرة الضجر المتأففة على الجانب الآخر والناقمة عليه تحركه..

اتجه فارس بخطواته البطيئة نحو مقعد خشبي وجدت أمامه منضدة ملتحمة بالجدار ويعلوها عدد من الرفوف الخشبية المعلقة تراص فوقها مجموعة من الكتب والأوراق..

توقف فارس أمامها دون أن يجلس وامتدت يده لتقلب تلك الأوراق ذات الحجم الكبير والتي يبدو من ورقها السميك



Scanned with CamScanner

والخشن أنها مخصصة للرسم، بحث بينها عن شيءٍ ما قبل أن يفتر ثغره عن ابتسامة كبيرة وهو يسحب ورقة من بين الأوراق كانت نظيفة تماماً ولم يغطها أي من رسوماته، سحبها بسرعة بيده اليسرى فيما راحت عيناه تجوبان الرفوف بحثاً عن شيءٍ ما وحين لم يجده تحرك للبحث عنه في مواقع أخرى..

وخلف الحاجز التحم حاجبا نادر بغيظ فهو لا يكاد ينتقل بعينيه من شاشة حاسوبه إلى فارس إلا ويجده قد غير موقعه.. فمرةً أمام مائدة الطعام، ومرة بين رفوف الحائط، وأخرى إلى جوار دورة المياه، والآن فوق سريره يُقلب كل الأغطية والوسادات ملقياً بها على الأرض بإهمال، وأخيراً انحنى أسفل فرجة سريره وقد غاب ذراعه الأيمن أسفله يحركه في عشوائية وقد قبضت أصابع كفه اليسرى على ورقته التي شاركته تنقله من مكان لآخر.

« ذلك الممل الوغد.. الآن أدركتُ ما كان يعنيه. »

قالها ووجهه يزداد احتقانه وذاكرته تسترجع قول ياسر بأن فارس لن يلبث أن يتنقل من زاوية لأخرى مصيباً له بالدوار وآلام الرقبة.

« الأمر جيد ما دام لا يؤذي نفسه. »

حاول نادر أن يُهدئ بها نفسه علّها تُلهيه عن غضبه من ذاك



Scanned with CamScanner

المزعج أمامه وتزيد من تركيزه على ما بشاشة حاسوبه.. تناهى لسمعه بغتة صوت محدثه من الحاسوب فرد بسرعة وبجدية شديدة:

ـ نعم.. نعم معك.. كلا لقد غفلتُ للحظة..كلا كلا.. لا عليك إنه ليس بشيء مهم على الإطلاق كي نؤجل عملنا من أجله.

زفر بارتياح حين عاد محدثه يواصل حديثه السابق قبل أن يختمه بقوله:

ـ سأرسل إليك الآن الصور بدقة عالية كي تقوم بتحليلها.. كما أن هناك مقطع فيديو قد تستفيد منه.

أومأ نادر برأسه موافقاً قبل أن يكتسي وجهه بالحدة وهو ينظر لشاشته التي ملأها وجه محدثه وقال:

ـ كالسابق تماماً.. ثلاثة أرباع المكافأة التي ستحصل عليها ستكون لي.

اصفر وجه محدثه وبدا عليه ضيق شديد:

« نادر.. كن رؤوفاً ولو لمرة واحدة.. لديّ أطفال وزوجة.. ولولا حاجتي لم أكن لـ.. »

قاطعه نادر بنبرة لا يمكن الجدال بعدها:

« مشكلاتك الشخصية ناقشها في مكان آخر.. نحن هنا وسط



Scanned with CamScanner

عمل.. إما أن توافق وإما قد أضـــطر لعرض خدماتي على فريق آخـ.. »

أســـرع محدثه يُعبر عن موافقته على طلبه فأن تذهب المكافأة لفريق آخر فهذا يعني أن يخســـر حتى ربعها وفي نفســـه راح يشـــتم نادر ألف مرة لامتلاكه موهبة لم يملكها..

فيما ابتسم نادر بظفر فسيحصل على المال مجدداً وأيضـاً من هواية أحبها من أعماق قلبه.. أسرع يُنهي المكالمة لتتفحص عيناه تلك الصور وسحب مفكرته ليدون فيها كل ما لاحظه واستنتجه.. (فهو بالتأكيد لم يشترِ تلك المفكرات والأقلام من أجل دراسة أو علاج ذلك المراهق ولَم يفكر به أصلاً).

مضى نصف ساعة يعمل على ما عنده، مضى مثلها عند فارس الذي لم يتوقف لدقيقة واحدة عن البحث عن ذلك الشيء قبل أن ينتهي به الأمر لتحتقن عيناه قهراً وغضباً وتلتحم شفتاه من ضغط هائل أثقل صـــدره.. وفي ثورة راح يركل كل ما أمامه من أغطية ووسادات ساقطة وهو يصرخ..

حركته العنيفة جذبت نادر ليرفع رأســـه عن مفكرته، قبل أن يقف ويتحرك نحو الحاجز وقد اتســـعت عيناه من رؤيته لثورته المفاجئة..

لم يكن يسمع صراخه ولكن شفتيه المتسعتين نبأتاه أن صوته



Scanned with CamScanner

قد بلغ حده الأقصى.. تلاها سعال شديد جعله يقبض على عنقه في ألم فقد بح صوته والتهب حلقه دون أن يجيبه أحد..

إنه وحده..

وحده فقط.. حيث لا أحد..

يصرخ.. يركل.. يبكي.. يبتسم.. يتألم.. وحده..

انحنى للأرض على ركبتيه واحمرت عيناه وتجمعت بهما الدموع.. هل من العيب أن يبكي!!.. هل من العيب أن يبكي؟!!.. كلا.. هو حتى لا يفرق بين الصواب والخطأ.. هو إن أراد أن يبكي سيبكي.. هو إن أراد أن يركل سيركل.. هو إن أراد أن يصرخ سيصرخ.. كالطفل تماماً..

انحنى رأسه للأسفل وخطت الدموع على وجنتيه وشهق بألم فآخر ما بقي له من الحياة قد سلبوه منه..

هدأت ملامح نادر المكفهرة من خلف الحاجز وهو يرى تكوره على نفسه وبكاءه ثم أصدرت حنجرته ضحكة قصيرة مستهجنة وهو يخفي كفيه في جيبي بنطاله قائلاً:

« من أجل قلم رصاص؟!.. مراهقو هذه الأيام لا يملكون ذرة رجولة. »

لم يهتز قلبه ولم تتحرك ذرةٌ واحدة منه بشفقة وهو يراقبه وكأن ما أمامه مشهد من مسرحيةٍ ما هزلية وليس واقعاً حقيقياً..



Scanned with CamScanner

وفجأة رأى فارس يعض على شفته السفلى في ألم ويده اليمنى تمتد لتقبض على ساعده الأيسر حيث جرحه.. هنا تحرك القلق ليظهر طيف منه على وجه نادر الذي دقق النظر على ساعد فارس خشيةً أن يكون قد عاد جرحه للنزف مجدداً.. وظل لوقت يتأمله قبل أن يتنهد براحة فالشاش كما رآه بالسابق وهذا جيد فهو يعني أنه لن يموت!!.. ولكن يبدو أن ألم جرحه قد عاوده مجدداً مع مغادرة المسكنات لجسده..

« تستحق ذلك.. حولته لأداة قاتلتني بها ثم حاولت قتل نفسك به.. »

ثم هز كتفيه ببرود مُضيفاً:

«وما دام هذا القلم مهمّاً عندك لهذا الحد كان عليك أن تفكر باستخدامه بلطف في غرضه الحقيقي. »

واصل فارس انحناءته وهو يضم ذراعه اليسرى لصدره مع اشتداد ألم جرح ذراعه المقطب وكأن ألم الموت الذي لم يصبه بالأمس عاد لينهش الآن كل جزء منه..

كانت شفتاه تنطقان بكلمات هامسة وكأنه يستغيث أو يئن!!.. المهم أنه شيء لم يستطع نادر تمييزه من مكانه وحين حاول الالتصاق أكثر بالحاجز ارتفع فجأة صوت رنين هاتفه النقال من خلفه فالتفت بسرعة نحوه فقد تكون مهمة أخرى يكسب من ورائها المال.



Scanned with CamScanner

نسي مريضه تماماً ليلتقط هاتفه من فوق المكتب وينظر للمتصل ولم يكد يرى اسم أمه المدون على شاشته حتى استغرب بشدة فالساعة قد تجاوزت الحادية عشرة مساءً.. أي موعد نوم عجوزه..

أسرع يرد على هاتفه ليتناهى لسمعه صوتها الأبح المليء بالضيق: « نادر.. هل حقّاً تعرضت للضرب من أحد المرضى؟!»

استشاط نادر غضباً واستحالت عيناه جمراً فيما تابعت أمه بصوت متهدج: « أنت تكره وظيفتك ونحن من أجبرك عليها.. الذنب ذنبنا فيما تعرضت له.»

(إنه أحمد بلا شك)، فاضت براكين غضبه وكادت أصابعه تحطم هاتفه من شدة ضغطه عليه.. سينتقم من ذلك الوغد.. كيف يجرؤ على إيذاء عجوزه إلى الحد الذي لم تستطع معه النوم؟!!

«السافل» تمتمت بها شفتاه وأمه تواصل حديثها المنزعج عبر الهاتف دون أن تمنحه الفرصة ليُجيب، وفي أعماقه نقم على نفسه محادثته لأحمد في المطعم وإخباره له بقصته مع فارس، والأسوأ أن أحمد استغله حقّاً بإحضاره للمطعم حيث يعمل تحت إمرة مدير هو والد صديقته.. أي أنه بإحضاره للمطعم كان يريد منه أن يُقدم صورة حسنة عنه لوالد صديقته وبالتالي يقبل به إذا ما تقدم لخطبتها.



Scanned with CamScanner

ابتسـامة خبيثة قفزت لشـفتيه وهو يذكر كيف انتقم منه وقتها بإخبار ذلك الرجل بكل حماقات وطيش أحمد مما حول وجه أحمد للون الأحمر غضباً وحرجاً وقد يكون أفقده حقّاً فرصته بالزواج..

ولكن هذه المرة علت شفتيه الابتسامة الأخبث، لو رآها أحمد لبكى نفسه دهراً كاملاً فما هو مقدم عليه الآن سيجر ويلاته عليه لما تبقى من عمره.

« أمي »

لفظ لطيف مُلئ بالهدوء قاطع به نادر حديث أمه لتنصت إليه فأردف:

- تلك العجوز سعاد والدة أحمد لا بد أنها فهمته خطأً.. فمجال عملي لا بد فيه من هؤلاء المرضى.. وأنا مستمتع جدّاً.. بل وأقدم لهم يد العون كما أحببتما.

ارتفع صوت العجوز أقل انزعاجاً:

- ولكنه ضربك!!.. هل أنت بخير؟

ضحكة مصطنعة أطلقتها شفتاه أفلحت بامتصاص قلقها أتبعها بقوله:

- هل يجرؤ أحد على ضربي؟!.. أنتِ تعرفين ولدك جيداً!.. بل ذلك الوغد أحمد لا بد من أنه يغار مني لحصولي على وظيفة



Scanned with CamScanner

قبله في أشهر مستشفيات العاصمة، وبالتأكيد كانت أمه تحاول مداواة غيرتها هيَ الأخرى بقولها هذا لكِ كي تعكر فرحتك.

سمع صرير أسنانها الغاضبة: « الغبية القذرة الغيورة الـ.. »

انطلقت تواصل شتمها لسعاد مما أقنعه بأنها صدقته وعندها حرص على إزالة غضبها برمي دمية لها تلعب بها لحين الغد وقت لقائها بجارتها سعاد:

« أمي.. ولكن هل أخبرتكِ جارتنا بأن ولدها الطبيب أحمد يهمل تطبيقه العملي بأحد المستشفيات ليقتطع وقتاً يعمل به بأحد المطاعم كي يستحسنه مديرها الذي هو والد صديقته سوسن كي يوافق بعد ذلك على طلبه الزواج منها تاركاً بذلك خطيبته ريم في قريتنا والتي اختارها له والداه مسبقاً وخسرا آلاف الأموال من أجل حفلة خطوبتهما. »

كان سيلاً من المعلومات والفضائح ألجم لسان العجوز ولم تنتبه أن ولدها كان يُلقنها بالحرف الواحد ما ستقوله بالغد لجارتها انتقاماً منها..

شهقت بعد دقيقة وامتلأت نبرتها بالحماس لتقول:

- القذرة.. وتعيرني اليوم بك كذباً وهي لا ترى ولدها!!.. تبّاً.. سأجعل منها أضحوكة.

اتسعت ابتسامة نادر فهذه الفضيحة ستكون كالدمية تلهو بها



Scanned with CamScanner

وسط القرية لوقت طويل قبل أن تجد جارتها سعاد شيئاً جديداً تضايقها به، هذا إذا لم تنشغل بمشكلتها التي ألقى بها الآن.

ضحك نادر وقال بلطف:

- عليكِ أن تنامي أولاً.. فما أنتِ مقدمة عليه غداً يحتاج لكل طاقتك.. وانتبهي لزوجك فهو لا يستطيع فعل شيء من دونك.

ضحكت لوصفه أباه بالزوج وكأنه يتحدث مع شابة صغيرة ولكن بحق هي أصغر من والده.. ودعته بكلماتها التي تنوعت ما بين الغضب والحنية كي لا يترك عمله أو يُقصر فيه وأن يرفع رأسهما عالياً...

ظلت تثرثر بالحديث الذي ملّ من سماعه دوماً فالتفت بضجر لينظر نحو فارس الذي غاب نظره عنه لنصف ساعة، ولم يكد يلتفت حتى اتسعت عيناه عن آخرهما وبان الارتباك بصوته الذي بالكاد تمالك نبرته وهو يسرع مُنهياً اتصال أمه:

« لقد فهمت.. لدي عمل الآن.. نامي جيداً.. وداعاً. »

رمى بهاتفه في جيبه وأسرع يقف أمام الحاجز ينظر لفارس الذي تابع الارتطام بباب حجرته محاولاً كسره وهو يصرخ.

كان يصرخ مع كل اصطدام غضباً وألماً..

غضباً من أجل قلمه الرصاص المسلوب..

وألماً من كمية الضرر الذي تلقاه كتفه الذي كاد يخلع مع كل



Scanned with CamScanner

ارتطام بالباب الخشبي المتين الصنع..

اشتدت قبضة نادر وانتفخت أوداجه.. فما الذي عساه يفعل في مثل هذا الوضع!!.. ضرر كتفه لن يقتله بالتأكيد وبالتالي لن يُفقده وظيفته.. ولكن..

« عنفه لا مبرر له. »

همس بها بحيرة، صحيح هو ليس الأول في دفعته ولكن هو أيضاً ليس بغبي أو ساذج فما يراه الآن لا يحتاج لعين خبيرة لتلحظ ذلك!.. فكيف بمن درس تخصصاً بأكمله وتجاوزه بكل سنواته الأربع دون رسوب واحد!.

توقف فارس فجأة عن دك الباب بجسده لينهار ساقطاً أمامه على ركبتيه وقد بان التعب بكل ملامحه قبل أن يرفع قبضة ضعيفة لتطرق الباب برفق وكأنه بعد فشل عنفه فكر أن إحسان الأدب قد ينفع هذه المرة مع من بالخارج فيستجيبون له.

راقب نادر شفتيه المتحركتين ليقرأهما بصعوبة:

« لما!!!! ذا تحبسني؟!!.. أريد أن أخرج.. أريد أن أخرج. »

بالكاد استطاع نادر تبيّن هذه الكلمات من وسط جمل كثيرة غاب عنه معظمها ولكن تلك الكلمات أحدثت داخله حيرة كبيرة.

« ألا يعلم أنه مريض؟! »



Scanned with CamScanner

قالها وحاجباه يلتقيان بشـــدة.. وفجأة (هل أنا أُحلله الآن؟!)، قفز ذلك التساؤل لدماغ نادر لتعلو شفتيه ابتسامة غير مصدق تلك الدقائق القليلة التي بدت وكأنها ليست من شريط حياته..

ضـــحك باســـتخفاف قبل أن يعود نحو مقعده ليجلس أمام حاسوبه ليحلل تلك الصور.. شيء يستحق التحليل بحق!!

ولكن لم يكد يخطو بعيداً عن الحاجز حتى رأى فارس ينهض من وقفته ليتجه نحو منضـــدة كتبه.. وقف أمامها ورفع ذراعه اليسرى لأعلى ارتفاع.. ولوهلة لم يصدق نادر ما قاده إليه تفكيره لولا أنه رآه بعينيه يُســقط ســاعده وبموقع الجرح تماماً ليرتطم بحافة المنضدة.. (يحاول قتل نفسه مجدداً)..

« سُحقـــاً. »

صاح بها نادر وهو يجري ليلتقط مفاتيح حجرة فارس من فوق مكتبه ثم اتجه لحجرة فارس مباشـــرة.. وبيد مهتزة أدخل المفتاح في ثقب بابه وأداره بصـــعوبة ليُفتح ثم دفع الباب لتلتقط أذناه صـــوت أنين فارس وصـــوته المبحوح وهو يواصـــل دك ســـاعده بحافة المنضدة..

اندفع نادر نحوه..

سيوقفه..

وقد يضربه..



Scanned with CamScanner

بل وسيعطيه مهدئاً قوي المفعول لو اضطر..

ولكن تفجر في ذهنه بغتة ما حدث صباح الأمس..

عنف فارس معه بسبب المتلازمة..

هو بالتأكيد لن يهدأ له بسهولة وقد يضطره مجدداً لضربه ضربات عنيفة تزيد من حدة مرضه والأسوأ قد يُسيء ذلك لوظيفته..

«تبّاً.»

همس بها محنقاً وهو يوقف اندفاعته ليخطو بهدوء من خلف فارس فهو لم يلحظ دخوله بعد وسط صرخاته..

وحين وقف خلفه مباشرة حتى كاد يلامسه بجسده مد ذراعه اليمنى لتحيط بجسد فارس من الأمام وشده نحوه مُكبلاً حركته بقوة، بينما قبضت أصابع كفه اليسرى على ساعده الأيسر موقفاً له في الهواء قبل أن يرتطم بحافة المنضدة مجدداً..

شهقة مفزوعة أطلقها فارس وعيناه لا تريان الشخص المكبل جسده من الخلف ولكن ذلك لم يكبح حركته الشديدة وركله لما أمامه محاولاً تخليص جسده وذراعه الأيسر من قبضة نادر..

وكاد نادر يفقد صوابه مجدداً وهو يتحمل بصعوبة حركته العنيفة بل كان فارس يلف رأسه للخلف محاولاً رؤية الشخص الذي يُقيده.. ولم يكن نادر مستعداً لعنف أشد إذا ما رآه وصور له



Scanned with CamScanner

عقله المريض أن نادر هو وهمه الذي يطارده..

وعندها زاد من ضـغط ذراعه الأيمن حول جسـد فارس حتى كاد يحطمه من شدة اعتصاره، مما جعل فارس يشهق بألم ثم جره بعيداً عن حافة المنضـدة، بينما تركت يده الأخرى سـاعد فارس وارتفعت لتغطي عينيه بالكامل و..

هدأت..

هدأت حركة فارس بالكامل..

بل وتصلب جسده..

لتسـع عينا نادر عن آخرهما..

(هل هو يخدعه الآن بخضوعه!!)

كان يخشـى ذلك بالفعل.. يخشـى أن يخفف من ضـغطه فيستغله فارس ويلتف نحوه ويتعارك معه.. ومع ذلك لم يستطع منع نفسـه من النظر من فوق كتف فارس لسـاعده الأيسـر حيث الجرح فرأى بضع قطرات صغيرة من الدماء تلوثه..

(إذاً فقد فُتح جرحه مجدداً ولكن ليس بصـورة قاتلة.. هذا جيد.)

تلفت فيما حوله مفكراً بحيرة.. كيف سيهدأ هذا الشـخص إذا ما تركه لثانية واحدة فقط ليحضر فيها ما يربط به جرحه!!

كان يفكر حين ارتخت ملامحه فجأة لتعلوها الدهشـة لملمس



Scanned with CamScanner

أصابع كف فارس اليمنى التي لامست ذراعه الضاغط عليه..

واصل نادر صمته وهو يُطل من فوق كتفه من الخلف ليراه يمشي بأصابع كفه فوق ساعد نادر متحسساً له وكأنه يحاول تعرف هذا الشيء المحيط به قبل أن تتوقف فجأة فوق ساعة نادر..

كان لا يزال أنين تألمه مستمرّاً ويكاد يخترق طبلة أذن نادر القريب منه ومع ذلك لم ينشغل فارس بألمه ولم يتوقف عن تحسس الساعة قبل أن يُقدم على تصرف أثار صدمة نادر بالفعل.. فبدلاً من غرس أصابعه في ذراع نادر أو محاولة إبعادها عن جسده أحاطت أصابع كفه بها بقوة وضمها لصدره أكثر وكأنه التمس بها أماناً من نوعٍ ما وتفجرت من أسفل كف نادر اليسرى دموع عيني فارس لتبللها بالكامل..

تباعد حاجبا نادر وارتخت ملامحه وهو يسمع إلى جوار أنينه نشيجه الباكي، كان يشهق ببكائه ما بين لحظة وأخرى وعلى الرغم من أن نادر خفف من ضغطه عليه قليلاً إلا أن فارس لم يتخلَّ عن ذراعه..

واتكأت مؤخرة رأس فارس على كتف نادر الذي لم يُبعد كفه عن عينيه أبداً، وقد أنهك فارس الألم والبكاء حتى ما عاد يستطيع البقاء محافظاً على اتزان جسده..



Scanned with CamScanner

«.. أرجـ.. ـوك.. أخرجني وسـ.. سـ.. سأحسن التصرف.. أنا لسـ.. ت سيئاً.. أخرجني.. »

كلماته المتقطعة.. توسله.. شهقاته..

الآن بدأ شـك نادر السـابق يعود أقوى.. فارس لا يعلم أنه مريض..

بل وصـوته المتقطع وكلماته التي تخرج بصـعوبة.. هي لشخص كأنه فاقد للنطق واستعاده فجأة..

(ألم يتحدث مع أحد منذ سـنين؟!!.. هل من الممكن أنه منذ إصابته بالمرض؟!)

تساءل نادر في نفسه فيما ظل فارس على صمته وهدوئه فأدرك نادر أنه ينتظر رده بعد توسـله إليه بأن يخرجه.. وكاد نادر ينطق.. ولكن أليس عليه أن يتحقق أولاً إن كان مرضـه الغريب ليس له ارتباط بصـورة الأشـخاص فقط بل وصـوتهم؟!.. فقد يظنه من صوته الشخص الذي يحاول إزعاجه ومطاردته؟!

حيرة وتردد بقي فيهما نادر قبل أن تلمع فكرة ذكية في رأسـه.. ففارس لم يهدأ إلا بعد تحسسه له وكأنه علم أنه شخص مختلف من خلال لمسه له.

وعندها شـدت كفه اليسـرى بخفة حول عيني فارس ليحرك رأسه يميناً ويساراً وكأنه يجيبه على سؤاله بـ « لا »



Scanned with CamScanner

انفرجت شفتا فارس وظل للحظة صامتاً ونادر يترقب ردة فعله حول رفضه لطلبه لتفاجئه ثورته وتحريكه لرأسه محاولاً النظر وهو يصرخ:

« لا.. لا.. أخرجني. »

وعلى الرغم منه ابتسم نادر فقد فهمه فارس تماماً فيما عاد فارس فجأة لهدوئه ليذرف الدموع دون أن يؤذي نادر فهو لا يحمل أي ضغينة تجاهه وكل ما أراده منه مساعدته ولكنه رفض، وذلك أكَّدَ لنادر أن هذا الفتى ليس عنيفاً إلا في اتجاه واحد..

اتجاه الشخص الذي يصوره له مرضه..

ولكن من هو هذا الشخص!!.. وهل هو يستحق أن يكون فارس عنيفاً تجاهه لحد العراك؟

« آه.. يؤ.. لم.. يؤلم. »

بالكاد نطقتها شفتا فارس لينتبه نادر لجرح ساعده الذي اتسعت بقع الدماء فوق الشاش المغطي له فأدرك أنه يجب أن يتصرف بسرعة ويربطه له..

ولكن عجلته لم تسعفه ليأخذ معه مهدئاً..

كان يدرك خطورة تلك الحقنة فقد يُدمنها جسد فارس ولكن ما عساه يفعل!!

وفجأة شعر بارتخاء جسد فارس.. بل أن رأسه سقط للأمام



Scanned with CamScanner

وكاد ينسل جسده من تحت ذراعه..

تراخي جسـده المفاجئ جعل نادر يُبعد كفه عن عينيه ليرى مصـداق شـكه.. فقد كانت عينا فارس بالكاد مفتوحتين فاقداً لوعيه..

توتر عنيف ظهر بوجه نادر وهو ينحني ليحمله ثم تحرك نحو سريره ليرقده عليه وراح يفك الشاش المغطي لساعده ولكن لم يكد يرى جرحه حتى ابتسـم براحة فبالكاد انفتح الجرح ليتسـبب بتلك الدماء، أي أنه بلا شـك ليس سـبب فقدانه لوعيه.. وبالتالي فإنه لن يموت.. ولن يفقد وظيفته..

« كم أنت متعب. »

تذمر وهو يتفحص وجهه وعينيه وكتفه باحثاً عن السـبب الحقيقي لفقدانه لوعيه:

- هل بسبب ارتطامه بالباب؟!

- أم انهار بسبب بكائه المتواصل؟!

- أو لأني رفضت إخراجه؟!

« تبّاً.. تبّـاً. »

صـرخ بها وتحرك نحو الباب كي يجلب أي طبيب بشـري وليس نفسيّاً كي يفحصه.. ولكن ألن يجر ذلك عليه مشكلة إذا ما علم المدير بما حدث؟!!



Scanned with CamScanner

عاد يشـــتم أشـــد من الســـابق وعيناه المليئتان بالحيرة والتردد تعودان لتعانقا جسد ذلك الراقد أمامه..

وبعد دقيقة غالب فيها نفسه زفر بضيق ثم أخرج هاتفه ليطلب رقماً ما ولم يكد يرد محدثه حتى قال:

« أحمد.. أنا أحتاجك. »

***



Scanned with CamScanner

# الفصل الرابع

١- فجراً-

أحكم أحمد الضماد حول الجرح بمعصم فارس الأيسر وانتقلت عيناه لتنظرا لإبرة المغذي التي غرسها بظهر كفه الأيمن قبل أن يتنهد:

- لقد انتهيت.

إلا أن عبارته لم تجذب انتباه نادر الذي ظل ساكناً فوق مقعد قريب من سرير فارس ينظر للأرضية في ملل وانزعاج.

« نادر.. أنت محظوظ. »

وهذه المرة انتبه بالفعل لينظر لأحمد مستغرباً قوله فتابع أحمد وعيناه المنبهرتان تجوبان الحجرة بأكملها:

- لم أكن أعلم أن حجر كبار الشخصيات والأثرياء بهذه الفخامة.. أنت محظوظ بالفعل.

« لو كُنتُ محظوظاً لم أكن لأحتاج لوجودك معي هنا. »

حطمت عبارته كل انبهار أحمد ليقف ناقماً على نفسه.. كيف أطاعه!!.. وكيف ساعده!!.. خاصةً بعد ما فعل به في المطعم؟!

ولكن قد يكون لكلمة « أحتاجك » وقعها الخاص على النفس



Scanned with CamScanner

وخصوصاً حين تصدر من شخص مثل نادر..

وقف نادر بدوره فبوقوف أحمد أدرك أنه قد أنهى عمله مع فارس..

كانت الساعة تشير للواحدة فجراً وعليه المغادرة قبل أن يكتشف أحد عاملي المستشفى أنه قد أدخل رجلاً غريباً إلى حجرة مريضهم الماسي فارس..

انحنى أحمد يُغلق أزرار قميص منامة فارس بعد أن تفحصه مسبقاً ثم أعاد الغطاء فوق جسده وقد عكس وجهه بعض الضيق سرعان ما أخرجه:

- نادر.. إنه فاقد للوعي ولا يوجد سبب لتُبقي هذه الأربطة المطاطية مقيدة لذراعيه وقدميه.

- قبل أن أغادر حجرته سوف أفكها.

تجاهل أحمد رده الفظ وراح يُرخيها الواحد تلو الآخر قائلاً:

- ستكون عائقاً أمام استفادة جسده من محتوى المغذي.

تقبل نادر نصيحته على مضض فتأذي الفتى لا يقود إلا لفقدانه لوظيفته، ولذا تابع صمته وهو يراه يمسك بيد فارس بل وراحت أصابع أحمد تضغط ببعض القوة فوق أحد أظافره مما جعل نادر يسأله:

- هل هو بهذا السوء؟



Scanned with CamScanner

تنهد أحمد وعيناه تتأملان الساكن أمامه:

- نعم.. أظافره تكاد تتكسر من ضغطي الخفيف وأظنه كان ليتألم لو شعر بي..

ثم رفع كفه ليتحسس بشرة وجهه الشاحبة التي ما زالت تلتمع ببعض دموعه وأضاف:

- بشرته جافة للغاية ومتقشرة.

وخلل أصابعه بين خصلات شعره السوداء الفاحمة لتخرج منها شعرات فوق راحة يده:

- يعاني من سوء تغذية شديد وهذا ما أفقده وعيه.

التقى حاجبا نادر بشدة وعيناه تتحركان لتحدقا بالمائدة التي اعتلتها بعض الأطباق ثم قال:

- لقد تعارك معي صباح الأمس فأعطوه مهدئاً ثم نام.. وبعدها استيقظ في السابعة ليلاً وحاول قتل نفسه فأعطوه أيضاً مهدئاً ونام إلى غروب شمس اليوم، وعند نهوضه لم يتناول الطعام جيداً وظل يلهو به بملعقته ليكتفي أخيراً بشرب الماء.. بالتأكيد سيمرض فلقد ظل طوال يومين دون أي طعام.

تحرك أحمد ليقف أمام تلك المائدة وجابت عيناه كل ما حوته صحونها ثم تحدث بنبرة محتدة:

- توقف عن محاولة لصق الخطأ به.. إنه ليس مرضاً يظهر



Scanned with CamScanner

خلال يومين فقط.. إنه بسبب هذه الأطعمة التي لا تحتوي على ما يحتاجه جسده..

ثم أشار للحساء الذي حوى نوعين من الخضروات فقط.. واللذين تكررا في باقي الأطباق ولكن مطهيين بطرق أخرى فأردف باستهجان:

- لا لحم.. لا حليب.. لا فواكه.. مجرد فائض من النوع نفسه.. وهذا ما أشعره بالعطش وبقي طوال الوقت يشرب الماء فقط محاولاً تعويض نقص جسده وأنت تعلم...

« الخمول والتعب. »

اتسعت عينا أحمد لعبارة نادر المقاطعة له فيما أدار نادر بصره لينظر لفارس قائلاً ببرود:

- أعلم.. نقص ما قلته لا يؤذيه جسديّاً فقط.. فالإسراف بهذا الخضروات وتكرارها هو ما سبب له حالة خمول وتعب لساعة بأكملها ظل بها ملاصقاً لسريره قبل أن ينهض باحثاً عن قلمه.

صُدم أحمد من إدراك نادر لكل هذا، فيما ارتفعت عينا نادر للأعلى ببطء وكأنه يفكر بأمرٍ ما.. مما جعل وجه أحمد يحتقن بشدة ويصيح به:

- سحقاً لك.. لو مات فستكون أنت المسئول عنه أمام الله.

أنزل نادر نظره بحدة صارخاً بدوره:



Scanned with CamScanner

- لماذا؟!.. إنه إهمال مسئول التغذية ولا شأن لي.

- نعم.. هو مهمل.. ولكنك المعالج المسئول عنه الآن.. وأن تفكر بعدم إيقاف ذلك لأنه سيُريحك قليلاً من حركته ومتابعته.. أنت أسوأ منهم وستعاقب من أجله في الدنيا قبل الآخرة.

استشاط نادر غضباً وبصعوبة حاول خفض نبرته:

- لقد أحضرتك هنا طبيباً وليس ناصحاً.

- جئتُ هنا برغبتي وسأكون ما أريده.. ثم إنك من كنت تختار طعام والديك الكبيري السن وكنت أمام عيني تتحرى التنويع فيه حتى توفر لهما كل ما تحتاجه أجسادهما ليعيشا لوقت أطول وبصحة جيدة.

- حتى لا يزعجاني بمرضهما ورعايتهما.

- افعل معه هذا أيضاً.

- وما الذي سأجنيه من ذلك؟!

- حتى لا تحمل ذنبه بعنقك فأنت معالجه النفسي الآن.. وإن لم يُقنعك هذا فلتعلم أن المريض الذي يموت تحت رعاية أحد الأطباء لا يتم توظيفه مجدداً وتتشوه سمعته.

ارتخت ملامح نادر وبدت عليه المعاناة كمن يصارع ذاته فيما انتبه أحمد لكيس المغذي الذي فرغت محتوياته تماماً بجسد فارس فاتجه نحوه لينزع إبرته من ذراع فارس الذي صدرت عنه



Scanned with CamScanner

حركة خفيفة تنم عن تألمه جعلت أحمد يدلك موضعها قليلاً قبل أن تمتد يده نحو عينيه..

« إياك؟!.. »

صيحة نادر المهددة والمحذرة جعلت يده تتصلب قبل أن يسمعه يضيف:

« إن أردت أن يبقى وجهك سليماً. »

تأمل أحمد قناع العينين الأسود الخاص بنادر والذي كان قد وضعه نادر مسبقاً فوق عيني فارس تحسباً إذا ما أفاق أثناء علاجهما له.. ثم قال:

- لا أكاد أتخيله عنيفاً كما تقول.

ثم التفت لنادر:

- وللحق لا أظنه أكثر عنفاً منك.. ولو علموا هوايتك الحقيقية لم يكونوا ليوظفوك لرعاية طفل بريء مثله.

« لقد انتهى عملك.. هيا غادر. »

قالها نادر بحدة وهو يُلقي أدوات أحمد بالحقيبة ويغلقها فيما زفر أحمد محنقاً قبل أن يأخذها منه مكملاً نصائحه السابقة:

- افتح نافذته.. يجب أن تتعرض حجرته للتهوية.. كما ولا بد أن يتعرض جسده للشمس لوقت طويل.. اصحبه لحديقة المستشفى.



Scanned with CamScanner

« لقد منعوا خروجه من هنا. »

قالها نادر بقلة حيلة مما جعل أحمد يقول بانفعال:

- هو مريض وليس سجيناً..

ثم أدار بصره في أنحاء الحجرة ورغم فخامتها هتف باستهجان:

- سيعتاد كل ما فيها وستصبح بالنسبة له أشبه بالسجن الانفرادي.. وأنت تعلم ما تفعله تلك السجون بعقول الأصحاء فما بالك بمريض مثله.

شيء من الانزعاج والضيق كسا وجه نادر مما أثار تعجب أحمد فهو الموضوع الوحيد الذي أظهر فيه نادر موافقةً له ولم يكلف نادر نفسه إخباره بأن هذا الفتى حبيس هذا السجن الانفرادي لما يقرب الثماني السنوات..

تذكر توسل فارس الباكي له بأن يخرجه، نطقه المتلعثم، وتشبثه الغريب بذراعه، ورغم مرضه الغريب فهو يعلم أنه لم يكن مبرراً كافياً لحبسهم له!.. بل هو زاد من وطأة مرضه وضاعفه.

« أسف. »

زايل الضيق وجه نادر لينظر لأحمد الذي حمل حقيبته وتراجع نحو الباب بعد أن نطق بأسفه.

التقى حاجبا نادر بشدة لاعتذاره فكلاهما يعلمان أنه قد انتقم



Scanned with CamScanner

منه في المطعم لذا لا حاجة لاعتذاره ثم ابتسم فجأة حين فهم من نظرته المتوترة أنه يقصد شيئاً آخر.. (مهاتفته لأمه وإخبارها عن عراكه مع مريضه.).. فيما ازدادت ملامح أحمد ارتباكاً وهو يقول:

- في لحظة غضب فعلت ما فعلت.. ولكني ندمتُ جدّاً.

ظهرت ابتسامة خفيفة على شفتي نادر وهو يجيبه:

- ولكني لستُ آسفاً.. لذا لا بأس.

لم يفهم أحمد ما يعنيه وإن لم ترق له ابتسامته ومع ذلك واصل اعتذاره بإشارته لفارس قائلاً:

- تذكر غداً حين تُهاتفك والدتك أني قد كفرتُ عن خطئي بقدومي إليك الآن وعلاجه.

تظاهر نادر بعدم الفهم:

- حسناً.. لا أفهم ما تعنيه.. ولكن أنصحك أن تنام جيداً.. ولا تُبقي هاتفك مغلقاً أو صامتاً فقد تهاتفك والدتك وأنت تعلم كم تقلق بشأنك.

ضحك أحمد سروراً لاهتمامه به المفاجئ وأرجع ذلك لكونه شاكراً له مساعدته له بمنتصف الليل وفي نفسه تيقن أخيراً أن نادر يُخبئ داخله طيبة شديدة، ثم وبإخلاص شديد قال:

- هذا المغذي عوضه بعض ما يحتاج إليه جسده وسينام



Scanned with CamScanner

لثلاث ساعات وإذا ما احتجت لأي مساعدة يمكنك الاتصال بي.

- أشك في أنك ستحتفظ بعرضك هذا إلى طلوع الشمس.

تمتم نادر بضحكة ساخرة، ومجدداً شعر أحمد بالغباء وهو يودعه ليغادر المستشفى مجدداً من سلالم الطوارئ كي لا يُفتضح نادر ويكتشف أحد إدخاله لغريب.

***

مرت ثلاثُ ساعات.. وكما قال أحمد تماماً فقد كان موهوباً في مجاله على عكس أحدهم فها قد بدأت تصدر بعض الحركة الخفيفة عن فارس مُنذرة بإفاقته..

كانت الحجرة تغرق في ظلمة شديدة وكل ما شعر به فارس ذلك الألم الخفيف الذي تسلل لوعيه من ذراعه الأيمن حيث انغرست إبرة المغذي.

حرك يده اليسرى ليضغط فوقها ولأول مرة يستيقظ ويستطيع تحريك جزء من جسده دون تعب أو ثقل.. شعور غريب داهمه وهو يعتدل جالساً ليمد يده نحو مفتاح الإضاءة ولامسته أصابعه ليضغطه..

مرة..

اثنتين..



Scanned with CamScanner

ثلاثاً..

ولكن ما زال يسبح في ظلمة شديدة..

شهق بخوف.. هل فقد بصره بعد قلمه؟!.. حرك قدميه لينزل من سريره في لهفة.. سيُدير الأضواء الملاصقة لباب حجرته.. فقد تكون القريبة منه معطلة!!

وكاد يصطدم بهذا وذاك من أثاث حجرته وهو يُسرع نحوها حين لامست كفاه الحائط وأسرع يدير مفاتيح الإضاءة.. ومجدداً لا يزال غارقاً في الظلمة..

غرق قلبه في صدمة غرقت عيناه بمثلها وهما تتبللان بالدموع، ولكن احتجاز دموعه في مكانها جعله يشعر بالغرابة فهي لم تخط على وجنتيه ككل مرة، فانتبه أخيراً لتلك اللفافة الغريبة المحيطة بعينيه والتي حبست دموعه وقد كانت بحق مريحة بنسيجها القطني الذي امتص كل دموعه فامتدت يده لتسحبه بسرعة فغشى الضوء عينيه مجدداً ليُبصر اللفافة السوداء المستقرة فوق راحة يده والمتسببة بحجب الرؤية عنه..

ارتفع حاجباه، وأظهرت شفتاه ابتسامة هي الأولى منذ وقت بعيد ووجهه يعكس عدم تصديقه ما يراه..

هذا الشيء الصغير غمر قلبه بسعادة لا مثيل لها..

(سعادة لا معنى لها).. كما يراها نادر الآن الذي ظل يراقبه



Scanned with CamScanner

وأضراسه تطحن بعضها بعضاً حسرةً لنسيانه أن يأخذه معه قبل خروجه.. كيف سيستطيع النوم الآن دون قناع عينيه!!.. إنه رفيقه منذ أن كان بالإعدادية وإلى الآن.

فيما وصلت سعادة فارس لأقصاها وهو يعود ليضعه فوق عينيه ثوانيَ ثم يسحبه وهكذا.. إنه يعرفه.. بل وذكره بشيء من الماضي.. ويبدو أنه ماضٍ جميل جعل وجهه يشرق وعينيه المبتهجتين تتلفتان فيما حولهما باحثتين عن صاحبه الذي منحه إياه..

(يبحثُ عني؟!).. لم يستطع نادر تصديق تفكيره وهو يراقب فارس الذي تابع التفاتته فيما حوله قبل أن يتجه لدورة المياه ويدفع بابها ثم ينظر داخلها..

هو يبحث عنه حقّاً..

وأمام عينيه رآه يرفع قناع العينين ليشم رائحته ثم يرفع كفه ويغطي بها عينيه بالطريقة نفسها التي غطى بها نادر عينيه ثم راح يومئ برأسه عدة إيماءات وكأنه تيقن من شكوكه بأن من غطى عينيه هو نفسه صاحب القناع.

ضاقت عينا نادر ورفع كفه ليشمه ليجد رائحة عطره النفاذة ملتصقة بها.. لا بد وأن تلك الرائحة قد علقت بقناع عينيه حين كان يثبته فوق عيني فارس.



Scanned with CamScanner

« ذكي ».. همس بها نادر وكان يقصد كل حرف منها.. فارس ذكي بحق ليربط بينه وبين القناع فقط بسبب هذا التفصيل الصغير..

ولكن كيف سيستعيد قناع عينيه الآن؟!

« سحقاً »

تمتم بها وقد غشى التعب عينيه، كان مرهقاً للغاية من مراقبته لفارس ومن عمله على الحاسوب طوال وقت نوم فارس.. وقد أوشك وقت نوبته على الانتهاء، وحجرة نومه مليئة بنوافذ تحتل حائطاً بأكمله بمعنى أنها لن تمنع عنه ضوء الشمس وقت نومه.. الآن فقط..

ذلك الحاجز الزجاجي كان يفصل بين عينين ملؤهما الجحيم وعينين تعيشان النعيم..

وازداد الجحيم اشتعالاً حين رأى فارس يُسقط القناع عن عينيه ليعلقه برقبته حتى لا يفقده.. أو ليبقى قريباً من قلبه.. ومحطماً حلم نادر باستعادته..

فيما انتبه فارس فجأة لمائدة طعامه المليئة بالطعام..

كان جائعاً بالفعل..

ومداواة أحمد له جعلت جسده يشعر ببعض الصحة والشهية للطعام..



Scanned with CamScanner

جلس على مقعده لتتسع عيناه الزرقاوان وهما تتنقلان بين الأطباق المليئة بأصناف لم يَذُقها مسبقاً..

اتسعت شفتاه بابتسامة كبيرة وامتدت يده تأخذ من هذا وذاك..

كان نهماً بشدة.. وعكس وجهه استمتاعه الشديد وتلذذه بكرات اللحم والبطاطا المشوية والبيض المقلي والحليب الدافئ و.. و.. و..

شعور غريب تسلل لقلب نادر رسم طيف ابتسامة على شفتيه، وكأن مسّ السعادة والجنون الذي مسّ فارس قد مس جزءاً منه..

ولكن سرعان ما اختفت تلك الابتسامة والمشاعر، بل قتلها بلحظة مولدها فجدول طعامه الذي غيّره بعد نزوله لمسئول التغذية كان سببه أن لا يموت تحت رعايته.. وقناع العينين لم يمنحه له ليُسعده بل فقط ليُقلل من عنفه وبالتالي فإنه أخذه بسبب نسيانه له فقط..

ولكن هل تلك السعادة التي لامست قلبه فجأة لأنه ولأول مرة مُنذُ وقت طويل يؤخذ منه شيء دون مقابل ليسعد شخصاً آخر!!

أم أنها فقط عدوى أصابته من ذلك المجنون الذي قضى ليلته الماضية باكياً!!

لم يفهم نادر ولم يرد حقّاً إطالة التفكير بشيء لا طائل منه..

« إنه سعيد بجدول غذائه الجديد. »



Scanned with CamScanner

انتفض جسد نادر والتفت بحدة نحو صاحب العبارة الذي دخل دون أن يشعر به ليجده رئيس الأطباء الذي ابتسم مطمئناً له بقوله:

- أعتذر.. لم أرد إفزاعك ولكنك كنت غارقاً بالنظر إليه ومراقبته إلى الحد الذي لم تشعر معه بدخولي.

امتدت يد نادر ليُطبق حاسوبه المحمول مخفياً بذلك عشرات الصور الشنيعة التي غطت شاشته ولم ينتبه رئيس الأطباء لفعله هذا وهو يتأمل عينيه المرهقتين فقال:

- يبدو أنك بقيت مراقباً له طوال الليلة.

- إنه عملي.

رد نادر ببرود وكأنه استشعر تعجب رئيس الأطباء من ذلك.. (لِم الكل يظنونه مُهملاً للغاية؟!!)

- لقد جئت لأتحقق من أن الوضع جيد هنا ولكن ولأول مرة أراه يأكل بهذا النهم ولذا لن أعاقبك.

- تعاقبني؟!.. ما الذي ارتكبته خطأً لتفكر بذلك؟!.

سأله نادر بنبرة عصبية مستهجنة فقد اكتفى بحق من تلك الليلة العصيبة ولن يحتمل أكثر فيما أجابه رئيس الأطباء متجاهلاً جرأته عليه:

- تغييرك لجدول غذائه.. لقد اتصل بي مسئول الأغذية



Scanned with CamScanner

وأخبرني أنك كنت وقحاً في تعاملك معه بل وأنك هددته بالإبلاغ عنه للهيئة الصحية لمكافحة الفساد.

اشتدت قبضة نادر.. (العجوز الجبان يسرق طعام الفتى ثم يتشكى كالأطفال!!).. بالكاد كتمها داخله حتى لا تخرج من بين شفتيه وهو يهدأ ليقول:

- الفتى يُعاني من سوء تغذية شديد قد يؤدي لموته قبل أن أُتم الستة الأشهر الخاصة بي.. وأنا لست مستعدّاً لتحمل خطأ شخص آخر.

أدرك رئيس الأطباء من حديثه أنه ليس مكترثاً لفارس إطلاقاً وما فعله يصب في مصلحته الشخصية إضافة لمصلحة المستشفى فصحة فتىً مثل فارس قد تؤثر سلباً على سمعة مستشفاهم الذائع الصيت فقال بتقدير كبير:

- حسناً.. سأخبره بأنك المسئول عن ذلك وأن يطيعك.

ثم اكتست لهجته بلطف يُعاكس لقاءه الأول به وهو يردف:

- اسمي سالم.. ويمكنك التواصل معي شخصيّاً إذا ما صادفتك أي مشكلة في العناية به.. فهذا الفتى مهم جدّاً للمستشفى.

وجود رئيس الأطباء في الحجرة معه كان كفيلاً بأن يدرك نادر ذلك دون الحاجة لأن يخبره.. وبجدية واهتمام أومأ برأسه إيجاباً..



Scanned with CamScanner

وبحق كان كل ما يعانيه نادر الآن هو اتخاذ القرار في إذا ما كان بحاجة لأن يعامل الواقف أمامه بأدب؟!.. فيكفي المدير ليهتم لأمره ليصبحا الآن اثنين!.. على حين غادر رئيس الأطباء وأغلق الباب من خلفه..

« ألم يمت بعد؟! »

انتفض جسد نادر بفزع وياسر يقف أمام الحاجز محدقاً بفارس وقد كشر عن أسنانه ضاحكاً وهو يضيف:

« ظننته سيكون ميتاً بحلول الصباح. »

- بقي خمس دقائق على السادسة تماماً أي على نوبتك؟!.. ثم كيف دخلت دون أن أراك؟!

- استعجلت خشية أن أكون أنا الميت بيديك إذا ما تأخرت.

قالها دون خجل وهو يمشي ليرتمي فوق الأريكة مستطرداً:

- ودخلت أثناء انشغالك بالحديث مع سالم..

وامتلأت لهجته بخبث مقيت: « كنت مصدوماً ولا أكاد أصدق فلقد كنت بشراً طبيعيّاً في حديثك معه لذا بقيت كالتمثال محدقاً بك. »

عبارته استفزت نادر بالكامل وعبثت ببعض كرامته ليرد:

- أنا هكذا مع البشر.

إهانة جديدة احتقن لها وجه ياسر.. إذاً فهو ليس من البشر..



Scanned with CamScanner

ماذا يظنه إذاً؟!.. ذبابة بالتأكيد.

« تبّـاً.. أنا أريد حقّاً أن أكون صديقاً لك. »

قالها ياسـر بانفعال وهو يرفع كيسـاً مُلئ بأقراص الفيديو التي تنوعت ما بين أفلام الأكشن والرعب ليتابع بإحباط:

- حتى أني أحضـرت أقراصـاً كي نشـاهدها معاً في وقتنا المشترك كي لا تشعر بالملل.

نظرة نادر المتسعة نبأته بقدر استهجانه واستنكاره لهذه الفكرة حتى أنه لم ينطق وكأنه لا يسـتطيع أن يتخيل مجرد تخيل أن يشاركه المشاهدة..

« أسف.. ليس لدي اهتمام بك. »

قالها نادر بسخرية بعد دقائق ليحمر وجه ياسر خجلاً وغضباً فقد فهم ما يقصده تماماً.

« وغد قذر.. لدي خطيبة.. »

- أسف من أجلها.

قالها نادر بنبرة بها أسىً لتتحطم كل جسـور الصـلة بينه وبين ياسر الذي أشار إلى حجرته آمراً:

- لقد بدأ وقتي.. اذهب.. لا أريد رؤيتك.

حطت تلك العبارة كالبلسـم على قلب نادر الذي اسـتقبلها بابتسـامة وراح يلملم أغراضـه ليغادر إلى حجرة نومه فيما أسـقط



Scanned with CamScanner

في يد ياسر فهو لن يستطيع مجادلته أو إغاظته أبداً.

التفت بتأفف وتململ نحو مريضه ليراه يقف أمام باب حجرته يطرقه بأدب وقد شدت يده بلطف حول القناع الأسود المحيط بعنقه متمتماً بعدة كلمات لم يستطع تمييزها فالتفت بحيرة نحو نادر ليجده متجمداً وقد حملت عيناه نظرة عميقة مندهشة ثم ابتسم فجأة..

« ماذا يقول؟! »

اختفت ابتسامة نادر مع سؤال ياسر وتجاهل إجابته ليتجه نحو حجرته صافقاً الباب خلفه.

***

مرت ساعة بأكملها ونادر يتقلب فوق سريره دون أن يعلم هل هو لم يستطع النوم بسبب فقدانه لقناع عينيه!! أم بسبب ما قاله فارس!!..

لم يستطع منع ضحكة خافتة من التفلت من بين شفتيه وهو يكرر قوله:

« أريد شرائح برقر على العشاء. »

هل هو يهزأ به؟!.. أم يظنه خادمه؟!

ألم يكفه ما مر به مع مسئول الأغذية كي يغير وجبته؟!

ضحك مجدداً من طلبه وتفاؤله بأنه قد يحققه له.



Scanned with CamScanner

تذكر ابتسامته العذبة وطرقه الخفيف على الباب ويده مشتدة حول قناع العينين الخاص به..

« من الجيد أنه لم يُثِرْ جلبة ويفضح ما حدث في نوبتي الأولى معه. »

قالها وهو يرفع اللحاف ليغطي به رأسه ومن الجيد أن إرهاقه وتعبه كانا ذوَيْ فائدة ليغرق في النوم بدون قناع عينيه المسلوب.

***



Scanned with CamScanner

# الفصل الخامس

مر أسبوع ونصف الأسبوع على تلك الحادثة وبالطبع لم يحقق نادر طلب فارس الغريب والذي ظل يكرره طوال تلك الأيام، سواء في نوبة ياسر أو نادر..

والشيء الوحيد الذي استجد أنه لم يصدر عن فارس أي تصرف عنيف تجاه نفسه، أو تجاه ما يشاركه حجرته من أثاث، بل ولم يكرر بكاءه من أجل قلمه المسلوب، وظهر أن صحته قد تحسنت بعض الشيء وأشرق وجهه بعد تغييرهم لوجباته..

كانت أياماً مُريحة قضاها نادر مستمتعاً بإنجاز ما لديه على الحاسوب رغم استمرار تلك الطرقات المؤدبة والخافتة من فارس المنادي له دون يأس أن يجلب له ذلك الصنف من الطعام..

***

كان اليوم الخامس عشر من تسلم نادر لوظيفته، الساعة الواحدة فجراً، حين أخذ الضجر من نادر مأخذه لعدم تسلمه مهمة جديدة تزيد من رصيده البنكي..

« تبّاً.. إلى متى سأنتظر؟!.. هل أصبح العالم مثاليّاً فجأة! »

تذمر وهو يلتفت لينظر بانزعاج لفارس المتكئ بظهره على



Scanned with CamScanner

باب حجرته وظهر كفه اليمنى يتابع طرقه الباب بأدب مستجدياً نادر أن يقدم له برقر..

« ألا ييأس أبداً؟! »

بابتسامة قالها نادر وللحق لم يجد أشد عناداً منه إلا هذا الفتى.. فلا هو أجاب طلبه ولا الفتى توقف عن الطلب.

تجاهله كعادته ليفكر بم يشغل نفسه ثم قرر أخيراً شرب كوب من القهوة وإلا فإنه مع كل هذا الضجر قد ينام ويترك الفتى بلا مراقب.

استقام أمام آلة صنع القهوة لينتبه لعدد من الأزرار المتراصة على الحائط خلفها، مد سبابته بفضول ليضغط أحدها فاتسعت عيناه عن آخرهما حين فُتح فجأة سياج نافذة حجرة فارس أوتوماتيكياً..

وقبل أن يضغط الزر لإغلاقها رأى عينيْ فارس المشدوهتين وفمه الذي توسع بصراخ وهو يقفز راكضاً بسرعة ليقف أمامها ثم دفع دفة النافذة الزجاجية على مصراعيها.. كانت السعادة تملأ ملامحه.. بل وأخرج ذراعيه وراح يضرب الهواء الخارجي بنشوة وقد علت ضحكاته.. كان كالطفل تماماً.

تصلبت يد نادر فلو أغلقها فسيعود السياج على ذراعي فارس وسيتأذى بالتأكيد..



Scanned with CamScanner

غرق وسـط حيرته وبعد عدة دقائق من المعاناة قرر عدم إغلاقها حتى يبتعد فارس بنفسـه، فنحول ذراعيه يجعل من المستحيل أن يستطيع أحد ملاحظته ومن الطابق السابع، كما أنها الواحدة فجراً ومن المحتمل أن الجميع نائمون.

زفر بنقمة فلولا صغر حجمها مقارنة بجسد فارس لكان الآن مضـطرّاً بسـبب تهوره للدخول وجره بعيداً عنها فما أدراه أنه لن يستخدمها لقتل نفسه.

صنع كوب قهوته وتصلب أمام الزرين الآخرين المجهولين، نهته نفسـه عن تهور جديد وحذرته مما حدث قبل قليل إلا أن ضجره انتصر على عقله مبرراً له طيشه أنه لن يكون هناك ما هو أسوأ من فتح النافذة فضغطهما تتالياً وراح يتلفت فيما حوله إن كان حدث شيء جديد..

لكن لا جديد..

وعندها تحرك ليجلس أمام مكتبه يرتشف من قهوته، فيما انشـغل فارس بأخذ نفس عميق من الهواء سـرعان ما أخرجه باستمتاع كبير، وكفاه تلامسهما فجأة قطرات غريبة جعلت وجهه يتفجر سروراً وبهجة..

« مطـــر. »

صـرخ فارس بنشـوة عارمة لينتفض جسـد نادر الغافل بفزع



Scanned with CamScanner

وأسقط كوب قهوته فأحرق فخذه.. تأوه وشتم ووقف بسرعة ليأخذ منشفة جفف بها بنطاله وطرف قميصه إلا أنه سمع مجدداً ذلك الصوت الذي أفزعه فامتقع وجهه بشدة..

نظر الى حيث فارس فرآه يخرج ذراعه أكثر لتغرقها مياه الأمطار وصوت صراخه السعيد يهز طبلتي أذني نادر فشحب وجهه وجلاً، والتفت للزرين اللذين فتحهما سابقاً.. هل هما السبب في وصول صوت فارس إليه؟!

أسرع نحوهما ليغلقهما ومع اقترابه منها ارتفع فجأة في فضاء الحجرة صوت ترتيل للقرآن من هاتفه فالتحم حاجباه لتذكره انشغاله بتحميل المقطع الصوتي المرسل إليه من والده حين صدحت صيحة فارس وأفزعته..

كانت تلاوة بصوته، بصوت نادر، بدا أن والده أرسلها إليه وكأنه يذكره كم افتقده وافتقد وجوده إلى جواره يلبي له طلبه بقراءته القرآن عليه.

إلا أن نادر تجاهل إغلاق هاتفه وهمّ بإغلاق الزرين الأهم حين بلغ سمعه صوت شهقة عالية غريبة فأدار بصره إلى حيث الحاجز الزجاجي لتصطدم عيناه بمرأى فارس المذهول ورأسه يتحرك يمنة ويسرة وكأنه يبحث عن شيء ما..

وعلى الرغم من ظلمة ما حول فارس بسبب الإضاءة الخافتة



Scanned with CamScanner

لحلول وقت نومه إلا أن وقوفه أمام النافذة المفتوحة جعل نور القمر يجدُ طريقاً لينعكس على تلك القطرات التي تسللت لتبلل عينيه المتسعتين وهو يغادر النافذة ليتجه ببطء نحو الحاجز..

تكدر مزاجه المفاجئ أدهش نادر فقد كان يضحك منذ لحظات، ومع اقترابه من الحاجز استطاع تمييز اللهفة في عينيه لشيء ما بل رفع يديه يلمس الحاجز الحائل بينه وبين ذاك الشيء..

عدة ثوان مرت قبل أن تكسو وجه فارس الخيبة ويتراجع بإهمال للخلف فيما أغمض نادر عينيه وتنهد بتعب:

- الصداع الذي سيسببه لي الآن بتنقله من زاوية لأخرى أقل مما أستحقه فأنا من جلبت هذا لنفسي.

لم يكد يقولها حتى سمع صوت جلبة فالتفت بحدة ليرى فارس ساقطاً على الأرض بعد تعثره بإحدى وساداته الساقطة وقد عكس وجهه ألماً شديداً..

« أخرق. »

صرخ نادر من خلف الحاجز ليصدمه سلوك فارس حين قفز مبتعداً عن الحاجز في ذعر شديد..

أظلمت عينا نادر فلم يكن فارس ليسمعه من خلف الحاجز العازل للصوت!.. وقفزت لتفكيره فكرة مريعة.. ماذا لو كان



Scanned with CamScanner

فارس هو الآخر قادراً على سماعه بسبب تلك الأزرار؟!

أسرع نحوها ليتفحصها فصدم بالرسوم المنقوشة عليها فأحدها عليه رمز مكبر الصوت بينما الآخر سماعة وهذا يعني أن أحدها مسؤول عن إيصال صوته لفارس كما أوصل الآخر صوت فارس إليه.

لقد تواصل مع المريض!.. تلك كارثة وخطأٌ فادح يكسر الشروط بينه وبين المدير وقد تكون عاقبته فقده لوظيفته..

« تبّاً.. » وأغلق الزرين ليُنهي تلك المشكلة، سيحفظها في قلبه ويأخذها معه لقبره دون أن يخبر أحداً بطيشه نتيجة فراغه المزعج وفي تأفف سحب هاتفه لينظر لرسالة والده وتصلبت كفه.. ماذا لو كان سبب تلك الدموع بعيني فارس سماعه لصوت التلاوة؟!

« سحقاً.. لا.. »

زجر نفسه إلا أن روحه بأكملها سكنتها رغبة مجنونة للتيقن من صحة تخمينه وتغلب عليه شيطان فضوله بعد عدة دقائق، فاقترب من المايك وعيناه تركزان على جسد فارس المرتجف فوق السرير والملتصق بالحائط بخوف..

أخذ نفساً عميقاً ثم ضغط الزر ليبدأ بترتيل شيء من القرآن من حفظه الخاص، ومع صوته العذب الذي استقبله المايك ليبعثه في حجرة فارس رآه.. رآه يلتفت باتجاه مصدر الصوت،



Scanned with CamScanner

نحو الحاجز الفاصل بينهما، وقد امتلأت عيناه بالدموع بل وغادر سريره ليخطو مجدداً نحو الحاجز..

تصلب نادر وصمت بصدمة غير مصدق أن فارس كان تأثره ناتجاً عن صوت الترتيل.. ومع صمته توقف فارس ليتلفت بجنون فيما حوله وعندها قرر نادر متابعة ترتيله بصوت أعلى واستجابة لذلك الصوت تحرك فارس أيضاً إلى أن توقف فجأة بعجز أمام الحاجز الزجاجي فتحرك نادر بدوره ليقابله وجهاً لوجه..

ولم يكد يفعل ذلك حتى التقى حاجباه بشدة لوجهه المحمر العاكس تأثره الشديد بل امتدت كفاه لتلامسا الحاجز الزجاجي قبل أن يلتصق بجسده كله فيه وشفتاه تنطقان دون صوت..

لم يفهم نادر ما الذي تتحرك به شفتاه وكان مضطراً ليقطع ترتيله، ثم راح يحرك شفتيه بنفس طريقة تحريك فارس لهما

« مـ.. مـ.. ا... يـا... »

« مايا ».. همس بها نادر وقد التقى حاجباه بشدة.. من مايا؟!.. ولماذا ينادي فارس باسمها؟!

فيما واصل فارس تكراره لذلك الاسم وكأن الترتيل قد ذكره بها..

وفجأة ارتفع نشيج فارس حتى أن نادر استطاع سماع صوت



Scanned with CamScanner

بكائه، كان بكاؤه ينمُّ عن حرقة قلب شديدة وهو يَحني جبينه على الحاجز، ودموعه تواصل تدفقها من عينيه لتغرق وجنتيه وتنساب فوق الحاجز الزجاجي..

ودون أن يعي وجد نادر يده تمتد بضيق لتلامس تلك الدموع من الجانب الآخر.. تلك الدموع التي ارتاحت عينا فارس من سكبها لأسبوعين بأكملهما..

فما الذي تسبب بذرفه لها الليلة إذاً؟!

وبغتة اختلط صوت بكائه بعدة كلمات:

« لَمى.. لَمى.. أنا قتلتها.. كلا.. لم أقتلها.. أنا سيئ.. كلا لم أكن قادراً فقط.. أنا لا أستحق أن أعيش مايا. ».

ملامحه عكست اضطرابه وتناقض أفكاره الشديد بين كونه سيئاً أم لا، ولكن أدرك نادر أخيراً أن فارس قد حسم حيرته حين علقت كلماته الأخيرة في شفتيه بل وراح يضرب رأسه بخفة فوق الحاجز الزجاجي صارخاً:

« أنا لا أستحق أن أعيش.. أنا لا أستحق العيش.. أنا لا أستحق العيش. » واشتد دكه لرأسه بالحاجز ليُفتح جرح في جبهته سالت منه الدماء لتختلط بدموعه.

« توقف. »

صرخ نادر بغضب وأسرع ليغادر حجرته إلى حيث حجرة



Scanned with CamScanner

فارس ساحباً في طريقه حقنة مهدئ فهو يدرك أنه إن لم يتصرف سريعاً فلن يكون قادراً على علاج جرح أكبر بجبهته كما أن أحمد بعد مغادرته تلك الليلة لم يتصل به ولأسبوعين بأكملهما مما يدل على أنه قد ناله انتقامه وأنه لن يساعده هذه المرة ولو كان على فراش الموت..

وعلى الرغم من سماع فارس لصوت نادر عبر المايك إلا أنه لم يتوقف وكأنه قد غرق في ألم آخر يفوق ألم رأسه، ألم معنوي دفعه وبشدة لتخليص العالم من بقاء عاجز مثله..

وتساقطت قطرات الدماء من رأسه المحني فوق الحاجز لتصنع بقعاً صغيرة عند قدميه مرافقة قطرات دموعه..

ومع ذلك لم يتوقف..

ظل يضرب ويضرب رأسه بالحاجز مرات ومرات حتى أنه لم يشعر بباب حجرته الذي فُتح..

« تبـّـاً.. قلتُ لك توقف. »

ولولا هذه الصيحات العنيفة التي أطلقها نادر لم يكن لينتبه فارس أبداً لدخوله..

نادر نفسه تصلب وشتم تهوره ألف مرة حين رأى تجمد فارس بعد سماعه لصوته وسط حجرته، وهنا تيقن نادر أن الصوت أحد مثيرات مرضه وهذا يعني عنفاً أشد..



Scanned with CamScanner

وباتجاه من؟!.. باتجاه جسد نادر..

ولم يكن الوقت ليسعفه ليقيده أو يغطي عينيه كالسابق فالمسافة التي تفصله عن فارس ليست بقصيرة كما أن فارس ليس مُديراً ظهره له، بل والأسوأ ها هو يرفع رأسه لينظر إليه..

وذلك يعني انفجاراً وشيكاً بينهما يشبه لقاءهما الأول..

وعلى الرغم من أن رأس فارس يؤلمه والدماء ما زالت تتدفق منه إلا أن ذلك كله لم يمنع من أن تحمر عيناه وتشتد قبضته استعداداً للعراك وكفه الأخرى ترتفع لتسند جسده على الحاجز إثر دوار كاد يفقده توازنه..

(هو الحثالة نفسه!!.. صحيح.. الصوت ليس شبيهاً بصوته!.. لكنه يستطيع تغييره كما يستطيع تغيير شكله!!.. هو يحاول خداعي مجدداً والتلاعب بي ولكني لن أسمح له.. سأبطش به.. سأقتله فهو من جعل مني هكذا.)

تخاطرت هذه الأفكار دفعةً واحدةً على عقل فارس المضطرب وعيناه المتقدتان شرّاً تسقطان أخيراً على جسد نادر..

ولكن..

بسبب الدماء المنسابة على عينيه والدموع المحتجزة بين أهدابه لم يرَ سوى ظل يفوقه طولاً..

كان بصره مشوشاً بالكامل..



Scanned with CamScanner

وذلك أزعجه..

رفع قبضته المنشدة ليمسح عينيه ولكن لم يكد يرفعها حتى شعر بذراع ذلك الشخص تلتف حول رأسه ثم سحبه بقوة نحوه ليصطدم وجهه بكتفه مانعاً له من رؤيته..

تلك الضغطة كانت قوية بالفعل كاد يُسحق معها أنف فارس فوق كتف نادر، شعر بالاختناق ولكن شعوره بالعجز والغضب كان أشد فرفع قبضتيه محاولاً دفعه بعيداً عنه.. ولكن نادر لم يخفف من ضغطه أبداً بل ظل شادّاً بكفه اليمنى على رأسه أتبعها بذراعه اليسرى التي لفها حول جسد فارس ضامّاً له وشالّاً بذلك حركته..

وعلى الرغم من قوة نادر مقارنةً بجسد فارس الواهن والمصاب إلا أن نادر استشعر من مقاومته العشوائية مدى كرهه وبغضه وحقده على الشخص الذي يصوره له عقله..

كان يصرخ وبالكاد يحرك ذراعيه من أسفل منه، وراحت قدمه تضرب قدمي نادر ولكنها ضربات بالكاد شعر بها نادر فقد شلّ حركته بالفعل.. بل وأرهقه.. وأشعره بالعجز لدرجة الألم فتبللت عيناه مجدداً بدموع انكسار انطبعت على قميص نادر وهدأت حركته تماماً..

لقد استسلم أخيراً كمن أدرك أنه عديم الفائدة أمام هذا



Scanned with CamScanner

العملاق كالماضـــي تماماً.. فليفعل به إذاً ما يفعل!!.. بل فليقتله ويرِحْه من نفسه البائسة!!..

ظل ساكناً لدقائق لا يصحب صوت قطرات المطر بالخارج سوى صوت نشيجه الباكي.. وكانت فرصة مثالية لنادر ليُخرج الحقنة من جيب قميصه ويغرسها في كتفه فما زال يشعر بدفء دماء جرحه وهذا يعني أنه إن لم يتوقف عن النزف ويضمده سريعاً سيتأذى ويوقعه في ورطة مع مدير المستشفى..

« اقتلنـــي. »

تصلبت ملامح نادر وانفرجت شفتاه استهجاناً لصراخ فارس بكلمته تلك..

تلك الكلمة أشعرت نادر بمدى الذل والبؤس اللذين وصل إليهما فارس ليطلب منه ذلك.. كلا.. بل هو الآن يطلبه من شخص آخر.. من الشخص الذي يُصوره له عقله ويكرهه أشد الكره..

لم يفهم نادر لِمَ شعر بالغضب فجأة بل انتفخت أوداجه ووجد نفسه ينطق دون تفكير:

- لقليل من العجز شعرت به تُسلم نفسك بكل بساطة لأي شخص كي يؤذيك.. كم أنت جبان!

لم يكد ينطقها حتى اصفر وجهه وشتم نفسه الغبية، فبالكاد



Scanned with CamScanner

هدأ فارس وها هو الآن يُثيره بصوته فقط لأن طبيعته العنيدة التي لم تعتد الاستسلام كرهت جبنه، وبالفعل كان لقوله أثر سيئ فقد توقفت دموع فارس وكاد يستأنف عنفه السابق معه فقد أهانه بشدة..

« ذلك الشخص الذي كان يتلو القرآن هو أنا. »

هتف نادر بارتباك وبابتسامة باهتة، كانت مجرد فكرة بائسة قفزت لعقله، إلا أنه وجد أنه لا بأس من تجربتها ما دام قد فقد أمله بتهدئته..

ولكن ولدهشته تلك الكلمات جعلت كل ذرة من كيان فارس تسكن.. بل وشعر نادر بأنفاسه المتباطئة وتصلبه..

لقد شلت كيانه لتعبث برأسه..

بتفكيره..

ولم يظن نادر أنها قد تكون ذات أثر كبير عليه، ومجدداً كانت فرصته المثالية لينتزع الحقنة..

ولكن وقبل أن يهمّ بفعلها كان قد أعاد فارس رأسه للخلف محاولاً رؤية نادر فشد نادر على رأسه مبقياً له على كتفه وهاتفاً به:

« لا تنظر! »

كانت كلمتان فقط احتاجهما فارس ليتيقن أن هذا الصوت هو



Scanned with CamScanner

نفسه الصوت الذي سمع منه التلاوة سابقاً..

ومع رحيل كل ذلك الغضـــب من أعماقه وإدراكه أن من أمامه شخص مختلف عمّن يتوقعه..

اشتم أنفه العطر نفسه..

عطر نادر..

ذلك الشخص الذي لم يؤذه واكتفى بتغطية عينيه..

بل ومنحه قناع عينيه..

وغيّر له وجبات طعامه..

والآن أيضاً هو لم يؤذه..

واكتفى بتقييد حركته.. بل واحتمل هيجانه..

والأهم من هذا كله..

شخص مختلف..

شخص مختلف..

شخص حقيقي..

ليس مطارده المتنكر وسجانه..

وفي هذه المرة كان نادر قد نجح بانتزاع الحقنة حين شـــعر برأس فارس الذي انحنى أكثر على كتفه بل وكفيه اللتين ارتفعتا لتشدا على قميصه بقوة.. بل كادتا تمزقانه وكأنه يخشى اختفاءه..



Scanned with CamScanner

لينهار كل تماسكه على هيئة جيش جديد من الدموع..

دموع حارة حارقة شكت ألم وحزن ثماني سنوات..

وارتفع شهيقه وزفيره مطلقاً أنفاساً ملتهبة..

كان يشهق بالبكاء حتى خُيّل لنادر أن أنفاسه قد انقطعت وما عاد قادراً على التنفس..

ارتخت ملامح نادر وما عاد قادراً بحق على استخدام حقنته وهو يشعر به يتشبث به أكثر فأرخى ذراعيه فهو لم يعد بحاجة لتقييده..

« أخرجني. »

نطق بها فارس بتوسل وبصوت مرتجف مهزوز..

- لا أستطيع.

أجابه نادر بكل صدق بعد دقيقة صمت.. فلماذا يكذب عليه؟! ويغرقه في أمل زائف؟!

ازداد بكاؤه حدة ولاحظ نادر أن عنفه قد تبدد بل وتَحَوّل لذاته المسالمة..

« ألأني سيئ؟! »

بحروف متوجعة مختنقة ببكائه سأل فجأة، ولم يعلم نادر إن كان ظن عن نفسه أنه سيئ لأنه رفض إخراجه من حبسه؟! أو بسبب ما قاله سابقاً أمام الحاجز عن كونه قاتلاً؟!..



Scanned with CamScanner

انتبه فجأة لتناقضه الشديد ففي المرةِ الماضية كان يخبره عن كونه ليس سيئاً وأنه سيُحسن التصرف إذا ما أخرجه!! والآن يسأله إذا ما كان سيئاً!!..

ولم يأخذ الأمر كثيراً من نادر ليُدرك أن الفتى لا يعاني من المتلازمة فقط.. بل من عدة أمراض نفسية أخرى قد يكون كل واحد منها أشدَّ سوءاً من الآخر..

فهو إضافة للمتلازمة تتعذب نفسه وتُكابد عقدة ذنب مرضي لماضٍ لا يغفره لنفسه..

يُعاني من اتهام الذات وضعف الأنا..

بل الأسوأ على الإطلاق الفتى غارق بعمق وسط اكتئاب حاد وهو ما تسبب بدفعه لمحاولة الانتحار مراراً وتكراراً..

كل تلك المشاعر السلبية والأمراض النفسية ما دام يصاحبها الاكتئاب فهو بلا شك سيجعلها أضخم وأقوى ضرراً..

الآن فقط أدرك سر بكائه الشديد وعدم قدرته على إيقاف دموعه ومنعها كباقي الفتيان..

الشعور بالاكتئاب ليس بخيار حر، فالإنسان لا يبحث عنه ولا يستجلبه، تماماً كالإنسان الذي لا يبحث عن مرض السرطان أو مرض السكر.

هدأت تعابير نادر وعسليتاه تنزلان للأسفل ينظر نحوه، ما زال



Scanned with CamScanner

الفتى يتشبث به ويكرر سؤاله الغريب عن رأيه به..

سؤاله كان بمثابة رسالة تستجدي دعم ومواساة يجب عدم التغاضي عنها.. رسالة تكشف أنه داخليًا ليس على ما يرام.. وفي كثير من الحالات يعجز مريض مثله عن التعبير عن ألمه ومعاناته، ولا يملك الوسائل للتعبير عنها ولكن فارس بسؤاله فقط كان قد أوصل كل شعوره وألمه ومعاناته لنادر..

« أخبرني.. هل أنا سيئ؟! »

أعادها فارس بنبرة باكية مُلحة مستجديًا الإجابة من نادر بكل لهفة ليحسم شكه ويتخذ قراره ما بين خيارين..

إما الموت.. أو الحياة..

الحياة إذا ما أخبره نادر أنه ليس كذلك..

والموت وقتل نفسه إذا ما أكد له صدق شعوره بأنه سيئ..

« نعم أنت سيئ. »

شحب وجه فارس وارتخت أصابعه من فوق قميص نادر وانقبض قلبه.. تلك الإجابة بدت كما لو أنها قتلته قبل أن يقتل نفسه..

حتى هذا الشخص الذي لا يعرفه وعلّق القليل من الأمل به قد حطمه وقتل أمله الضئيل..

« لأنك آذيت نفسك. »



Scanned with CamScanner

أردف نادر فجأة بحدة ليشعر بحركة فارس المعترض على إجابته فليس هذا ما كان يسأل عنه..

بل كان يسأل إذا ما كان سيئاً لمقتل لَمى.. لمغادرتها الحياة أمام عينيه..

ولكن نادر لم يسمح بابتعاده وهو يتابع قوله:

- أنت سيئ جداً لإيذائك نفسك.. وإذا ما حاولت أن تفعل ذلك مجدداً فستكون أسوأ بالتأكيد وعندها أنا من سيرغب بقتلك.

وشدد على كلمته الأخيرة وكأنه يرسل له تهديداً ساخراً فما دام فارس لا يريد أن يكون سيئاً فلا بأس من أن يستفيد من ذلك في مهمته..

«أنا لا أعني هذا..»

رد فارس بحدة مؤمناً أنه بمحاولة قتله لنفسه ليس سيئاً بل ومتيقناً من ذلك ولكن كلمات نادر التالية عبثت بكل أفكاره بل وقلبت كل تيقنه لشك وكل شكوكه ليقين.

- أيها الفتى عندما يخبرك الآخرون أنك سيئ فأنت سيئ.. ولكن عندما تخبر نفسك أنك سيئ فأنت لست السيئ.. فالأشخاص السيئون والمجرمون والأشرار لا يعلمون أنهم سيئون إلا عندما يخبرهم من حولهم أنهم سيئون حتى أن بعضهم



Scanned with CamScanner

يدخل السجن لجريمة ارتكبها وهو ما زال يصر على أنه كان محقّاً وليس سيئاً بل ولا يشعر بأي ندم.

تلك الكلمات كانت محملة بعاطفة غريبة أحس بها فارس ولامست قلبه وشدت كل انتباهه.. إذاً ما دام يشعر بأنه سيئ فهو حقيقةً ليس سيئاً لأن المجرمين لا مشاعر لهم ولا يشعرون بالسوء لجرائمهم بل والأسوأ أنهم يرون أنفسهم جيدين.. (إذاً هو ليس سيئاً).. كان قد وصل به تفكيره إلى هذا الحد حين سمع سؤال نادر التالي:

- إذاً هل أخبرك أحد قبلي أنك سيئ؟

أومأ فارس برأسه أن « لا » حتى أنه لم يستطع النطق فقال نادر بابتسامة:

- إذاً أنت لست سيئاً أبداً.. حتى هذه اللحظة لمحاولتك إيذاء نفسك.

شيء ما تفجر في قلب فارس، شعور لا حدود له من الراحة أسال دموع ابتهاج تعاكس سابقتها وهو ينطق:

- لن أؤذي نفسي مجدداً.

وابتسم « لأني لا أريد أن تراني سيئاً. »

وكاد قلب نادر يرقصُ فرحاً.. كانت معضلة ولكنه استفاد منها لستة أشهر قادمة.. لن يرهق نفسه مستقبلاً بإنقاذه ولا



Scanned with CamScanner

بمعالجة عنفه وجنونه..

فقط سيراقبه من خلف الحاجز بكل ارتياح..

شعر بالفخر لذكائه وتيسير مهمته مستقبلاً وبالتالي بقاء وظيفته..

ولم يدرك فارس ذلك كله.. وسيطرت عليه رغبة عارمة برؤية وجه نادر، ولكن لم يكد يُبعد رأسه قليلاً حتى داهمه ألم شديد من جرح رأسه..

تأوهه جعل نادر يرتبك بشدة لنسيانه جرحه وعندها مد يده ليلامس ياقة قميصه ساحباً لها للأسفل كاشفاً عن كتفه ثم غرس نصل الحقنة في كتفه..

والغريب أن فارس لم يُبدِ أي مقاومة وكأنه يأتمنه نفسه، وباستسلام تام عقد حاجبيه فقط والنصل يخترق كتفه مؤلماً له ومرسلاً سيلاً من الخدر جعل جسده يرتخي بالكامل..

وبالكاد استطاع نادر إمساكه وجسده يزداد ارتخاؤه حتى أن رأسه سقط للخلف ليظهر أمام عيني نادر وجهه وقد علت شفتيه ابتسامة واهنة وعيناه تحدقان به..

أسرع نادر يسحب قناع العينين المعلق برقبته ليغطي به عينيه ولكن صدمته يد فارس التي شدت عليه مانعةً له متمتماً بوهن..:

« سيتسخ »



Scanned with CamScanner

بالكاد قالها ليفهم نادر سبب رفضه.. لا يريد أن يتسخ قناع العينين بدمائه..

(هذا الشيء السخيف يعني له الكثير حتى أكثر من صحته.)..

تمتم بها نادر باستنكار شديد ولكن بحق لم يكن بحاجة لاستخدامه فعينا فارس بالكاد مفتوحتان..

« أنت.. أيضاً.. لستَ سيئاً. »

غادر اللون وجه نادر لعبارة فارس - التي بالكاد نطقها مقاوماً ثقل لسانه - واتسعت عيناه ولو رأى أحد تصلبه لظن أنه فقد الشعور بما حوله وعيناه تحدقان بوجوم بوجه فارس المبتسم..

كلماته الجميلة شعر بها تُعذبه أكثر من كونها تمتدحه.. كانت كخنجر نكأ جرحاً قديماً وراح يدور وسطه متلذذاً بإيلامه..

لامست نقطة ضعف لطالما كرهها.. وفي أعماقه شعر أن فارس قد استشف من كلماته السابقة شيئاً من شعوره المخبأ لذلك قالها له..

زفر بقوة فبقدر ما أثرت به..

قد آذته.. قد أغضبته..

والأسوأ من ذلك نقمت نفسه على صاحبها..

ولدقائق قاوم نفسه قبل أن يُظلم وجهه وهو ينحني ليحمله ثم بغلظة وضعه فوق سريره ليهتم بجرح جبهته..



Scanned with CamScanner

وفي نفسه قرر قراراً لن يستطيع أحد ثنيه عنه مهما كان..
حتى لو كان فيه فقدان المال الذي يسعى إليه..

***



Scanned with CamScanner

# الفصل السادس

- 21 مايو -

« ماذا حدث لرأسه؟! »

كانت السادسة صباحاً حين صرخ ياسر بجزع ووجهه الملتصق بالحاجز الزجاجي يكاد يخترقه محدقاً بفارس الذي التف شاش حول رأسه وقد غرق في نوم عميق، ثم التفت بحدة نحو نادر سائلاً بوجل:

- هل حاول قتل نفسه؟

أومأ نادر برأسه إيجاباً ليشهق ياسر غير مصدق إجابته السريعة لسؤاله، فيما استشعر من وجهه المتجهم وعينيه الفاترتين أنه منزعج للغاية بل وعلى غير سجيته..

« إنه مُزعج ومُرهق ومُتعب.. لا أعلم سبب حفظكم لحياته؟! »

قالها ليُصعق ياسر تماماً وهو يراه ينحني ليحمل حقيبة كبيرة على كتفه بعد ارتدائه لمعطف يقيه الأمطار بالخارج - والتي لم تتوقف - رامياً معطفه الطبي فوق الأريكة..

« أنت راحل؟! »

صرخ ياسر بضيق وصدمة ولكن نادر لم يهتم بالرد عليه،



Scanned with CamScanner

وعيناه تُحدقان بذلك الساكن فوق السرير للحظات قبل أن يغادر صافقاً الباب خلفه.

***

صنعت خطواته دوائر متموجة فوق برك المياه التي غطت شوارع العاصمة واتسعت واتسعت لتتشابك مع الدوائر التي صنعتها قطرات الأمطار الجديدة..

رفع نادر قلنسوته لتغطي رأسه والتفت ينظر للمطعم الذي أخذه أحمد إليه سابقاً، ابتسم بخبث فلا بد من أن أحمد قد تركه بعد أن وشى به لأمه بأنه يعمل فيه متجاهلاً تطبيقه العملي بالمستشفى..

« لا بد أنه يولول الآن متمنياً لو أنه لم يعرفني يوماً. »

قالها ساخراً ومشى بهدوء نحو المطعم فقد كان مرهقاً لسهره الليل كله كما أنه جائع وعليه أن يتزود ببعض الطاقة قبل أن يسعى للبحث عن المال في مكان آخر..

دخل ليعمّ الدفء جسده ثم نزع معطفه وحجز إحدى الطاولات.. كان المطعم شبه فارغ من الزبائن بسبب الأمطار..

جاء إليه أحد العاملين ليأخذ طلبه ثم غادر، فاتكأ نادر على الحائط من خلفه ساناداً مؤخرة رأسه عليه وراحت عيناه تُحدقان بما أمامه في شرود..



Scanned with CamScanner

مرت نصف ساعة بأكملها ونادر لا يَخفض رأسه ولا ينظر لما حوله..

كان غارقاً.. غارقاً تماماً في تفكيره..

وقد علت عينيه نظرة بها شيء من الحزن..

(تداخلت الأصوات ووقف الحضور وعلا صوت طرقات مطرقة القاضي محاولاً تهدئة ذلك الصخب..

وأمام سجن صغير بإحدى زوايا قاعة المحكمة علا صراخ امرأة كبيرة بالسن وبكاء شيخ طاعن بالسن وكفوفهما التي ملأتها التجاعيد تتمسك بقضبان ذلك السجن الذي حُبس خلفه فتىً لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره وقد عكست عيناه ألماً وتأثراً كبيرين لرؤيته والديه الكبيري السن اللذين لم يستجيبا لصيحات رجال الشرطة الآمرة لهما بالابتعاد عن السجن فسحبوهما بخشونة وغلظة شديدتين حطمتا فؤاد ولدهما الذي راح يصرخ غاضباً:

« توقفوا عن جرهما.. اتركوهما!.»

علا صراخ العجوز التي ما زالت عيناها الحمراوان من شدة البكاء مُعلقتين بولدها:

- نادر أخبرهم.. أخبرهم أنك سيئ وأنك نادم.

ازداد غضبه وثورته لقول أمه فصرخ:



Scanned with CamScanner

- أمي.. كم مرة قلتُ لكِ أنا لستُ سيئاً.. ولا يهمني أن ينظروا لي بسوء.. أنتِ فقط ووالدي لا أريد أن أسمعكما تقولان عني سيئ.

كان قد أنهى قوله حين رأى والده يضرب بعكازه أحد الرجال ليتجه نحوه مسرعاً قائلاً بتوسل:

- بني ما فعلته سيئ.. أخبرهم بذلك واعترف كي يخففوا الحكم عليك.

كلماتهما كسرت قلبه وملأت عينيه بالدموع أكثر مما آلمه وجوده خلف هذه القضبان وضياع مستقبله.. التفت بعينين ملؤهما التلهف والأمل إلى حيث صديقه أحمد يقف ليقول راجياً:

- أحمد.. أنت تعرفني جيداً.. أنا لست سيئاً.. أخبرهم.. أنا لستُ سيئاً.

التقى حاجبا أحمد وبدا أنه يدافع دموعه وقلبه يؤلمه لسجنه وفراقه وهو يجيبه هامساً:

- بل أنت الأسوأ.

ذلك الأمل البسيط تحطم إلى أجزاء صغيرة وتلاشى دفعةً واحدةً لترتجف شفتا نادر وعيناه تجوبان ما حوله..

والديه..



Scanned with CamScanner

أصدقاءه..

طلاب مدرسته..

معلميه..

جيرانه..

يريد أن يسمعها ولو لمرة واحدة قبل صدور الحكم عليه..

ولكن الجميع اكتفوا بالصمت ونظرات مُتشحة بالتأنيب والاستياء..

« أنا لستُ سيئاً.. ولست نادماً.. سحقاً لكم جميعاً. »

صرخ بها أمام القاضي وأمام الحضور ليعلو اللغط والشهقات والنظرات المستهجنة المستنكرة.. وبالفعل كان لكلماته تلك أثر كبير على القاضي الذي أصدر حكمه عليه دون ذرة رحمة واحدة:

- نادر عبد المجيد.. تم الحكم عليه: مُذنب.. وبالسجن لعامين بدلاً من ستة أشهر لإصراره على جريمته وعدم الندم عليها.. وسيقضي فترة سجنه بسجن البالغين وليس الأحداث.

لم يكد يُنهي إصدار حكمه حتى شحب وجه نادر وانهارت الدموع من عينيه لرؤيته والده يسقط أرضاً من عظم ما ألمّ به من حزن ووالدته تحبو نحوه باكية فراقه.. تلك الحادثة غيرت حياته بالكامل..

ولم يعلم بأن والده أصيب وقتها بجلطة إلا في السجن.. تلك الجلطة أقعدته وأفقدته القدرة على المشي والنطق..



Scanned with CamScanner

عامان بأكملهما قضـاهما في السـجن يُقاسـي عنف القتلة واللصوص والمبتزين والمنحرفين ويقاومه بكل استماتة..

عامان صـنعا منه شـخصـه الجديد ليخرج من السـجن وينبذ الجميع كما نبذوه سابقاً..

بل وما زالوا.. فأي عائلة؟! وأي فتىً؟! وأي عاقل سـيقبل بأن يكون له به صلة وهو خريج سجون؟!

همسـاتهم المانعة أطفالهم من الاقتراب منه وتلميحاتهم الجارحة وسط المدرسة ما زالت ترن في أذنيه..

ولكن هل يظنون أنهم سيؤثرون به؟!

كلا.. فكما رأوه سيئاً سيكون سيئاً.. وما ظنوه عنه سيؤمن به ويصدقه بل وسيكون أسوأ..

وهكذا مرت أيامه إلى الآن دون أن يسمع ولو خطأً أنه لم يكن سيئاً يوماً ما.. و..)

وفجأة..

تمزقت ذكرى ماضـيه، وأطلق شـهقة مفزوعة حين حط أمام عينيه مشروب غازي كاد يكسر الطاولة من عنف ارتطامه بها..

رفع عينين تتقدان شـرّاً سـيبطش بهذا الوقح القليل التهذيب الذي أفزعه..



Scanned with CamScanner

ولكن لم تكد ترتطم عيناه بالواقف أمامه حتى تمتم بصدمة:

« أحمـــــد! »

حمل لفظه كل ذهوله وعيناه المتسعتان متسمرتان على أحمد الذي اقترب منه ليجلس على مقعد مقابل له قائلاً:

- كلا.. بل شيطانه وقرينه.

تراجع نادر للخلف واعتدل في جلسته بعد أن تجاوز صدمته ليُرخي ساقه للأسفل دافعاً حقيبته تحت الطاولة كي لا ينتبه لها أحمد..

ولكن يبدو أنه قد فات أوان ذلك حين راح أحمد يرتشف أمامه كوباً من القهوة الساخنة وقد عكست عيناه شماتته وهو يقول:

- ستكون حديث القرية لأشهر عديدة وقد ينسيهم ذلك فضيحة أحدهم.

ازدرد نادر لعابه وبدا قلقاً حقّاً إلا أنه حاول التماسك أمامه قائلاً:

- لقد أخذتُ إجازة ليومين فقط أتجول فيهما في العاصمة.

ارتفع أحد حاجبي أحمد ساخراً منه:

- بحقيبة تكاد تكون أثقل منك!!

ثم عقد كفيه أمام وجهه واتكأ بذقنه عليهما مضيفاً:



Scanned with CamScanner

- أي مستشفىً هذا الذي يعطي موظفيه إجازة بعد نصف شهر فقط من بدء عملهم!!

كانت كذبته مكشوفة بالكامل أمام أحمد وهذا ما أدركه نادر فلاذ بالصمت بل وسحب علبة المشروب الغازي ليجرع محتواها مما جعل أحمد يقول:

- إنه حمضي.

لم يكن بحاجة ليقولها فبمجرد أن ارتشف منه نادر حتى تغير وجهه وراح يبصقه على الأرض وقد احتقن وجهه بشدة مما جعل أحمد يضحك بقوة فالتفت إليه نادر بعينين كالحمم اشتعالاً.

« كنت تقصد ذلك. »

قالها نادر بنبرة ثائرة ليقطع أحمد ضحكاته:

- نعم.. لعل الحساسية التي تعانيها من الحمضيات تقتلك وتُريحنا منك.

تضخم العرق في جبين نادر وبدا وكأنه سيقتله بنظراته قبل قبضته المكومة ولكن يبدو أن أحمد بالفعل قد فقد عقله ليعبث معه متابعاً بتشفٍّ:

- بل وليس هذا فحسب.. فأنت طلبت قهوة في هذا الجو البارد وها أنا أحتسيها أمامك بل ووجبتك أخّرْتُها لنصف ساعة



Scanned with CamScanner

كي تثور وتصرخ فنقذفك خارج المطعم.. ولكنك اكتفيت بالصمت والشرود مما جعلني أستنكر ذلك فاقتربت منك لأجد حقيبتك إلى جوارك مطروداً من وظيفتك و..

« هل أبلغتك أمك سلامي؟! »

قاطعه نادر ليغص أحمد بقهوته ويسعل عدة مرات محاولاً التقاط أنفاسه قبل أن يرفع عينين محتدتين غاضبتين.. فضحك نادر وانحنى نحوه قائلاً:

- أوه.. أسف.. يبدو أن جرحك لم يُشفَ بعد.

ضرب أحمد بقهوته على سطح الطاولة ليتناثر الرذاذ من حولها وقد بلغ غضبه أقصاه.. (بحق ألم يكفه ما فعله به ليتشمت به أيضاً؟!)

رد نادر نظراته الحادة بنظرة باردة وهو يجوب المطعم بنظراته قائلاً:

- ظننتني لن أجدك فيه.. ولكن يبدو أن الحياة تحمل لنا المفاجآت دوماً.

أعاد أحمد ظهره للخلف قائلاً بضيق:

- بفضلك أنت قطع والداي المصروف عني لأجد نفسي أعمل هنا طلباً للمال كي أعيش بدلاً من الزواج.

- ووالدها لم يطردك؟!



Scanned with CamScanner

- لماذا يطردني؟!.. هل أنا غبي لأجعله يعلم؟!.. فما قلته قد انتشـر بكامل القرية فقط وقد فسـخت تلك الحمقاء الخطوبة وكأنها ليست سعيدة بذلك.. هي لم تكن تريدني أساساً ووالدونا هم من أخذوا زمام المبادرة وأجبرونا على الخطوبة..

ابتسامة عابثة تراقصت على شفتي نادر وهو يقول:

- إذاً عليك أن تكون شـاكراً لي فقد هيأت لك طريقاً للزواج ممن تحب.

نظرة حاقدة أطلت من عيني أحمد:

- وكأنك تهتم؟!..

تظاهر نادر بالصـدمة والانزعاج وكأن أحمد جرحه فنهض ليقول رافعاً صوته:

- حسناً ما دمتُ لا أهتم لك سأذهب لأخبر مدير المطعم أنه كان لديك في قريتنا خطيب..

« سحقـاً. »

صـرخ بها أحمد وهو يسـرع ليضـغط على كتفيه معيداً له على مقعده وهامساً:

- أنت لا تزداد مع الأيام إلا سـوءاً.. بحق أكره قلبي الطيب الذي دعاك تلك الليلة لوجبة عشاء.

ابتسامة خفيفة غطت شفتي نادر وهو يجلس ليضع ساقاً فوق



Scanned with CamScanner

الأخرى وناظراً لأحمد بصمت، فيما التفت أحمد خلفه بوجل وحين رأى أن المدير لم يسمعه عاد بنظراته المحتدة ليرى نادر ينظر له بحدة.

« لا تفعلها مجدداً. »

صوته العميق ونظراته أشعرت أحمد بالخوف وقبل أن يسأله عن مقصده كان قد تابع:

- لا تحاول الانتقام مني عن طريق إغضاب والدتي.

كلامه أشعر أحمد بالذنب فهو أخطأ بالفعل ولم يجد شيئاً ليبرر فعله سوى قوله:

- لقد أغضبتني حين أخبرت المدير بما كنا نفعله ونحن صغار.

- أنت أخطأت أولاً.. لم يكن عليك إحضاري للمطعم واستغلالي.

- لمَ لا تفهم؟!.. أقسم لك أني لم أكن أهدف لاستغلالك.. لقد جاء المدير نحونا وعندها خطرت لي الفكرة وندمتُ حقّاً وقتها وزدتَ ندمي بحديثك الفظ عني أمامه.

- أحمد أنت تعلم أن والديّ خط أحمر.. حتى لو قتلنا بعضنا بعضاً يجب ألّا يكونا طرفاً في خصامنا.

« أسف. »



Scanned with CamScanner

قالها أحمد هذه المرة بندم حقيقي ورفع رأسه وكأن هذه المحادثة قد أزالت شيئاً من مشاحنتهما والأعجب أنها قلبت موازين المعادلة بأكملها ليصبح أحمد المخطئ..

و راحت عينا أحمد تُحدقان بنادر بلهفة وكأنه ينتظر أسفه هو الآخر ولكن نادر اكتفى بالصمت ومراقبته فتنهد أحمد بخيبة..

- لم تجد ما تنتقم به مني أليس كذلك؟!

سأله نادر بثقة وغطرسة فضاقت عينا أحمد مجيباً:

- ألم أقل لك إنك قد جعلت مني شيطاناً؟! ما فكرتُ به كان شنيعاً للغاية.

- لا تكذب.

- ولِمَ أكذب؟!.. أتظن فقداني لمال والديّ كان هيناً عليّ؟!.. كنت سأُقدم على فعل سيئ بحقك ومن الجيد أنك جئت إلى هنا.

ثم نظر للحقيبة « فعلى ما يبدو أنه لم يعد ذا فائدة ما دمت قد طُردت. »

اتسعت عينا نادر لفهمه ما يعنيه، بينما حدق أحمد بالمطر خارجاً وقال:

- كنت أريدك أن تفقد المال كما تسببت في فقدي لمصروفي.

مرت لحظات صمت بين الاثنين.. ولم يلتفت أحمد لينظر لوجه نادر المحتقن بدماء الغضب والصدمة..



Scanned with CamScanner

« لا أريد أن أخسرك مجدداً. »

قالها أحمد فجأة بهدوء شديد وعيناه تحدقان بالأشجار المتمايلة في الخارج بفعل الرياح مخفيًا عينيه اللتين حملتا تعبيراً متأثراً عن عيني نادر ومتابعًا:

- لو فعلتُها لكُنتُ خسرتك للأبد.. مجرد التفكير بأن أذهب إليهم وأخبرهم أن لديك سابقة جنائية آلمني بشدة وأغاظني.

ثم التفت بنظرة حادة عصبية:

- هل لاحظت أنك بتصرفاتك تدفعني للأسوأ؟!

كانت ملامح نادر المتجهمة تنبئه بمدى غضبه كان يغلي من الداخل.. أن يستغل نقطة ضعفه الوحيدة ضده - والتي قلبت موازين حياته ودمرت والديه - هو بحق لا يشعر بأنه قادر على أن يتسامح معه..

- نادر.. لقد ظللت لثمانية أعوام أتبعك بعد خروجك من السجن أملاً بأن تتقبلني وبالكاد منحتني بضع مرات من وقتك ولكنك لم تكف عن تصرفك الغليظ معي فهل تظن أنني قد لا أرد بعضها لك؟!

« اذهب وأخبرهم إن كنت تريد دخولي السجن مجدداً. »

اتسعت عينا أحمد لقول نادر المفاجئ فهتف بذعر:

- ماذا؟! ولماذا ستدخل السجن مجدداً إن أخبرتهم؟!..



Scanned with CamScanner

- بسبب جريمة قتلي لك.

غادر اللون وجه أحمد وعكســت عيناه خوفه من عيني نادر اللتين عكستا عزمه على قتله حقّاً إذا ما فعلها فابتسم بتوتر قائلاً:

- لم يعد هناك حاجة لذلك فقد طردت مسبقاً..

ثم مال نحوه محاولاً تغيير دفة الحديث قبل أن تشتعل الأمور بينهما:

- لماذا طردوك؟!.. هل كنت وقحاً مع مديرهم؟!

كان نادر يحاول تمالك أعصابه ومن الجيد أن تلك العبارة (لا أريد أن أخسرك مجدداً) قد امتصت كثيراً من غضبه، فأعاد ظهره للخلف وسحب كوب القهوة الخاص بأحمد ليشربه فيما ابتسم أحمد باستسلام تام فقد اكتفى بحق من استفزازه..

أومأ نادر برأسه أن « لا » مجيباً سؤاله..

وعندها سأله بانفعال:

- هل تم خصــم راتبك؟!.. هل قللوا من مقداره؟!.. أم أنهم رفضوا إعطاءك إياه حتى تُتم الأشهر الستة؟!

بدا نادر ممتعضاً وهو يتمتم:

- سحقاً!!.. لماذا أسئلتك تدور كلها حول المال؟!

- لأنه إن لم يكن من أجل وقاحتك فبالتأكيد لا بد أنه من أجل المال الذي تحبه.



Scanned with CamScanner

- هكذا تقولها في وجهي وبكل بساطة؟! وتقول عن نفسك لطيف؟!

- ليس حين أكون معك بالتأكيد... ثم منذ متى كان لديك إحساس؟!

هذه المحادثة لا تلبث أن تتجه للأسوأ دائماً.. هذا ما أدركه الاثنان ليضحكا معاً على نفسيهما..

« أنا تركت الوظيفة؟! »

تحولت ضحكات أحمد لوجوم شديد:

- أنت تمزح؟!

- لست في مزاج جيد لأمزح معك.

- إذاً فقد أصابك مس؟!.. لا بد أن ذلك المبنى مسكون.

- أنا الآن أمامك بخير.

- تبّاً.. أعد إلي صديقي نادر.

قالها أحمد بعبوس وصدمة وكأنه ينظر لشخص آخر.. ملامحه وكلماته جعلت نادر يكتم ضحكاته بصعوبة وهو يرد بهدوء:

- فقط سئمت من ذلك الفتى.. كما أن اضطرابه الغريب لا علاج له.

- وهل كنت تسعى لعلاجه بحق؟



Scanned with CamScanner

سـؤاله المصـدوم جعل نادر يفتح شـفتيه بشـبه صـدمة هو الآخر.. فيما ابتسم أحمد بسعادة وهو يحثه قائلاً:

- ليس عليك أن تيأس.. حتى لو انخفض مرضـه للربع فذلك سيكون نجاحاً بالنسبة لك فأنت مبتدئ ولا تنسَ أنك دخلت هذا المجال وأنت لا تحبه.

ولم يستطع إخفاء انشراح وجهه سروراً غير مصدق أن نادر قد أخذ وظيفته على محمل الجد، فيما ظل نادر غارقاً في تفكيره فهو لم يخبره بالحقيقة.. ولكن بدا وكأنه أخبره بشـيء آخر هو لم يدركه أو ينتبه له.. فهل هو حقّاً سعى لعلاجه؟!

تذكر تصـرفه مع فارس في كل مرة حاول بها إيذاء نفسـه.. صـحيح أنه كان يمنعه من أجل حماية وظيفته ولكن طرقه التي كان يتبعها كانت جميعها نافعة ولا تضر الفتى!!..

لاحظ أحمد أنه لا يسمعه فابتسم قائلاً باندفاع:

- أهذا ما كان يحزنك قبل قدومي إليك؟!.. يا رجل لولا نظراتك الحزينة تلك لم يكن ليرق قلبي عليك وأنضم إليك.

اهتز حاجبا نادر بانزعاج:

- أنا!.. متى كُنت حزيناً؟!.. كلا.. لقد قلت لك إني سـئمت منه.. ذلك الفتى كالطفل.. يتصرف تصرفات حمقاء.. ويعاني من عدد كبير من الأمراض إضافةً لمرضه.. وبالكاد يتحدث.. ليتفوه



Scanned with CamScanner

بكلمات غريبة.. و..

- ماذا قال؟!

قاطع أحمد ثرثرته المتوترة والغريبة ليجد نفسه يجيبه بلا تفكير:

- إني لستُ سيئاً.

ارتخت ملامح الاثنين وعلاها الوجوم معاً.. أحمد لإجابته!!.. ونادر لتسرعه!!

ظل الصمت سيد الموقف لثوانٍ وهما يتبادلان نظرات متوترة، كلاهما فهمها.

« اطلب إذاً مريضاً آخر. »

قالها أحمد بجدية شديدة قاطعاً ذلك الصمت، وإن بدا من عينيه أنه لا يزال غارقاً بصدمته.. هل لا يزال نادر متلهفاً لسماع هذه الكلمة منذ عشرِ سنوات!!.. أم أنها فقط ذكرته بذاك الماضي المؤلم ونكأت جرح قلبه إلى الحد الذي تخلى معه عن وظيفته والمال الذي يسعى إليه؟!

- لا يريدون مني سوى الاهتمام بذلك الفتى.

- أخبرهم أنك مبتدئ ومن الصعب عليك علاجه.

- هم ليسوا مهتمين بعلاجه ولا بصحته.. كل ما يهمهم هو الأموال التي تتدفق عليهم من عمه.. والسعي للتخفيف من مرضه



Scanned with CamScanner

سيكون سيئاً بالنسبةِ لهم لانقطاع المال.

ازدادت صـــدمة أحمد وعقله لا يكاد يصـــدق أن مثل هذه المصحات المستغلة موجودة فصاح بجزع:

- إذاً هم يستغلونه؟!

- بالكامل.

قالها نادر ليرتجف صوت أحمد غضباً:

- وأنت تدرك ذلك دون أن تفعل شيئاً؟!

عاد الجدال بينهما مجدداً، ليزفر نادر محنقاً:

- وما عساي أفعل؟!..

- أبلغ عنهم.. أخبر عمه.. تصرف كإنسان لمرةٍ واحدة فقط.

قال الأخيرة بتوسل وصوت ممدود، مما أغاظ نادر فرد بغلظة:

- الجميع لا يروننني كإنســان.. أنا ســيئ بنظركم.. والآن أيها الوغد تتجرأ لتطلب مني شيئاً يخالف توقعاتكم؟!

- ولكنه لا يراك كذلك.

صــدمه رد أحمد وارتد للخلف وداهمته المشــاعر ذاتها التي صاحبت نطق فارس بها.. تمنى لحظتها لو يمسح ذاك المشهد من ذاكرته!.. لو لم يلمس تلك الأزرار!.. بل تركه الفتى ليشـج رأسه وينزف دماً كان أهون عليه من ســماعه لتلك الكلمات فهو لم يكن للحظة من حياته يظن أن هناك من قد يراه بشــكل مغاير لما



Scanned with CamScanner

عُرف عنه!!.. من قد يعبث باعتقاده ويضعفه!

والأسوأ من ذلك أن أحمد قد استغل ذلك بالكامل ليتابع تأنيبه:

- كان عليّ أن أدرك أنك لن تغادر إلا لهدف سيئ.. أنت لا تريد أن تتحمل مسئولية ذلك الفتى المسكين إذا ما حدث له شيء بأيديهم..

- ولماذا أهتمُّ به؟.. هو مريض ولا يؤخذ بكلماته.. كما أن اهتمامي به المناقض لرغبة المستشفى سيكون عديم الجدوى سأطرد فقط وسأفقد المال.. أي أني سأكون الخاسر.

- لهذا اخترت أقصر الطرق ستتركهم أولاً قبل طردهم لك وتستغل الوقت بالبحث عن المال في مكان آخر بدلاً من تضييع وقتك في العناية بـ..

قطع أحمد حديثه فجأة لشيء طرأ بباله ليسأل بفم متوسع عن آخره:

- مهلاً.. مهلاً.. هل أفهم من كلامك السابق أنك لو بقيت كنت ستهتم به لذا هربت؟!..

وبلل شفتيه الجافتين وعيناه تغوصان بعيني نادر المتجمدتين باحثاً عن إجابته قبل أن يصيح:

- لقد خشيت أن يُضعفك بكلماته إلى الحد الذي يجعلك



Scanned with CamScanner

تهتم به وتخضع له فتفقد مال المستشفى ولذا اخترت طلب المال خارجاً تاركاً إياه خلفك؟!

« تبّـاً.. ها قد عدنا للمال مجدداً. »

صـرخ نادر راجّاً المطعم بأكمله ليلتفت العدد اليسـير من الزبائن نحوه بل هو لم يهتم لنظراتهم حين انتبه لجملة أحمد الأولى ليظلم وجهه ويقول بأنفاس ثائرة:

- من يضعفني؟!.. ومن أهتم به؟!..

أغاظته تلك الابتسامة البلهاء السعيدة التي غطت شفتي أحمد فرحةً بأن هناك من أثر به، ورفعت غضبه لأقصاه فوقف ليسحب معطفه ويجر حقيبته من خلفه هاتفاً:

- لم يكن علي القدوم إلى هنا ولو متُّ جوعاً.

كان لا يزال مرهقاً ويبدو أن تعرضـه للمطر قد أشـعره بالبرد ومع ذلك كان يدرك أنه لو بقي للحظة واحدة تحت سـقف واحد مع أحمد فسينتهي الأمر بقتله.

- أخبرني أيمن أنه قد تم رسـمياً ضـم أخصـائي نفسـي لفريق التحقيق.

سـقط معطف نادر وتصـلبت يده فوق الحقيبة وهو يلتفت لأحمد غير مصـدق ما قاله له فجأة.. إذاً هناك أمل بانضـمامه لسلك التحقيق والشرطة بعد أن تم رفضه سابقاً لأن لديه سابقة



Scanned with CamScanner

جنائية.. تلك الكلمات بدت بمثابة الماء البارد الذي سُكب على نار نادر ليتبخر غضبه وثورته.

- نادر.. تركك لوظيفتك الآن ليس بقرار جيد.. عد وواصل العمل بالمستشفى وأثبت جدارتك فورقة من هذا المستشفى الشهير قد تقلب حياتك بالكامل لتكسب المال وهوايتك معاً..

لم ينبس نادر بحرف واحد بينما بدا أحمد متقززاً:

- أنا لا أعلم بحق كيف تهوى تحليل جثث الضحايا الممزقة والدامية واصفاً الطريقة التي تم قتلهم بها.. بل المرعب أكثر أنك أتقنت حتى تحليل سلوك المجرمين وكلماتهم خلال التحقيقات..

بتر عبارته مفكراً للحظة ليتساءل: « هل هذا له علاقة بالمدة التي لبثتها في السجن؟! »

- أين شقتك؟!

سؤاله الغريب أدهش أحمد ولكنه أشار بسبابته للأعلى: « فوق »

جر نادر حقيبته والتقط معطفه ليتجه للسلالم بدلاً من الخروج من المطعم وقد عاد إليه بروده بالكامل ليقول:

- سأنام بها إلى أن تبدأ نوبتي المسائية فلا رغبة لي بلقاء ذلك الممل ياسر.

أدهش استسلامه السريع أحمد وأسعده أنه استطاع إقناعه ولكن لم يكد يدرك أنه سيستولي على شقته حتى أسرع ليمنعه



Scanned with CamScanner

فهو ليس بحاجة لفقدان شقته كما فقد مصروفه..

***

- ٩ صباحاً -

اهتزت خصلات شعره السوداء فوق جبينه المضمد إثر إفاقته، جلس بهدوء مستمتعاً بشعور غريب لم يختبره منذ زمن طويل، قلبه منشرح، نفسه تغمرها راحة عظيمة، حتى أن شفتيه علتهما ابتسامة مماثلة لتلك التي أغمض عينيه عليها قبل نومه..

واتسعت ابتسامته المبتهجة أكثر وهو يتذكر فجأة ما حدث بالليلة الماضية..

أدار بصره في كل ما حوله وكأنه يبحث عن مُسبب سعادته.. ولكن كالمرة السابقة اختفى مجدداً..

قفز لذهنه تساؤل مفاجئ.. هل منحه هذه المرة شيئاً كما منحه قناع عينيه؟!

حملت عينا فارس تلهفاً شديداً ونزل عن سريره ليبحث عن أي شيء جديد بالحجرة حتى أنه راح يبحث في ثيابه فقد يكون نادر وضع له شيئاً بجيوبه كما وضع القناع فوق عينيه..

ولم تمضِ عشرُ دقائق إلا وقد توقف عن البحث فقد كان كل شيء كسابقه ولا جديد، ولكن ذلك لم يهز ذرة واحدة من سعادته ولم يحبطه..



Scanned with CamScanner

تحرك ليقف أمام النافذة المقفل سياجها مجدداً ليحدق من خلف زجاجها الشفاف لبرك المياه التي صنعتها الأمطار، والتمعت أوراق الأشجار في حديقة المستشفى ببعض القطرات التي ما زالت عالقة بها إثر انعكاس أشعة الشمس عليها..

كان صباحاً جديداً..

يوماً جديداً..

ولكنه بدا لفارس وكأنها حياة جديدة..

لشخص جديد..

رفع ذراعه بأكملها ملوحاً لفتيان في عمره نفسه يتجولون حول المستشفى وراح يضحك ويصيح بسعادة منادياً لهم.. ولكن.. لم يكن ليتنبه أحد لفتىً بالطابق السابع ومن نافذة بالكاد سياجها الحديدي يسمح ببضع فجوات فيها..

وعلى الرغم من عدم انتباههم له راح يضحك وهو يراقبهم.. هذا فوق دراجته.. والآخر على لوح تزلجه.. والبعض يمشون في جماعات يدفعون بعضهم بعضاً متمازحين وراكضين..

هدأت ضحكاته وبقيت ابتسامة خفيفة عالقة بشفتيه.. فهيَ المرةُ الأولى التي يراقبهم فيها دون مشاعر مظلمة تؤلم قلبه.. هو مثلهم..

شخص جيد..

ليس سيئاً إطلاقاً..



Scanned with CamScanner

كانت قد مرت ثماني سنوات منذ دخوله هذه الحجرة لم يغادر عتبتها إطلاقاً.. قضى سنة قبلها بحجرة مغلقة الباب ببيت عمه..

تسع سنوات مرت لم يكن يحتل تفكيره سوى سؤال واحد..

هل هو سيء؟!

والآن فقط استطاع أن يُرخي جفنيه على عينيه ويستنشق نفساً عميقاً أطلقه بزفرة قوية صارخاً:

« أنا لستُ سـيئاً! »

صـرخ بها وكأنه يحاول أن يوصـل صـوته لذلك الشـخص الجديد - نادر - الذي دخل حياته بعد تسع سنوات مانحاً له هذه الإجابة المريحة..

مطّ شفتيه فجأة متعجباً.. لماذا دائماً ولتسع سنوات كل من يراهم حوله هو ذلك المجرم الذي يُبغضه بشدة؟!

لماذا يسجنه؟!

ولماذا يتنكر مرة بهيئة أشـخاص ضـخام الجثة وأحياناً أخرى بصورة مسنين بل وحتى نساء؟!

ذلك الوغد لماذا لا يزال يحافظ على حياته ولا يقتله؟!

بل.. بل السـؤال الحقيقي كيف اسـتطاع « نادر » تجاوزه والوصول إليه ومن ثم منحه هذا الكم الكبير من السعادة؟!

كانت أسئلة كثيرة تدافعت لحظة واحدة إلى عقله مؤلمةً له..



Scanned with CamScanner

كالطفل تماماً تجاهل فارس كل تلك الأسئلة المزعجة وراح يواصل تهجئة الحروف المكتوبة على لوحة أحد المباني البعيدة عن المستشفى..

« ستغضب مايا إذا ما نسيت كيف أقرأ باللغة الإنجليزية وقد تعاقبني. »

همس بها بضيق شديد، فقد توقف تعليمه منذ تسع سنوات، وتوقف عن مقابلة رجال الأعمال - الناطقين بغير لغته - برفقة والده ووالدته، بل ولم يُمنح الفرصة للحديث والكلام مع شخص آخر إلا بالليلة الماضية حين تحدث مع نادر.. ذلك الانقطاع عن الكلام جعله يواجه صعوبة في نطق الجمل والربط بينها.

(لا ريب.. ستشعر مايا بخيبة أمل كبيرة حين أخرج وتقابلني) همس بها في نفسه ليعبس بوجهه ثوانيَ سرعان ما استبدل بها تفاصيلَ مُلئت حبوراً وسعادة لتذكره نادر.. هو أخبره سابقاً أنه لن يخرجه.. وبعدها أخبره أنه لا يستطيع.. وهذا يعني أنه حين يستطيع سيخرجه بالتأكيد..

أسرع للخزانة الملحقة بحجرته واختار منها ملابس بألوان مشرقة بدلاً من رداء المستشفى وسحب منشفته.. سيستحم



Scanned with CamScanner

وسينتظر نادر الذي يظهر له دائماً ليلاً..

ولم يأخذ منه استحمامه الكثير ليقف أمام المرآة محدقاً بوجهه الوسيم..

كان قد كبر فعلاً.. وبرز فكاه بعض الشيء.. رفع أصبعين من أصابعه ليرفع شعره المبتل بعيداً عن الشاش الذي ابتل بإهمال.. لف خصلة منه بمشاكسة محاولاً جعل شعره مجعداً بعض الشيء.. كان معجباً بنفسه بالفعل.. (كيف لم يلحظ سابقاً أنه قد كبر وتغير؟!).. ضحك وخصلاته تتماشى مع ما يريد..

وفجأة بتر ضحكته وتمسك بحوض المغسلة وقد انتبه لصورة وجهه على المرآة المهتزة هي الأخرى..

وازداد تشويشها لحد جعله يغمض عينيه ويفركهما..

« لماذا؟!.. لماذا؟!.. إنها المرةُ الأولى التي أستطيع فيها النظر إلى وجهي جيداً دون هذا الاهتزاز والتشوه الغريب!. »

لم يكد يتم عبارته المنزعجة حتى تلاشى ذلك التشوه ليرى صورة وجهه الصافية مجدداً فوق المرآة فضحك بسعادة.. فهذا الاهتزاز هو ما أعاقه دوماً عن ملاحظة كم كبر وأصبح فتىً جميلاً ووسيماً!!.. أو أن حقيقة شعوره السيئ نحو نفسه هي ما جعله لا يطيق حتى النظر إلى وجهه.

توقفت ضحكاته المبتهجة فجأة لسماعه صوت حركة غريبة



Scanned with CamScanner

من خلفه.. وقبل أن يلتفت لمحت عيناه على المرآة صورة لشخص يعرفه تماماً..

شخص لم يتنكر هذه المرة وإنما جاء بصورته الحقيقية التي يعرفها تماماً..

شحب وجه فارس واتسعت عيناه بفزع وانقبض قلبه خوفاً وقبل أن يهمّ بالهرب كان قد غطى الرجل على فمه كاتماً صرخاته بينما أحاطت ذراعه الأخرى بعنقه ساحباً له للخارج إلى حيث حجرته..

رفع فارس ذراعه اليسرى ليبعد ذراع الرجل التي خنقته ومنعت الهواء عنه ورفع ذراعه الأخرى يحاول التشبث بأي شيء..

بكى واستعجمت الكلمات على لسانه محاولاً مناداة نادر ولكن هو لا يعرف اسمه حتى فبماذا عساه يناديه؟!

أطلق أنيناً متألماً والحبال تشتد حول ذراعيه وقدميه مقيدةً له بعد أن ترك الرجل فمه ليهتف به باكياً متوسلاً:

« لا أريد.. لا أريد.. أرجوك.. دعني.»

ولكن ذلك الرجل بدا وكأنه لا قلب له فهو لم يُظهر له أي رحمة ولا شفقة، وانهال ضرباً على موضع من جسده كي يهدأ ويكف عن مقاومته.



Scanned with CamScanner

***

كشفت أبواب المصعد عن الطابق السابع من المستشفى النفسي ليخرج منه نادر حاملاً حقيبته على كتفه وقد التف حول جسده معطف أسود ثقيل اندس تحته بنطال أسود يعلوه قميص أبيض مغلق الأزرار بالكامل.. مسرح الشعر للخلف وقد انعكست أنوار الممر فوق عسليتيه الهادئتين..

كان أنيقاً كعادته..

ولكن عودته هذه المرة لم تكن كالسابق، لم تكن كأول يوم دخل فيه إلى هذا الطابق يكابد قلبه التوتر والقلق من توليه لعلاج مريض لا يمكن شفاؤه..

خطواته الواثقة، نظراته الباردة، كان ليدرك الجميع منها أنه قد رسم هذه المرة هدفه جيداً، ولن يُخفق فيه أبداً..

لن يكترث لأي معيق أيّاً كان..

سيحظى بشهادة مُشرفة من هذا المستشفى وبأي ثمن، حتى لو اضطر لتلطيخ كفيه بما لطخوا به أكفهم.. سيستجيب لطلباتهم، لأوامرهم، ودون أي اعتراض، فتحقيق حلمه ونجاح مسعاه مرهونان برضاهم عنه..

رضاهم فقط..

كان قدومه يسبق نوبته المسائية بعشرِ دقائق فقط، أنهى تلك المسافة التي تفصله عن حجرة فارس ليتناهى لسمعه فجأة



Scanned with CamScanner

مجموعة من الأصوات المتداخلة خارجة منها..

عقد حاجبيه مستغربا وجود أشخاص آخرين بحجرة فارس وارتسم القلق بوجهه خشية حدوث أمر بغيابه فأسرع نحوها ليدخل من بابها المفتوح فارتطمت عيناه بمرأى جمع من الناس فيها.. إضافةً إلى مريضه..

كان الجميع مديرين ظهورهم له ولم ينتبه أحد لدخوله فيما دارت عينا نادر المتسعتان في أركان الحجرة التي توزع فيها حطام الأثاث مما جعله يتقين أن فارس كان عنيفاً..

عنيفاً جداً..

ولكن عنفه هذه المرة كان موجهاً بغرابة لكل ما شاركه حجرته..

واستقرت عسليتاه أخيراً على فارس الذي قيّد ذراعيه اثنان من عاملي المستشفى الضخام.. كان يقف بينهما محمر الوجه، قد ذبلت عيناه الزرقاوان من البكاء وكأنه بكى النهار كله ولكن ذلك لم يمنع نادر من ملاحظة أسنانه التي كان يكز عليها بغضب عنيف وعينيه العاكستين حقداً دفيناً وهو يقاوم الرجلين محاولاً مهاجمة ما أمامه..

ازدرد نادر لعابه وخشي أن يوجّه اللوم إليه لعنف فارس فما يحدث الآن في وقته المشترك مع ياسر..

إلا أنه التزم الصمت حين أدرك أن مدير المستشفى إضافةً إلى



Scanned with CamScanner

رئيس الأطباء وياسر هم من يقفون أمام فارس، ويقف مجاوراً لهم رجل غريب بنهاية عقده الرابع، كان يبدو عليه الثراء الفاحش، وقف عن يمينه ويساره رجلان تجاوز طولهما طوله، بدا وكأنهما يحرسانه.. الأول عكست عيناه برودا عجيباً ولا مبالاة بينما الآخر قد تعلقت عيناه بفارس مركزاً باهتمام على كل ردة فعل تصدر منه.

« سأقتلك.. سأقتلك أيها المجرم الوغد. »

صرخ فارس بصوت قد بُح، وساقاه تركلان الهواء محاولاً الفتك بما أمامه ليدرك نادر أنه قد بلغ بهيئته هذه أقصى درجات ثورته وفقدانه للسيطرة على نفسه و.. ضاقت عيناه فجأة بشك فقد كان فارس طوال الوقت يركز نظراته الغاضبة على شخص واحد..

واحد فقط..

ولم يكن نادر بحاجة لذكاء كبير ليفهم أن فارس ليس مرتبكاً ولا مشوشاً من بقية الأشخاص لأنه وبكل بساطة يرى من يبغضه ويكرهه بهيئته الحقيقية يقف بينهم مما أزال كل تخيلاته وتشويشه حول البقية..

تقدم نادر وقد دفعه فضوله لرؤية هذا الشخص الذي سبب له كل هذا الألم والحقد الشديد.. ولكن لم يكد يتحرك حتى سمع مدير المستشفى يقول:



Scanned with CamScanner

- كما ترى اعتنينا به جيداً.. ولم يُصب بأي سوء.

- لكنه لا يزال عنيفاً ومشوشاً كالسابق.. يبدو أن العلاج لا ينفع معه.

ردّ الرجل ذو العقد الرابع بهدوء دون أن يُبعد عينيه عن فارس الذي فاجأهم بسكون ثورته ليلتفت نحو الرجل وقد اتسعت عيناه عن آخرهما..

« عمي فاضل. »

صُدم الجميع ولم يصدقوا أن فارس رغم مرضه واضطرابه قد نطق هاتين الكلمتين..

نادر وحده من خمن أن غضب فارس كان مسيطراً عليه لحد أنه لم يلحظ وجوده، أو أن تحديقه بحقد على شخص واحد جعله لا يكترث للنظر للبقية.

- عمي.. لقد وجدتموني أخيراً.. كُنتُ أثق أنكم لن تتركوني.

صرخ بها فارس راجّاً ما حوله وقد ملأت السعادة عينيه وتوسعت شفتاه بابتسامة كبيرة حتى أن أطراف أصابعه ارتجفت من فرط تأثره وحماسه.. أن يلتقي وبعد تسع سنوات بشخص يعرفه والأكثر من ذلك قريبه.. نبضات قلبه تسارعت بجنون وكاد ينجح بالإفلات من الرجلين ليقفز نحو عمه ويتشبث به بقوة..

فيما ظل الرجل صامتاً فصاح به مستغيثاً:



Scanned with CamScanner

- عمي فاضـــل.. إنه يؤذيني دومـاً.. ولقد آذاني اليوم أيضـــاً.. أرجوك أخرجني.. أخرجني من منزله.. وارمِ به في الســـجن.. إنه هناك يقف إلى جوارك.. ابتعد عنه سيؤذيك أنت أيضاً وقد يقتلك كما قتل لَمى.

- هل هو يهذي؟!

قالها فاضـل متسـائلاً وعيناه تتسـمران على مدير المسـتشـفى الذي هز كتفيه بقلة حيلة:

- كما تعلم أن هذا المرض لا يُشفى.

- ولكنه يتوهم أنه محتجز بمنزل غريب بل وينسـب قتل أخته لشـخص وهمي على الرغم من أنه هو من قتلها والكل يعلمون بذلك.

لحظات من الصـمت خيمت على المكان وكأن فارس قد صُـدم بما قاله عمه قبل أن يثور فجأة وتنهار الدموع من عينيه صارخاً:

- ليس صـحيحاً.. عمي أنت لا تصـدق ذلك.. أنا لم أقتلها.. أقسم على ذلك.. اسأل والدي ووالدتي..

تنهد فاضل بتعب ثم قال:

- بني.. لقد خبأنا هذه الحقيقة عنك زمنـاً طويلاً وأظن أن الوقت قد حان لتعلم ولتسلّم بها.. والدك ووالدتك قد تخليا عنك



Scanned with CamScanner

تماماً لعدم احتمالهما إيواء قاتل بمنزلهما والأسوأ من ذلك أنه قتل ابنتهما الصغرى ذات الخمس السنوات لَمى.. وأنا من بقيتُ منشبثاً بأمل شفائك ولكن يبدو أن اليأس بدأ يداخلني.

بهتت عينا فارس وسكنت حركته، وحديث عمه الغريب يُخيفه حتى أن الدموع جفت بعينيه.. قلبه لن يصدق أبداً أن والديه قد تخليا عنه.. هما لم يكونا ليصدقا أنه قتل أخته.. بل إن عمه الآن يكذب..

ولكن... لِم يكذب عليه؟!!

هو لم يسئ إليه يوماً؟!

لم يؤذِه؟!

إذاً لماذا؟!.. لماذا؟!

حيرة غلّفت وجهه ولكن هو لن يسمح بأن يُحطم قلبه الواثق بأسرته فأسرع يقول:

- مايا.. مايا لن تصدق مثل هذا الهراء.. مايا تعلم أني لستُ سيئاً وأني جيد.. حتى لو كُنتُ أقسو على لَمى أحياناً لم أكن لأقتلها لأني أحبها..

- بل أنت الأسوأ لقد حطمت أسرتك بالكامل ومايا لم تعد تُطيق نطق اسمك حتى.

وهنا بدا أنه قد نجح أخيراً بالوصول لقلبه محطماً له وناشراً



Scanned with CamScanner

جوّاً من الكآبة والحزن حول وجهه الشـــاحب فحملت عيناه انكساراً وألماً مريعاً أظهرهما ارتجاف شفتيه ببكاء مختنق..

وهنا أيضـاً بدا أن شـخصـاً آخر قد تحرك شـيءٌ ما في أعماقه لرؤيته كل هذا البؤس والخيبة بوجهه وقد هجره الجميع واصفين إياه بالسيئ..

« هو يعلم أني لستُ سيئاً.. قل لهم إني لستُ سيئاً.. أخبرهم أرجوك أن يخرجوني. »

صـرخ فارس فجأة وقد لمع بعقله خيط نجاة أخير فتشـبث به فيما راحت عيناه تجوبان ما حوله باحثاً عن شخصٍ ما..

« ماذا يعني بقوله؟! »

بلفظ محتد سـأل فاضـل وعيناه تتنقلان بين رئيس الأطباء والمدير وياسر..

وجميعهم لم يجيبوه.. وحده نادر فقط فهم ما يعنيه فارس.. بل وأمام عينيه رآه يسدل جفنيه على عينيه لتنسكب الدموع منهما وهو يصرخ بعمه:

- هو يظهر حين أُغمض عيني.. لا أعلم لماذا؟! ولكنه أخبرني أني لستُ سيئاً.. أتوسلُ إليك أخبرهم.

بدا منظره محزناً ومؤسـفاً لنادر على عكس البقية الذين امتعضوا من غرابته..

يأسه الشديد دفعه ليواصل صراخه منادياً لنادر علّه يثبت لهم



Scanned with CamScanner

أنه لم يكن سيئاً.

ولكن كالعادة تجاهله الجميع معتقدين أن ما يفعله جزء من هلوسته المتعلقة بمرضه، ولم يكد يولّيه عمه ظهره حتى صرخ ببكاء حقيقي موجوع:

- عمي أرجوك.. أتوسل إليك.. لا تتركني.. أخرجني.. أخرجني.. خذني معك.. لن أحتمل البقاء هنا أكثر.. أعدك.. لن أُسيء لأحد.. وسأحسن التصرف.

ووئد ذلك الأمل أمام عينيه الجازعتين مع خروج فاضل فانهار وفقد تماسكه مقاومًا الرجلين ومحاولاً اللحاق به ولكن لم يسمح له الرجلان بالتحرك وهما يجرانه ليجعلاه يستلقي بالقوة على سريره وسحبا الأربطة المطاطية وقيدا ذراعيه وقدميه.. قبل أن يكشفا عن أعلى ذراعه ليودعا نصل حقنة مهدئ فيه ولم يلبث دقائق حتى سكنت حركته وصراخه وآخر ما ينطقه لسانه..:

« مايا.. أريد مايا. »

بقي نادر أمام فرجة الباب محدقًا به قبل أن يسمع صوت سالم من خلفه:

- لقد عُدتَ إذاً.. لقد أخبرنا ياسر أنك أُصبت بوعكة صحية واضطررت للمغادرة من أجل تلقي العلاج.

التفت نادر ليرى ياسر من خلف المدير وسالم يلوح بكفيه وقد حملت شفتاه ابتسامة متعجرفة بأنه قد نجح في تغطية غيابه.



Scanned with CamScanner

وبسرعة ضغط نادر على معدته كاذباً وابتسم لهما مجيباً:

- هذا صحيح.. ولكن يبدو أني قد تحسنتُ كثيراً لذا عدت من أجل نوبتي.

أومأ له الجميع متفهمين ذلك ليلتفت نحوه فاضل بغتة قائلاً بابتسامة خفيفة:

- أنت هو الطبيب المسؤول عنه.. لقد امتدحك المدير كثيراً.. شكراً لاعتنائك به وحفاظك على سلامته.

نظرة خاطفة ألقاها نادر نحو المدير، إذاً هو لم يخبره بحقيقة أنه ليس سوى أخصائي مستجد، ومع ذلك رد برصانة وشموخ كبير:

- بالتأكيد.. إنه واجبي.

- لا بد أنك قد عانيت كثيراً من عنفه.

لم تغادر عينا نادر عينيْ فاضل أبداً وهو يجيبه بتعب:

- وبأسوأ مما تتصور.

زفر فاضل وكأنه يعتذر عن سلوك ولد أخيه السيئ قبل أن يقول:

- لا عليك.. بنهاية هذه الأشهر الستة سيُغادر لمصحة عقلية.

كان يبتسم وهو يقولها مواسياً له، ولثانية خُيّل إليه أنه رأى اتساعاً بعيني نادر وانفراجاً بشفتيه مستنكراً مصدوماً قبل أن يتلاشى ذلك كله ويرد ضاحكاً:



Scanned with CamScanner

- سأكون طبيباً سيئاً لو أخبرتك أن تُعجل بذلك.

ضحك فاضل وقد راق له نادر حقّاً.. فربت على كتفه مشجعاً له وحاثّاً له ليصبر ما تبقى من الأشهر.. فيما راح نادر يومئ موافقاً له في باقي حديثه..

غادر فاضل برفقة حارسيه فيما أغلق ياسر الباب على حجرة فارس وهو ينظر لسالم الذي وقف جوار نادر متمتماً:

- لقد طلب من المدير منحك وظيفة دائمة في هذا المستشفى حين امتدحك له.

ارتفع حاجبا نادر غير مصدق ما سمعه.. أمنيته وحلمه على وشك التحقق وبأسرع مما يتصور!!..

ولكن..

- ما ثمنُ ذلك؟

ألقى سؤاله المستغرب وقد عاد له بروده وطبيعته اللامبالية وكأنه بغياب المدير وفاضل قد تحرر من حاجته للمجاملة..

- أن تواصل اهتمامك بولد أخيه طبقاً للشروط التي أعطاك إياها المدير..

رد سالم بهدوء وكأن الأمر لا يحتاج منه كل هذا التساؤل..

غادر سالم بعد عبارته ليقف ياسر أمام نادر مطبقاً شفتيه وقد كتف ذراعيه منتظراً منه أن يشكره ويمتدحه ولكن اكتفى نادر بأن



Scanned with CamScanner

منحه نظرة لا مبالية قبل أن يسحب حقيبته ويصفق باب حجرتهما المشترك في وجهه فقد بدأت نوبته وعلى ياسر أن يغادر فما في أعماقه يُناقض تماماً تلك الابتسامات والنبرة الهادئة الضاحكة التي منحهم إياها..

***

انتثر مزيج من الأوراق الممزقة وأعقاب السجائر على أرضية الحجرة المشتركة.. وامتلأ فضاؤها بدخان بالكاد يستطيع أحد الرؤية فيه.

ووسط ذلك تعالت همسات نادر الشاتمة لأحمد.. وكل شتيمه هي أسوأ مما سبقها.. وكاد القلم يُكسر بين أصابعه وهو يدَوِّن الملاحظات فوق مفكرته التي أوشك ورقها على النفاد، غزا عينيه احمرار عنيف وهو يستكمل تحليل تفاصيل تلك الصورة لفتاة محطمة الأطراف وقد غُرس سكين ضخم في صدرها..

لقد نال أخيراً مهمة جديدة بعد تلك الأيام المضجرة، حاول جاهداً شغل نفسه بها وإغراق كامل تركيزه بهوايته المخيفة هذه، ولكن يبدو أن المشهد السابق ورّث ضغطاً هائلاً على كتفيه وعكر مزاجه ليزداد عدد الملاحظات الخاطئة والممزقة وازداد معها كمُّ السجائر القادم والمغادر لشفتيه..



Scanned with CamScanner

« ليتني قتلتك يا أحمد.. ليتني ما التقيتك أبداً.. سافل وغد... »

واصل شتائمه علّها تفرغ بعض ما أثقل صدره..

تحولت شاشة حاسوبه المحمول للسواد فرأى وجهه فيها.. كل ذاك البرود!.. وكل تلك الثقة التي دخل بها باتت شحوباً وإجهاداً ملأا عينيه ووجهه..

بلغت الساعة الواحدة فجراً ولا يزال فارس في فراشه بعد أن ذهب نادر لحجرته ليزيح كل تلك الأربطة المقيدة أطرافه..

لِمَ فعلها؟!.. هو لا يعلم.. لِمَ ينتظر إفاقته؟!.. أيضاً لا يعلم.. بل لِمَ هو يرفع بصره ليحدق به الدقائق بصمت تاركاً هوايته؟!.. أيضاً لا يعلم..

رمى بقلمه في ثورة ليرتطم بالحاجز فقد اكتفى بحق من محاولة إرغام نفسه على مزاولة هوايته..

هو حتى لا يشعر بالسعادة؟!.. لقد أخبروه أنه سيستمر في وظيفته بشكل دائم دون وجود فارس!.. سيصبح موظفاً رسمياً وسيضمن ذلك له التحاقه يوماً ما بسلك التحقيقات ممارساً هوايته التي أتقنها خلال وجوده بالسجن من معاشرته للمجرمين والقتلة..

سيصل لهدفه الحقيقي أخيراً بانضمامه للشرطة؟!

ولكن..

هو لا يشعر بأدنى شعور من السعادة أو الحماس، وعيناه لا



Scanned with CamScanner

تلبثان أن تعودا لمعانقة جسد ذلك النائم المحطم هناك..

رفع كفيه ليضغط بهما عينيه.. ما الذي يحدث معه؟!

وما هذا الشعور الغريب الذي يهاجمه؟!

لو تحدث وقتها وسط كل أولئك المسؤولين فسيُطرد.. سيفقد حلمه.. وسيتحطم والداه.. كان حكيماً للغاية بصمته وعدم إشعارهم بأي شيء..

كما أنه لو تناسى مصلحته الشخصية وتحدث بدلاً عن فارس لكان رُكل للخارج ولن ينتفع فارس بشيء..

سيخسر كلاهما فقط..

« المصحة العقلية! »

قفزت هاتان الكلمتان لعقله لتعيثا فيه الفوضى.. أسلاك كهربائية.. الضرب.. الأدوية الشالة للعقل.. المجانين بكل مكان.. قسوة العاملين فيه..

هو لماذا يتخيل الآن مرور الفتى بكل هذا؟!

« تبّاً لك يا أحمد ألف مرة!. »

كان سيهرب؟!.. سيختصر التعب والجهد على نفسه ببحثه عن المال في موقع آخر.. سيرتاح من كل هذا الضغط والتفكير، فقد حذره حدسه من مستقبل مشوش خطر يختلف عما رسمه وخططه لنفسه إذا ما استمر يرافق هذا الفتى!



Scanned with CamScanner

ولكن ذلك الوغد أحمد أغراه بعدة كلمات ليعود لهذا البؤس والشـقاء، فهو ليس بغبي ولا سـاذج فمنذ دخوله هذه الحجرة لأول مرة أدرك أن هناك شيئاً خاطئاً..

الحاجز الزجاجي..

مفارش فارس السوداء وحجرته الرمادية المضاعفة للكآبة..

طعامه الذي يكسبه الخمول والتعب كي تقل حركته..

منع التواصل والحديث معه..

سجنه لثماني سنوات متخذين من عنفه مبرراً لذلك..

كل ذلك لاحظه وتجاهله.. بل وحين عاد الآن كان مسـتعدّاً لمشاركتهم هذا الإثم..

ولكنه لم يظن أن الأمر بهذا السوء..

عمه لا يحمل له ذرة محبة واحدة..

مواجهة مريض بحقيقة أنه قاتل!.. تلك ليسـت من شـيم كبير سن مُهتم بقريبه..

أنزل نادر كفيه وحدق هذه المرة مطولاً ومطولاً بوجه فارس المحني نحوه..

هل والداه تخليا عنه حقّاً؟!

لِمَ الجميع تنكروا له بمن فيهم مايا التي يصـرخ مسـتنجداً بها بين لحظة وأخرى؟!

سـتزداد وحدته الآن، وتتضـاعف كآبته، وقد يفقد رغبته



Scanned with CamScanner

بالحياة..

وعندها سيعود ليؤذي نفسه..

« حسناً.. من واجبي الآن أن أكون أشد حرصاً عليه حتى لا يقتـ.. »

بهتت شفتاه وتلاشى صوته وهو يذكر دوران فارس بعينيه المغمضتين في الحجرة باحثاً عنه بلهفة بعد أن فقد أمله بعمه..

كان نادر يقف خلفهم ولكن فارس لم يتعرف عليه..

« آآآآآآه »

صرخ بغيظ وهو يحرك رأسه محاولاً تشتيت أفكاره وإيقافها..

فلو استسلم لها فلا يدري إلى أين قد تقوده؟!..

وأولها أنه تحت هذا الضغط قد عاد للتدخين مجدداً وبأسوأ من السابق بعد أن توقف استجابة لشروط الوظيفة بعدم تدخين العاملين بها..

وجد نفسه يتحرك فجأة ليقف أمام الحاجز وشفتاه تطلقان زفرة مشبعة برائحة الدخان.. مفكراً.. بأن عليه أن يكون أقوى؟!.. أن يتجاهل ما يراه؟!.. أن يفكر بنفسه فقط.. وفقط.

كان قد وصل لقراره الحاسم أخيراً حين قاطعته تلك الحركة الخافتة من رأس فارس فوق وسادته.. إذاً فقد أفاق؟!

ظل نادر مُعلق البصر به لخمس دقائق قبل أن يراه يتحرك أخيراً ليجلس فوق السرير بتعب ولا يزال أثر المهدئ عالقاً بعينيه



Scanned with CamScanner

نصف المفتوحتين..

رآه يرفع يديه ليضغط خلف خاصرته ويئن بألم من الموضع نفسه الذي قد ضربه سابقاً فيه واستنكر تألمه منه..

ظل لوقت يئن ويغير من جلساته محاولاً احتمال ذاك الألم قبل أن يضغط على صدره فجأة ويُجهش بالبكاء..

وبحق ففي هذه المرة لن يلومه أحد لبكائه فقد تبخرت كل آماله في الخروج ولم يبقَ له سوى رمادها ليخنق أنفاسه ويحرق عينيه..

راح يبكي ويبكي وارتفع صوته قبل أن يتكوم على نفسه فوق السرير ضامّاً لنفسه..

حيث لا أحد سيمنحه الأمان..

أو الراحة..

أو المواساة..

اكتفى بضم نفسه بشدة أكثر وأكثر وأنفاسه تضيق وشهقاته تتوالى..

دموعه الآن هيَ كل ما يملكه..

علّها تخفف ما تدفعه نفسه إليه من ارتكاب جريمة في حق نفسه..

وراحت شفتاه تنطقان بهمس وكأنه يشجع نفسه، ويده تمتد



Scanned with CamScanner

لتشتد فجأة حول قناع العينين الخاص بنادر مما جعل ملامح نادر المشدودة ترتخي صدمة..

« لن أُوْذِي نفسي.. لن أُوْذِي نفسي.. لن أُوْذِي نفسي.. لقد وعدته.. »

سقطت سيجارته المشتعلة بين قدميه وشحب وجهه..

لماذا؟!..لماذا كلما حاول دفعه بعيداً وجده يجذبه إليه مجدداً ويعذبه بما يقوله؟!

فكر بها نادر بمزيج من الذهول والقهر وكأن همسه ذاك موجه إليه..

ويبدو أن تلك الليلة لن تنتهيَ للاثنين إلا وهما يكادان يفقدان عقليهما..

فارس بمصابه ومدافعته حاجته لإراحة نفسه بقتلها..

ونادر بصراعه مع ذاته وذاته..

***



Scanned with CamScanner

# الفصل السابع

ثلاثة عشـر يومـاً مرت على الحادثة قضـاها فارس بصـمت كئيب بعد أن جف نهر دموعه وظل ملازماً لسـريره لا يغادره إلا لدورة المياه، حتى أنه تجاهل المرة الوحيدة التي فتح فيها نادر نافذة حجرته لسـاعة بأكملها، مما جعل نادر يثق أن هذا الفتى ما عاد هناك ما يبهجه..

وعلى الرغم من أنه منح نادر عدة أيام مريحة لم يعانِ فيها أبداً من عنفه ولا ثوراته إلا أن نادر نفسـه ما عاد يدرك ما تريده نفسـه حقّاً..

مر ما يزيد على شهر وبضعة أيام منذ التحاق نادر بالمستشفى ولم يتبقَّ على مغادرة فارس إلى تلك المصـحة سـوى أقل من خمسـة أشـهر تغيّرت فيها وجباته لتكون أفضـل من قبل ولكن فارس بالكاد يتناول منها القليل بل وتوقف عن الوقوف أمام الباب ليطلب ذاك الطلب الغريب.

تصـرفاته اللامبالية والممتلئة بحزنه زادت من شـعور نادر المضـطرب بل جعلته يشـعر وكأنه ممن يُمتع المحكوم عليه بالإعدام بالغذاء الجيد قبل أن تحين ساعة إعدامه، أو ممن يتدارك السـاعات الأخيرة ليحسـن إلى شـخصٍ ما كي يحرر نفسـه من الشعور بالذنب لاحقاً ليس إلا!..

***



Scanned with CamScanner

- اليوم ٣ يونيو -

كانت الثامنة مساءً - الوقت المشترك مع ياسر - ولم يكُفَّ نادر عن تصرفاته الثقيلة برميه عبء هذه النوبة على ياسر دون منحه شكراً أو حديثاً جديّاً لطيفاً ولو لمرة واحدة يخفف بها من جوهما المشحون..

« لا.. كم مرة قلتُ لكِ سيأكلها. »

كان نادر يقف أمام المُحاسبة بأحد المحلات حين لفتت انتباهه عبارة الرجل الموبخ لزوجته لشرائها ألواناً لطفله فيما بدا الطفل بغاية السعادة وكفه تقبض على كراس رسم بينما حملت كفه الأخرى علبة من الألوان الشمعية..

- عزيزي.. إنها مخصصة للأطفال حتى لو أكلها لن تضره.

ردها أدهش الرجل وإن كان نادر أكثر اندهاشاً منه وعندها أجابها برضاً:

- هذا جيد..

ثم ابتسم ومال عليها مضيفاً:

- سينشغل برسمه في الوقت الذي نحظى نحن فيه بفلم سهرتنا دون إزعاجه.

ضحكت الزوجة فقد كان هذا ما تقصده وانحنت لطفلها لتحمله و..



Scanned with CamScanner

« سيدي. »

استفاق نادر من شروده وتحديقه بتلك العلبة بكف الصغير ليُجيب:

- نعم؟

مدت المُحاسبة نحوه كيس مشترياته وحاجباها ينعقدان لذاك الضيق الشديد المُطل من عينيه بل كان يضغط على أضراسه وكأنه يقاوم رغبته في ارتكاب شيء لم يفعله من قبل فقالت:

- لقد تجاوز مبلغ شرائك الحد الذي حدده المدير لذا يمكنك اختيار هديةٍ لك مجانية من المحل.

اتسعت عينا نادر ثم ابتسم واتجه نظره نحو تلك النظارة الشمسية التي كان سيأخذها قبلاً ولكن سعرها المُبالغ فيه منعه من تبديد النقود عليها..

***

كانت التاسعة والنصف مساءً حين وقفت عاملة التغذية أمام حجرة فارس لتضغط على زر بارز جوار الباب فخرج من فجوة الحائط الأفقية لوح أفقي مُعبأ بالأطباق، تنهدت بتعب ثم سحبت عربة من خلفها تراصت عليها أطباق أخرى..

« هو لا يأكل.. وما يعطى له مضيعة للنعمة.. يجب أن يتصرفوا معه. »



Scanned with CamScanner

قالتها بامتعاض وهي تستبدل بأطباق الغداء الممتلئة بالطعام أطباقَ العشاء، وحين انتهت تماماً نظرت لها متفحصة إن كانت قد نسيت شيئاً ولم تكد تتيقن من اكتمال عملها حتى مدت يدها لتضغط الزر مجدداً كي يعود ذاك اللوح الأفقي نحو حجرة فارس مستنكرة في نفسها تضييعهم الكثير من المال عليه فحتى طعامه حرص المدير أن يُعطى له بطريقة تُغنيه عن رؤية أحد.

« انتظري. »

كان أصبعها ملامساً للزر بالفعل حين ارتفع صوت نادر فجأة من خلفها فنظرت نحوه ليصدمها بقوله:

- يمكنكِ المغادرة.. سأتفحص طعامه أولاً.

أشاحت بوجهها دون حرف فهي لم تنسَ بعد أنه من تسبب بوقت عصيب لمسؤول التغذية ولهم أيضاً.

راقبها نادر حتى اختفت داخل المصعد فأسرع لحجرته ليجلب شيئاً ما ثم عاد مجدداً نحو اللوح وظل لدقيقة أمامه يفعل به ما أراد ثم ضغط الزر ليتجه لحجرة فارس.

كان فارس يجلس فوق سريره مواصلاً صمته القاتل ذاك.. ومحدقاً بما أمامه في شرود.. فهو قد اكتفى حقّاً وما عاد يدري حقيقة ما يعيشه؟!

فإن كان مسجوناً عند قاتل لَمى.. فلماذا إذاً قد تصرف عمه



Scanned with CamScanner

معه بهذه القسوة؟!

لماذا لم ينقذه وتخلى عنه؟!

كيف يُصر على أنه قتل أخته دون دليل؟!... فهل مثلاً قد نجح ذلك الرجل في خداعه؟!

بل..

بل لِمَ تعامل معه وكأنه مريض؟.. هو حتى قال إنه قد يئس من مسألة شفائه؟!

ملأ الحزن عينيه ووجهه حين استرجعت ذاكرته ما قاله عن والديه ومايا..

فحتى لو نسيه العالم كله.. يستحيل أن تنساه مايا.

هو لن يصدق أبداً..

وإذا ما علمت مايا أن أحدهم قد نجح في جعله يُسيء الظن بها فقد تغضب منه..

ولعل هذا فقط ما جعله يحتفظ ببعض التماسك ولا يفقد عقله..

داهمه ألم شديد في معدته لطول ملازمته للسرير دون الذهاب لدورة المياه فأنزل قدميه واتجه نحوها مغالباً آلام الضرب التي لا يزال يشعر بها، وخاصةً قرب خاصرته، فبسببها يجد صعوبة حتى باستخدام الحمام..



Scanned with CamScanner

مر من أمام المائدة التي اعتلتها الأطباق المليئة بالطعام.. وقف أمامها قليلاً بعد أن لَفت انتباهه شـيء توسـطها فاتسـعت عيناه وانفرجت شفتاه وراح يتلفت فيما حوله..

ظل لثوانٍ بهذا الحال قبل أن تهدأ ملامحه بغتة ويغادرها الذهول ليبدو عليه اللامبالاة وجر خطواته للحمام صـافقاً الباب خلفه..

هل شـعرتم يوماً أنكم لا تريدون فعل شـيء وفعلتموه فجأة دون وعي بالرغم عنكم؟!

هل شعرتم يوماً أنكم خُدعتم من قبل شخصٍ ما.. ترفضونه وهو يُلح عليكم بتقبله.. وحين تتنازلون لتمنحوه نظرة واحدة يتجاهلكم ويرفضكم؟!

هذا ما شعر به نادر في هذه اللحظة؟!

استحالت عيناه جمرتين ملتهبتين، وأطلق أنفه أنفاساً حارقة، وطرف سيجارته يسحق بين أسنانه..

« ما كان عليّ أن أُشفق عليه. »

تمتم بها وجمرتاه تحدقان بندم بالصـحن الذي تراص فوقه ثلاث من شرائح البرقر المطهية بعناية..

(لقد أُهين بالكامل).. هذا ما شـعر به وهو يتذكر صـراعه مع ذاته كي لا تسـتجيب لنداء الشـفقة وتبدد النقود على مثل هذا الشيء..



Scanned with CamScanner

هو حتى تخلى عن النظارة الشمسية كي..

لم يكد يصل به تفكيره إلى هذا الحد حتى امتقع وجهه وراحت عيناه تتأملان ذلك الكيس الموضوع فوق الطاولة والذي لم ينتبه له فارس بعد..

الآن بالتأكيد هو ليس مستعدّاً لتلقي صفعة إهانة أخرى على يد هذا الجاحد..

تحرك من مكانه ففارس ما زال بالحمام لذا يمكنه استعادة الطبق والكيس معاً قبل خروجه، ونتيجة لغضبه الذي بلغ حده وعدم اعتياده استخدام ذلك الزر وجد نفسه كما اعتاد يفتح باب الحجرة ويدخل بسرعة ليقف أمام اللوح وامتدت يده نحو الطبق والكيس ليأخذهما..

و..

فُتح باب دورة المياه فجأة..

***

(توقفت سيارة مرسيدس حمراء بسقف مكشوف أمام أرض مغطاة بأشجار عالية أحاطت ببحيرة انعكست عليها زرقة السماء الصافية..

ترجلت فتاة في السادسة عشرة من عمرها خارجها ودفعت خصلات شعرها السوداء خلف أذنها اليمنى وهي تضغط زرّاً



Scanned with CamScanner

لتغلق السيارة آليّاً..

تنهدت بتعب قبل أن تناوب نظراتها بانزعاج بين البحيرة وذاك القصر المنيف الذي يبعد عنها عشرات الأمتار..

تحركت بحذر بكعبها العالي فوق الحشائش وأطنان من أوراق الخريف المتساقطة، ثم ابتسمت وهي تلحظ بعينيها ذاك الطفل ذا السبع السنوات الجالس أمام البحيرة في سكون..

« هل أنت صخرة؟! »

صُدم الطفل لصوتها من خلفه فالتفت ليراها تقف إلى جواره وعيناها تحدقان بسطح البحيرة الذي طفت فوقه دمية دب ضخمة فقالت بضحكة خفيفة:

- إذاً فهذا موقع جرائمك السري حيث ترمي دمى لَمى وألعابها.

مط شفتيه وضم ركبتيه لصدره أكثر هامساً:

- لستُ صخرة.. أنا فارس.. ثم لِم لم ترحلي بعد؟!

« تريد مني أن أرحل إذاً؟! »

قالتها مصطنعة الصدمة لاستعجاله رحيلها ثم انحنت نحوه لتغطي خصلات شعرها السوداء وجهيهما معاً طابعة قبلة على خده الأيمن وهامسة:

« إذاً.. وداعاً فارس. »



Scanned with CamScanner

لم تكد تتمها حتى اتسعت عيناها لمرأى الدموع التي انهارت من عينيه فجأة وهو يتشبث بطرف معطفها هامساً:

« لا تذهبي.. أرجووووكِ. »

انحنت لتجلس على إحدى ركبتيها أمامه متأملة وجهه الصغير، عيناه الزرقاوان بدتا كبحر هائج من الدموع، شفتاه ترتجفان وكتفاه يهتزان ببكاء..

تماسكها الهش كاد يخونها وتبكي إلى جواره..

امتلأت عيناها بحب عميق ومجنون له.. كيف لا؟!.. وهو أكثر من تكترث له في حياتها..

ضمته بقوة لصدرها ليفرغ كل حزنه عليها وابتلعت ريقها موقفة غصة في حلقها..

- إذاً يا مدّعي القوة هذا ما جعلك تغادر القصر فجراً ولا تودعني مع البقية؟!.. لم تكن تريد أن ألحظ أنك حزين على فراقي؟!

زاد بكاؤه حدة وهو يومئ إيجاباً فيما ارتجف صوتها:

- لقد بقيت طوال الأيام الماضية منذ أن أخبرتك أنني سأغادر تصرخ بي أن أرحل..

أعاد وجهه للخلف ليظهر وجهه المحمر وعيناهُ تتوسلان بقاءها قبل شفتيه:



Scanned with CamScanner

« لا تذهبي مايا.. ابقي معي. »

احمر وجهها وصـمتت وقلبها يكتم الكثير والكثير.. فكيف ستجيبه!!.. فيما أردف هو بتأثر:

- كُنتُ غاضـبـاً.. غاضـبـاً فقط لأنكِ قررتِ الرحيل وتركي.. لذا قُلتُ ما قلتُ سابقاً ولكن أنا أُريدكِ حقّاً أن تبقي.

ربتت بكفها على شعره الأسود مجيبة بلطف:

- أنـا أعلم.. أعلم أيهـا المحتـال أنـك تكـذب لهـذا جئـتُ لأودعك.. ثم لا تقل إنّي سـأتركك.. أنا فقط سـأُتمُّ دراسـتي ثم أعود لتجدني شـخصـاً تفخر به وتعتمدُ عليه، وهذا ما وعدتني به أيضـاً أنك ستجعلني أفخر بك حين أعود.. فهل ستنكث وعدك وتجعلني أقلق بشأنك قبل رحيلي؟!

سؤالها ذكره بوعده لها بأنه سيعتني بنفسه ويهتم بدراسته إذا ما رحلت.. ولكن تلـك اللحظـة لا تقـارن بهـذه حيث يراهـا الآن سترحل أمام عينيه..

وحين طال صـمته الحزين رآها تخرج كيسـاً من حقيبتها الذهبية اللامعة ثم فتحته لتخرج منه شريحتين من البرقر المحترق الصلب وقد عكس وجهها ارتباكها وهي تأخذ واحدة لنفسها ثم مدت بالأخرى له قائلة:

- لا تخبر أحداً أني دخلت المطبخ وطبخت.. سـيكون هذا



Scanned with CamScanner

سـرنا الصـغير.. وعليك أن تقدّر أنني أجبرتُ نفسـي على الطهو لأني أعلم كم تحبها.

تناول الشـريحة فقد كان جائعاً لطول مكوثه أمام البحيرة ثم ضحك وهو يقلّبها سائلاً:

- هل هي صالحة للأكل؟!

عبسـت بوجهها: « لا تسـخر مني.. ثم هي لن تقتلك على أي حال. »

أخذ يأكلها أمامها فيما تناولت هيَ الخاصة بها قائلة:

- هذه سـتكون آخر وجبة لي معك إلى وقت عودتي.. وحين أعود سـأكون قد أتقنتُها جيداً وأول ما سـتتناوله من صـنعي سيكون....

« شرائـح البـرقر. »

همس بها فارس قاطعاً سـيل ذكرياته وابتسـامة صـغيرة تعلو شـفتيه الجافتين ليتألم قليلاً من تمزقها فهو أهمل تناول المياه إضافةً للطعام..

غمر قلبه حزن شـديد فقد كانت تلك الوجبة هي الأخيرة التي تشاركها مع مايا وبعدها لم يرها أبداً.. خاصةً أن مقتل لَمى حدث بعد سنة من رحيلها..

زم شـفتيه فجأة ورفع عينيه للأعلى لتذكره تلك الشـرائح فوق



Scanned with CamScanner

مائدة طعامه.. كيف قاومها؟! هو لا يعلم!!..

ولكن يبدو أن تماسكه الهش قد تحطم، فقد سحب منشفة راح يجفف بها كفيه ليفتح باب دورة المياه بعجلة عائداً إليها وقد نوى التهامها بالكامل، ولكن لم يكن قد اكتمل انفراج الباب بعد حين لاحظ ظلّاً طويلاً مديراً ظهره له يقف أمام مائدة طعامه والأسوأ من ذلك ينوي سرقة صحنه المفضل..

ضاقت عيناه غضباً واندفع نحوه وقبل أن يصدر عن ذلك الشخص المتجمد أي ردة فعل كان قد انحنى فارس على ذراعه وبكل قوته غرس أنيابه وأضراسه فيها علّها تجبره على ترك طبقه..

ارتفع صوت تأوه الرجل عالياً وشعر فارس بأصابع كفه تخترق خصلات شعره السوداء جاذباً لها للأعلى كي يُحرر ذراعه ورغم ذلك لم يخفف فارس من عنف عضته..

« سحقاً. »

صاح نادر بغضب جامح ويده تتخلى عن الصحن بينما ضغطت الأخرى على جبين فارس مبعداً له بالقوة عن ذراعه فقد آلمه بحق.. ولم يكن ذلك حكيماً إطلاقاً، هذا ما انتبه له فقد تجنب إيذاءه بجذبه بعنف من شعره ليختار بدلاً من ذلك جبينه حيث جرح رأسه الذي نسيه فنُكئ مجدداً ليعود لإيلامه بشدة مصحوباً بصداع موجع..



Scanned with CamScanner

تخلى عندها فارس عن ذراعه ورفع كفيه ليضـغط بقوة فوق الضماد الذي تلوث بدماء طفيفة وشفتاه تئنان ألماً..

تلك الثواني القليلة كانت الفرصـة الوحيدة لنادر لإنقاذ نفسـه من عنف جديد فقد رفع كفين متوترتين سريعتين نحو رقبة فارس ليسـحب قناع العينين للأعلى ويحجب رؤيته بالكامل فيما اتسـع فم فارس بصدمة غير مصدق أن هذا الشخص هو نفسه نادر! فهو لم يشتم رائحة عطره التي اعتادها؟!..

ولكن الطول هو نفسه.. طول هذا الشخص من الخلف يشبه طول الشخص الذي رآه حين أصاب رأسه في الحاجز..

بل والأكثر من ذلك حين عض ذراعه اليمنى لينقذ طبق البرقر كانت تزينها ساعة كبيرة.. وذلك المجرم لا يضع ساعته باليمنى أبداً؟!

« أنت.. أنت.. هو؟! »

سأل فارس بشبه صدمة ليظهر صوت نادر والذي يعرفه تماماً قائلاً بأنفاس لاهثة:

- نعم أنا هو.

ابتسـم فارس بسـعادة وحماس واعتدل واقفاً أمامه وكفاه ما زالتا تضـغطان على جرحه فيما فرك نادر معصـمه لبعض الوقت بألم قبل أن يقول بثورة:



Scanned with CamScanner

- أخبرني.. هل أنت بشر أم كلب؟!.. تبّاً إنها تؤلم بحق.

- لم أكن أعلم أنه أنت.

رد فارس بابتسامة واسعة دون أن يزيح قناع العينين وكأنه يخشى أن يفعل ذلك فيتركه نادر فيما زفر نادر مُحنقاً والتفت ليرى ذلك الصحن الذي سبب له كل هذه المتاعب ثم تذمر:

- ما دمت تريدها لهذا الحد لماذا اكتفيت قبل قليل بتأملها ولم تأكلها؟!

- لأني غاضب منك.

اتسعت عينا نادر لرده الغريب الذي فاجأه فيما تقوست شفتا فارس وتابع وكأنه يعاتبه:

- لقد كنت هنا في الحجرة معي حين ناديتك ولكنك لم تأتِ.

شحب وجه نادر وهو لا يكاد يصدق أن فارس خلال تلك الحادثة كان متيقناً تماماً من وجوده في الحجرة مع عمه، ولم يهده عقله لتفسير كيفية معرفته بذلك، ولكن فارس لم يتركه أسير حيرته فقد قال فجأة بعبوس:

- كان عطرك.. أنا متيقن.. ولكنك لم تجبني؟!

- أنت لديك بالفعل حتى حاسة شمها.

قال نادر بانزعاج وقد اقشعر جسده بالكامل فيما لم يعتبر فارس تلك إهانة وراح يضحك مفتخراً بقدرته..



Scanned with CamScanner

شفتاه المبتسمان وضحكته العذبة لم يعلم نادر كيف امتصت كثيراً من غضبه!! بل وجعلته هو الآخر يبتسم لإدراكه أن فارس قد ابتهج من قلبه بعد وقت طويل..

« هل وجهك قبيح؟! »

ارتفع صوت فارس حاملاً شيئاً من الأسف مما جعل نادر يثق أن فارس سريع الغضب سريع النسيان فهو لم يمنحه الفرصة حتى ليجيبه حول عدم قدرته على مساعدته في وجود عمه..

والأسوأ أنه مع سؤاله راح ينزل كفه عن جرح جبينه كي يزيح قناع العينين لينظر لنادر إلا أن نادر أسرع يثبت القناع آمراً بحزم:

- أبقه كما هو.. ولا تنظر.. وإلا كانت العواقب وخيمة لكلينا.

- هل ستتركني إن نظرتُ لوجهك؟

سؤاله القلق جعل نادر يستغل خوفه فقال محذراً:

- بالتأكيد.. وسأختفي ولن أعود لهذا المكان إطلاقاً.

اصفر وجه فارس وانقبض قلبه بخوف فأنزل كفيه عن القناع باستسلام تام فيما أطلق نادر أخيراً نفساً طويلاً مرتاحاً ودون أن يدري وجد نفسه يثق بأن فارس لن يجرؤ على مخالفة أمره خاصةً أنه بالكاد حصل على شخص يشاركه الحديث..

ومع ذلك لم يزل تجهم وجهه والتقى حاجباه بشدة غير مصدق ما حدث.. فالمواجهة بينهما الآن كانت مفاجئة وسريعة للغاية.. والأسوأ ليس مخططاً لها.



Scanned with CamScanner

ظل ينظر إليه فقد كان يقف أمامه مباشرة والابتسامة السعيدة لم تغادر شفتيه ثم تحرك بغتة خطوتين جانبيتين نحو المائدة حيث صحن الشرائح ومد كفه اليمنى لتلهو بعشوائية فوق المائدة باحثاً عنها..

ابتسم نادر بالرغم عنه وسحب مقعداً ليجلسه عليه قائلاً:

- لا تتحرك.. انتظرني فقط.

أومأ فارس برأسه مذعناً له ولامست كفه إحدى الشرائح ليسحبها ويبدأ في أكلها متجاهلاً ألم رأسه فيما عاد نادر نحوه حاملاً حقيبة إسعافات ثم سحب هو الآخر مقعداً ليجلس في مواجهته وراح يفك الضماد القديم عن رأسه..

- ألا تستطيع الصبر حتى أُنهي تضميد جرح جبهتك؟

ابتسم فارس وهو يسحب الثانية ليبدأ في أكلها محركاً رأسه بـ «لا»، فضغط نادر على أسنانه محنقاً وحمد الله أنه لا يصدر صوتاً أثناء أكله كياسر وإلا لقذفه هو ومقعده للخلف..

«هل أنت قبيح؟!»

ذلك السؤال المتأسف المشفق عاد ليخترق الصمت مجدداً فأزاح نادر خصلات شعر فارس السوداء ليلف الضماد الجديد حول جبينه وهو يسأله باستغراب:

- لم هذا السؤال؟!



Scanned with CamScanner

- لأنك ترفض أن أراك.

« يا لصغر عقله وتفكيره. » فكر نادر باستخفاف وهو يتأمل وجهه الجاد..

عاد بظهره للخلف ولكن لم يكد يُبعد كفه عن رأس فارس حتى أسرع فارس يمسك ذراعه الأيمن وراح يتحسس موضع عضته، اكتفى نادر بالصمت وهو يراقب ما يفعله قبل أن تصدمه شفتاه اللتان تقوستا بندم شابه انزعاج كبير:

- أسف.. هل تؤلمك؟

هيَ تؤلمه وأراد أن يخبره عن مقدار سوء عضته وعمقها فنطق:

- لا بأس.. لم تعد تؤلم.

بهتت عينا نادر مستنكراً رده الذي ناقض تماماً ما فكر به عقله، إلا أن ما قاله كان ذا أثر حسن على فارس الذي عاد الارتياح ليملأ تقاسيم وجهه فمد يده الأخرى ليمسك ذراع نادر بكلتا يديه ثم لامس الساعة قائلاً:

- أنت تضعها في اليمنى.. وذلك المجرم يضعها في اليسرى.

اتسعت عينا نادر لهذا التفصيل الصغير ومنه تيقن أن فارس حاد الذكاء وإلا لم يكن ليميز بينه وبين ذلك الشخص بسبب هذا.. ولكن تكرار فارس لوصفه الشخص بالمجرم احتل كل انتباهه فسأل بفضول:



Scanned with CamScanner

- في ذلك اليوم كان موجوداً في حجرتك مع عمك؟

أومأ فارس بـ (نعم) بهدوء وعندها سأل بانفعال شديد:

- صفه لي؟

فتح فارس شفتيه لتشتد فجأة أصابعه على ذراع نادر وكأنه يكره تذكره، بل وارتجفت شفتاه ولم يعلم نادر إن كان اضطرابه غضباً أم خوفاً فأسرع يمسك يده متحسساً نبضه ليجده متسارعاً بشكل فظيع فقد كان يضغط على نفسه بشدة فقال نادر بسرعة:

- لا بأس.. لا بأس.. يمكنك أن تخبرني بذلك لاحقاً.

أومأ فارس برأسه بطاعة فهو لا يرغب بتذكره وخاصة في هذه اللحظة الجميلة الجامعة له بشخص مختلف بعد تسعِ سنوات..

- حسناً.. سأدعك الآن تتناول طعامك واشرب قارورة الماء بأكملها فشفتاك متشققتان بشكل فظيع.

قالها نادر وقد همّ بالنهوض ولكن فارس لم يتخلَّ عن ذراعه مما أجبره على مواصلة الجلوس أمامه.. بل وعلم أنه كان ينوي مسبقاً منعه من الذهاب بتشبثه بها!..

« لا تذهب.. ابقَ معي. »

قالها فارس بتوسل وهو يتمسك بذراعه أكثر متابعاً:

- أُقسم أني لن أنظر إليك.. حتى لو كنت قبيحاً لن أقول لك



Scanned with CamScanner

ولن أسخر منك.. فقط اجلس معي.

« أي معضلة أوقعتُ نفسي بها؟! »

تأفف نادر وعيناه تعودان للحاجز خشـية أن يأتي أحد بغيابه ويكتشف وجوده بالحجرة مع فارس..هو صحيح قد أشفق عليه سابقاً.. ولكنه ليس مستعدّاً لإيقاع نفسه في مشكلات.. و..

انتبه فجأة لتلك الكلمة السخيفة التي تتردد على سمعه ما بين لحظة وأخرى وهو يتجاهلها بإرادته ولكن ما دام فارس يصر على تكرارها فليأخذ جزاءه إذاً..

- لستُ قبيحاً.. بل أنا أوسم وأجمل منك عشرات المرات.

- حقّاً؟!

- بالتأكيد.. وتوقف عن وصف وجهي بالقبيح.. وإلا فـ..

وانتبه فجأة لمدى سخافته هو الآخر بمعاندته لفتىً يصغره والأسوأ من ذلك هو مريض!!.. ومرت ثوانٍ غالب فيها نفسه ليستعيد بروده المعتاد وامتلأت عسليتاه بجدية شديدة وقد بدت له فرصة سانحة من الغباء تضييعها فانحنى نحوه قائلاً:

- حسناً.. سأخبرك بالحقيقة.. حقيقة لمَ لا أسمح لك برؤيتي.. وعليك أن تستمع جيداً.

نبرته الجادة جعلت فارس يومئ بإنصات تام فيما تابع نادر:

- أنا أعلم أنك لا تُدرك ما أنت فيه، ولا تعلم أيضاً نوع المرض الذي تُعاني منه.



Scanned with CamScanner

فتح فارس شـفتيه يريد مقاطعته فهذه المرةُ الثانية التي يتم وصفه فيها بالمريض لتصدمه (اششششش) حازمة من نادر جعلته يلتزم الصمت فيما استطرد هو محذراً:

- عدني أنك لن تثور ولن تتصرف بعنف وستكتفي بالإنصات فقط.

أومأ فارس برأسه مجبراً وحينها قال نادر بكل صدق وشفافية غير مكترث لمدى ما قد يحدثه ما سيقوله فيه من أثر:

- أنت الآن في مصحة نفسية شهيرة بالعاصمة.. تقطن بالطابق السـابع منها.. لأنك مريض بمرض يسـمى متلازمة فريجولي يجعلك تتوهم الناس شخصـاً واحداً إما بهيئته الحقيقية أو متنكراً في صـورة أشـخاص آخرين مختلفين تماماً عنه قد يكونون كبار سن وحتى نساء ولهذا تعامل الجميع بعنف معتقداً أنهم هو وهذا أيضـاً ما منح الآخرين مبرراً لحبسـك هنا مدّعين أن عنفك السبب.

ارتخت ملامح فارس ولولا عيناه المحجوبتان لرأى نادر مدى اعتراضه على ما يقول بل واستنكاره الشديد..

وبعد دقائق صمت ازدرد فيها فارس ريقه محاولاً حفظ وعده، قال:

- أنت لا تعرفه.. هو ذكي.. ذكي للغاية وهو من يحبسني هنا..



Scanned with CamScanner

بل ويتنكر بهيئات مختلفة متباهياً أمامي بموهبته ومحاولاً إغاظتي والتلاعب بي كما لو كُنتُ إحدى دماه.

- أنت أذكى من أن تفكر هكذا؟!.. أعلم أن مرضك لا يصاب به إلا شخص ذكي للغاية ولكن عليك أن تكون في هذه المرة أذكى من عقلك نفسه وتلاعبه بك.

- كلا.. هذا ليس صحيحاً.

- فكر جيداً.. كيف لرجل أن يمتلك القدرة على تقمص صورة وصوت نساء عدة؟!.. بل صورتك أنت هل تتشوه أمام المرآة؟!.. هل تعرضت لضربة برأسك قبل ثماني سنوات؟

وفي هذه المرة فارس من تخلى عن ذراع نادر بصدمة ليُمسك بها نادر بقوة ويشد عليها مدركاً أنه قد أصاب بأحد أسئلته شيئاً من الحقيقة، فيما حرك فارس كفه إلى ما خلف عنقه قبل أن يرفعها للأعلى حيث تلقى ضربة قبل تسع سنوات..

- ما هو اسمك؟

نطق فارس قاطعاً ذلك الحديث الثقيل المخيف بشفتين مرتجفتين ولحظ نادر قناع العينين الذي تبلل بدموعه..

ارتخت ملامح نادر وأدرك من تغييره للحديث أنه لم يتقبل أبداً ما قاله بل والأسوأ من ذلك هو في حالة شديدة من الاضطراب يريد رفض أفكار نادر ولكنه يخشى في الوقت ذاته هجر نادر له لو اعترض..



Scanned with CamScanner

لانت ملامح نادر وأحس بكفيه المرتجفين فوق ذراعه بل ورأى سيل دموعه يغادر قناع العينين ليخط على وجنتيه..

- اسمي نادر.

قالها نادر بهدوء فضحك فارس من وسط دموعه قائلاً:

- اسمك جميل حقّاً.

كان يحاول بقوله تناسي ذلك الجو الذي أثقل صدره فابتسم نادر بدوره قائلاً:

- هل هيَ لذيذة؟

ضحك فارس وقال بسعادة غامرة:

- جـدّاً.. أحضر لي أكثر في الغد.

- حقّاً؟!.. وعلى ماذا سأحصل في المقابل؟!

غادرت الضـحكة شـفتي فارس وظل مفكراً للحظة ولكنه لا يملك شيئاً فقال:

- سأشكرك.

ظل نادر مشدوهاً ومحدق النظر به ثوانِيَ قبل أن يقول:

- تفكيرك بسيط للغاية.

قال فارس بنبرة صادقة:

- أنا لا أملك غيره.. ولكنه حقّاً ذو قيمة فأنا لم أشـكر أحداً



Scanned with CamScanner

أبداً بعد مايا.

- حسناً.. أفهم من قولك أن عليّ أن أكون ممتنّاً لشكرك.

صمت فارس وظل يفكر للحظة فإن قال (نعم) فهذا سيئ وإن قال (لا) فهذا يعني أن عليه أن يعطيه شيئاً آخر غير الشكر.. ثم ما لبث أن عبس بوجهه قائلاً:

- هل تُحبُّ الجدال؟

- نعم.. حين يحاول أن يقنعني الآخرون بأن عليّ فعل شيء أرى أنه لا ينبغي عليّ فعله.

- فقط اصمت ولا تفعله.

قالها فارس بكل براءة ليصدمه قول نادر التالي:

- حسناً إذاً.. سأصمت ولن أحضر لك شرائح برقر في الغد.

تجهم وجه فارس ولم يجد ما يرد به عليه وقد حزن حقّاً لرفضه طلبه، فيما اعتلت شفتي نادر ابتسامة كبيرة دون أن يدري لمَ هو مستمتع بإغاظته!..لعلّ رده المتعجرف بكونه سيمنحه شكره هو السبب!.

- ولكنك أعطيتني هذه دون مقابل.

قال فارس وهو يشير بسبابته لقناع العينين.

- حسناً لكل شيء بداية.. وهذه الأولى ولن يكون هناك غيرها.



Scanned with CamScanner

رد نادر كاذباً ومدارياً حرجه فهو لم يعطها له أصلاً، فيما قال فارس فجأة بابتسامة متعجبة:

- وشرائح البرقر الليلة لقد أحضرتها لي دون أن أعطيك ثمناً لها وهيَ الثانية.

عبس نادر بوجهه ولم يجد هذه المرة رداً ينفي حقيقة ذلك فيما ضحك فارس بانتصار حين صمت فقد أدرك أنه أفحمه..

- كيف تفلّت هذا الحديث من الحديث عنك إلى الحديث عني؟!..

تذمر نادر بانزعاج وهو ينهض وعيناه تحدقان بذلك الكيس فكيف لو أدرك فارس أن هناك شيئاً آخر مجانيّاً سيأخذه!..

كان سيُخفيه حفظاً لماء وجهه ولكن رنين ضحكات فارس العالية الجذلة والجديدة على سمعه جعله يبتسم ويقول:

- حسناً.. يوجد شيء ثالث هنا تركته لك.

اتسعت شفتا فارس ببهجة أكبر وهبّ واقفاً بطيش ليتعثر مع فقدانه للرؤية فأسرع نادر يثبته من وسطه ولكن لم يكد يلامس خاصرته اليسرى حتى سمع صوت أنينه المتألم..

- هل تؤلمك؟

سأله نادر باستغراب وهو لا يزال يسنده فيما تشبث فارس بذراعيه وقدماه تكادان تخذلانه وقد عاوده ألمها فأومأ برأسه إيجاباً..



Scanned with CamScanner

تردد نادر لحظة قبل أن يقول:

- لماذا تشتكي منها دوماً؟!.. هل تعاني من مرض عضوي؟!

تانك الشفتان الجافتان لم تجيباه بالكلمات بل بدلاً من ذلك تحامل على نفسه ليقف نازعاً قميصه وكاشفاً عن نصفه العلوي أمام عيني نادر اللتين اتسعتا صدمةً وذهولاً..

وظل لثوانٍ مصعوقاً بما يراه قبل أن يسند فارس مخففاً من ترنحه ويده الأخرى تمتد لتلمس جلد بطنه حيث كدمة زرقاء كبيرة..

ولم تكن كدمة واحدة بل عدة كدمات انتشرت على صدره، وصدق ظن نادر حين نظر للخلف ليجد أخرى توزعت على ظهره لتتركز أكثرها زرقة أعلى خاصرته من الخلف التي لطالما بكى فارس ألمها وأعاقت جلوسه وجعلته يئن ويعاني لعدة ساعات قبل استطاعته الوقوف..

رفع نادر بصره المتسع لينظر لشفتي فارس المطبقتين بألم وهو لا يكاد يصدق كيف استطاع تحملها كل هذا الوقت.. بل والأسوأ أنه بدا وكأنه يتعرض لها دوماً..

- من ضربك؟ ومتى حدث ذلك؟ وأين كان ياسر وقتها؟!

سيل من الأسئلة المتلاحقة لم يفهم فارس منها سوى شيء واحد ليجيبه:



Scanned with CamScanner

- هو.. ذلك الرجل.. قبل مجيء عمي في الصباح.

أدرك نادر أنه اليوم الذي غادر فيه وبنوبة ياسر أيضاً..

أظلم وجهه واحمرت عيناه غضباً وهو يذكر الأثاث المحطم فلا بد أنه ناتج عن ثورة فارس بعد مغادرة الرجل لحجرته وضربه له بشدة..

ولكن قال فارس فجأة بابتسامة وكأنه أدرك غضبه:

- لا تقلق.. بقي فقط ثلاثة أيام وسيقل ألمها ويخف أثرها.. ثم أنا لم أنظر أو أركز بالمقاطع والصور التي أراني إياها.

- أيُّ مقاطع وصور؟!

- صور جثة أختي لَمى فوق سريري والدم و..

صمت لتشتد قبضتاه ويشحب وجهه وقد عاودته نوبة هلع مشابهة لنوبة دخول الرجل لحجرته، فيما بدا نادر وكأنه فقد شعوره بما حوله غير مصدق ما يسمعه، ثم صرخ فجأة بثورة متأججة وكأنه أدرك ما يهدف إليه:

- بؤساً له.. لم يكفه ضربك بل ويسعى لانتكاستك.

بكى الفتى عندها ولم يستطع النطق وتلك المشاهد تتتابع أمام عينيه فقال نادر بأنفاس ثائرة:

- بقاؤك هنا هو الجحيم بعينه.

ثم اشتدت أصابعه بغضب حول ذراعيه وعقله لا يسترجع



Scanned with CamScanner

سـوى معاناته هو الآخر من الضـرب والتعنيف والتهديد داخل السجن..

ولكنْ هناك فرق..

فرق كبير..

فهو نادر وبعدة أشهر فقط جعل جميع من بالسجن يتنافسون على كسر تمرده أو ضمه لفرقهم لقوته..

ولكن فارس صغير السن فاقد الصحة وبعقل مضطرب مريض بالكاد يقاوم داخل مكان يظن الكل فيه أنه يتلقى أفضـل وألطف معاملة..

والأسوأ يستغلون تشخيصه النفسي ومرضه لاحتجازه بسجن انفرادي بغرض زيادة حالته سوءاً وتعذيبه نفسيّاً وجسديّاً..

- هو معتقل فقط بهدف تدمير بطيء وممنهج لعقله.

قالها نادر بصـدمة عنيفة ويبدو أن ذلك قد فاق تحمله ليهزه بقوة قائلاً بحدة وغضب:

- شكرك وحده لا يكفيني إن كنت ترغب بشيء وذلك يشمل حمايتك مما أنت فيه.. فسـأمنحك يومين فقط لتفكر فيهما حول مرضـك وإن لم تتقبله خلال هذين اليومين وتعترف به فأنا بحق سـأكتفي منك ولن أظهر لك وسـأدعك تتعفن هنا بمفردك بدون هذه الشرائح السخيفة التي تصيح بطلبها..



Scanned with CamScanner

ثم أعاده للخلف بقوة ليشهق فارس وبالكاد حفظ توازنه حتى لا يسقط فيما سحب نادر في طريقه الكيس من فوق المنضدة وخرج من الحجرة صافقاً الباب خلفه..

***

كانت السادسة صباحاً حين دخل ياسر حاملاً حقيبته في يده، وضعها بهدوء فوق مكتبه ثم التفت ينظر لفارس الذي استكان جسده تحت غطاء سريره وقد كان تنفسه عميقاً بالنسبةِ لشخص نائم..

- إنه ينام بعمق.

قالها ياسر دون أن ينظر خلفه لنادر الذي كان يقف أمام آلة صنع القهوة.. متسائلاً في نفسه..: لماذا لا يغادر كعادته!! فقد بدأت نوبته؟!

رمى بنفسه على مقعده وأشاح بوجهه بعيداً فهو لا يزال غاضباً منه، وهذا الرجل لا يساعده على أن يتقبلا أحدهما الآخر!..

- لقد بدأت نوبتي.. لمَ لا تغـ..

احتبست بقية الكلمات بحلق ياسر وكاد يسقط من فوق مقعده من هول صدمته وعيناه المتسعتان تحدقان بكوب القهوة الذي وضعه نادر أمامه..

ظل لثوانٍ يناوب بصره بين الكوب ونادر قبل أن يقف فجأة ملامساً لجبهة نادر وسائلاً بانفعال:



Scanned with CamScanner

- هل أصابتك الحمى من خروجك تحت المطر البارحة؟!

لم يحتقن وجه نادر.. لم يغضب.. لم يدفعه أو يهدده.. بل كل ما فعله أن رفع يده وأنزل كف ياسر برفق قائلاً:

- أنا بخير.

سحب ياسر كفه وراح يتلفت حوله كالمجنون.. فلا بد من أن نادر أصابته لوثة؟!.. أو فقد عقله؟!..

فيما نظر له نادر بحنق فهو لم يكن معه بذاك السوء!!..

دفع نادر كوب القهوة نحوه أكثر قائلاً: « لن تجد أطيب من قهوتي.. فلدي مهارة في صنعها. »

ابتعد ياسر للخلف ولو كان يمكنه لابتعد آلاف الأميال عن هذا الغريب وهو يسأله من بعيد:

- ماذا وضعت بها؟!.. هل هي مسمومة؟!

اهتز حاجب نادر وضغط على أسنانه ليبتسم ابتسامة بدت معاقة، وهو يُبدل بين كأسه وكأس ياسر ثم ارتشف منه عدة رشفات قائلاً:

- هل اطمأننت الآن؟

لم يتحرك ياسر من موقعه شبراً واحداً حتى رأى نادر يجلس على الأريكة البعيدة عن مكتبه فجَرَّ نفسه ليجلس ثم استنشق رائحة القهوة قبل أن يرتشف هو الآخر منها وعيناه المشدوهتان معلقتان بنادر..



Scanned with CamScanner

- هل أعجبتك؟

- أنت لن تطلب ثمنها أليس كذلك؟

حرك نادر كفه بأن « لا » وهو يضحك ساخراً.. تلك الضحكة بدت أكثر شرّاً لياسر من كل خصامهما السابق..

ابتلع ياسر ريقه وأعين كل من الاثنين تجول في عيني الآخر بصمت، قبل أن يقطعه نادر بقوله:

- أتذكر ذاك اليوم عندما غطيت غيابي؟

أومأ ياسر برأسه إيجاباً دون أن ينطق فتابع نادر بهدوء:

- شكراً لك.

امتقع وجه ياسر واصفر وتصلب كفه فوق كوب القهوة، وعيناه تلقيان نظرة جانبية نحو باب الحجرة كي يتيقن إن كان مفتوحاً أم لا..

رفع نادر ذراعه خلف عنقه وهو يغالب نفسه ليبتسم قائلاً:

- حسناً.. ذلك اليوم عندما جاء عم فارس هل عانيت بمفردك في التعامل معه؟

رد ياسر بتوتر وما زالت رغبة الهروب تخامر عقله:

- لا.. فعمه قد جاء بعد غروب الشمس كما أن المدير وسالم كانا برفقته لذا لم أعانِ في استقباله والتحدث معه.

أومأ نادر برأسه متفهماً ولم يرق لياسر ارتفاع حاجبيه الخفيف



Scanned with CamScanner

وهو يعود لسؤاله بهدوء يخفي خلفه إعصار غضبه:

- هل دخل أحد حجرة فارس في ذلك اليوم وتسبب بعنفه وتكسيره لأثاث حجرته؟!

كان سؤالاً مباشراً جعل ياسر يحرك رأسه نافياً ذلك، وعمّ الصمت لثوانٍ قبل أن يعود نادر لسؤاله بحدة:

- هل أنت متيقن؟

ازدرد ياسر لعابه وبدا خائفاً وهو يتثبت من أنه منتعلٌ حذاءه قبل أن يعترف:

- حسناً.. لقد غادرتُ لساعتين فقط عندما طلبني المدير من الثامنة والنصف صباحاً وإلى العاشرة والنصف وتركتُ إحدى العاملات تراقبه إلى حين عودتي.

اهتز حاجبا نادر واحتقن وجهه فصاح ياسر بانفعال:

- لهذا لم أخبرك.. كُنتُ أعلم أنك ستغضب لإدخالي فتاة الحجرة ولكن ما كان بوسعي فعل غير ذلك فقد قال لي المدير أن أُبقيك معه إلى حين عودتي.. ولم تكن أنت موجوداً ولم أتيقن بعد إن كنت قد رحلت حقّاً أم لا لأنك لم تُجب تساؤلي فلم يكن أمامي خيار آخر سوى ادعاء أنك كنت برفقته في الوقت الذي انهال عليّ سائلاً عنك وعن مدى التزامك وأنا أُجيبه قبل أن يخبرني بأن نتهيأ نحن الاثنان لزيارة عمه.



Scanned with CamScanner

كان سيلاً من الكلمات البطيئة والمتعثرة والمحملة بقلقه مما جعل نادر يهدأ ليسأله:

- إذاً أنت لا تعلم ما هو سبب ثورته ذلك اليوم؟

- لا، على الإطلاق.. فحين عدت وجدته مغلقاً على نفسه باب دورة المياه لما يقرب ستَّ ساعات قبل أن يخرج محطماً أثاث حجرته وبعدها جاء عمه وأنت رأيت بنفسك الباقي.

صمت طويل ساد في فضاء الحجرة وكلا الاثنين يتبادلان النظرات قبل أن يتنهد نادر بتعب ويرتمي على الأريكة ويغطي عينيه بساعده قائلاً بضيق مصطنع:

- لا أريد أن يتكرر ذلك.. لا أريد أن يحدث له سوء مما يعيق وظيفتي الدائمة في هذا المستشفى.. علينا أن نتكاتف معاً إلى حين خروجه سالماً للمصحة العقلية.

اتسعت عينا ياسر.. فالآن فقط أدرك سبب حرص بارد مثله على المريض، بل، وتنازل ليتعامل معه بطيبة على خلاف سجيته.. إنه الأسوأ بحق!!..

ولكن ذلك لم يمنعه من انتهاز الفرصة ليضحك قائلاً:

- أخبرتك مسبقاً لن يكون شخص واحد قادراً على التعامل معه.. بل حين غادرت كدتُ أُجن فأنت بمغادرتك ستُحملني مسئوليته كاملة وعندها سأبقى حبيس المستشفى وهذا يرهقني



Scanned with CamScanner

ويستنزف كل طاقتي ومرحي.

كلمته الأخيرة كادت تُفقد نادر تماسكه فعن أي مرح يتحدث؟!

فيما ظل ياسر منتظراً إجابة نادر لعدة دقائق قبل أن يسمع صوت شخيره من أسفل ساعده بعد أن غرق في نوم عميق وقد قرر أن مكان نومه الجديد سيكون هذه الأريكة من الآن وصاعداً..

***



Scanned with CamScanner

# الفصل الثامن

-٦ يونيو ٩ م-

ارتفع صـوت همهمته وعيناه ترمقان باب حجرته الموارب ما بين لحظة وأخرى، قبل أن تعلو شفتيه ابتسامة مبتسرة وهو يغلق الهاتف ليرمي به فوق سـريره بعد سـيل المكالمات التي أجراها وتلقاها خلال ما يقرب السـاعة بأكملها ثم تحرك ليعبث بلوحة مفاتيح حاسوبه الشخصي متفقداً بريده الإلكتروني ليجد ما طلبه قد وصل بالكامل، فزادت ابتسامته اتساعاً وتحركت شفتاه:

- هذا جيد..

التفت نحو المرآة التي غطت مسـاحة كبيرة من حائط حجرته ثم تحرك ليقف أمامها وقد لف حول وسطه منشفة بحجم كبير.. تأمل نصـفه العلوي العاري قبل أن تمتد أصـابعه لتلمس آثاراً قديمة لأعقاب سجائر أُطفئت على كتفيه الأيمن والأيسر..

ضاقت عينا نادر وهو يعُدّها.. تسع علامات.. أين تلقاها؟!..

في السـجن حيث يُمنع دخول السـجائر والمخدرات ويفترض بهم أن يهيئوا السجناء ليخرجوا أفضل خُلقاً وأقل شرّاً..

وعند ملامسـته لأثر أسـفل عنقه توقفت به ذاكرته عند ذاك المشهد



Scanned with CamScanner

(«سيدي هم المخطئون.. لقد حاولوا بإطفاء السجائر على جسدي إجباري على التدخين معهم.»

واصل السَّجَّان جرّ جسده نحو الزنزانة الانفرادية وعيناه تحدقان بخوف بخمسة من المساجين تجاوزت أعمارهم الأربعين وقد صب الدم من بين أسنان أحدهم..

- لم يكن عليك خوض شجار معهم وضرب رئيسهم بصحن طعامك المعدني في فمه.

- لماذا؟!.. لقد كانوا يؤذونني وكل ما فعلته محاولة يائسة للدفاع عن نفسي بعد تجاهلكم لصراخي.

بدا السَّجَّان وكأنه سئم الجدال معه فكبل يديه بالحديد قائلاً بسخط:

- اخرس.. وإلا جعلتُ الظلام يرافق عزل الصوت بسجنك الانفرادي..

شحب وجه نادر فهي المرةُ الثالثة التي سيرمى فيها فيه ظلماً خلال شهر ودائماً يكون هو الضحية ولا يُسمع صوته..

قال السَّجَّان فجأة وكأن شيئاً من الشفقة قد لامس قلبه محاولاً تفسيره للوضع:

- أيها الفتى كم مرة أخبرتك أن ما يحدث هنا يناقض تماماً ما تعتقد، لا مكان هنا للعدل والإنصاف فأنا مجبر على حبسك أنت



Scanned with CamScanner

بأمر من رئيس السجانين الذي يتعامل مع هؤلاء الرجال بطريقة لا نفهمها.. لذا لا تستخدم قبضتك دوماً بتهور وكن صبوراً.. واختر جماعةً لك تدافع عنك وتحميك.. هنا هيَ شريعة الغاب حيثُ لا قوانين ولا رحمة.)

تنهد نادر ويده تضغط على ذلك الأثر بحقد حتى آلمه، وفكره يعود لوقته الحاضر.. ولم يستطع عقله عدّ المرات التي رُمي فيها داخل ذلك السجن الانفرادي خلال العامين، ولكنه يذكر المرة الأخيرة التي لم يدخل بعدها..

نزلت نظراته الحادة إلى حيث ساعده الأيمن لتضيق مُحدقة بندبة أفقية لجرح شق معصمه قديماً بعد محاولته قتل نفسه في السجن..

التقط ساعته الضخمة ليلفها حول معصمه فهو لا يريد تذكره إطلاقاً..

فبعد تلك المحاولة وفشله بها خرج ليكون أسوأ منهم وأكثر شرّاً.. تلقى ثلاث طعنات متفرقة في صدره وبطنه قد ردها بعشر طعنات خلال عامي مكوثه بالسجن، تسبب بحدوث شغب وعراك بعد التحريض بين جماعات السجناء الكبرى..

دخل السجن بجريمة شروع فاشل في القتل وخرج منه وقد تسبب بجرأته وذكائه وصبره كما نصحه السَّجَّان بمقتل عدد لا



Scanned with CamScanner

يُستهان به من المجرمين دون أن يحرك أصبعاً منه.

سقطت عيناه في خضم أفكاره السوداوية على الكيس الذي أخذه من حجرة فارس فقال بحدة:

- لو منحته إياه لانشغل بالرسم عن التفكير بتصديق أمر مرضه.

وضاقت عيناه غيظاً، كيف للأوغاد أن يجرؤوا على مس مريض هو مسئول عنه بل ولو فضح ذلك وبحث المستشفى حول الجاني فقد يكتشفون ماضيه وعندها لن يجد أحداً متهماً غيره ما دام له سابقة جنائية.

هل يحمي نفسه؟!.. أم يحمي الفتى؟!.. أم أنه يرى في ذاك الفتى المعذب شخصه القديم؟!

لم يحسم حيرته ولم يطل التفكير وعقله ينبئه أن من الخير له أن لا يتكرر هذا التعذيب في وجوده وإن إتفق ذلك مع مصلحة كليهما هو والفتى معاً.

ارتدى ملابسه ووضع من فوقها معطفه الطبي قبل أن يرش عليه عطره بسخاء، غير مصدق أن المظاهر قد خدعته، ظن الفتى مدللاً بعد أن ضربه في خاصرته في أول لقاء بينهما ولكن الحقيقة كانت خلاف ذلك على الإطلاق.. بل احتمل ألماً لم يكن ليحتمله بالغ مثله..



Scanned with CamScanner

«تشه» منزعجة ندت من بين شفتيه.. فلم يكن متسرعاً هكذا من قبل وليس من العدل أنه حكم على تصرفاته دون أن يعلم الحقيقة المغيبة..

ـ الظن الذي لا يتبعه تقصٌّ وتحرٌّ لن يكون في الأغلب إلا ظنّاً آثماً يتبعه حكم أكثر إخفاقاً.

تمتمت بها شفتاه وكأن إخفاقه في التحليل قد مسّ كبرياءه..

خرج إلى الحجرة المشتركة بوجه متجهم ليجد ياسر يقابله بصرخة متحمسة:

- لقد أخرجتُ فيلم الأكشن الذي حدثتك عنه البارحة سيعجبك بالتأكيد.

اهتز أحد حاجبي نادر وبالكاد تماسك أمامه ليقول:

- موعد نوبتي بعد عشرِ دقائق.. لا أُحبذ أن تغادر قبل أن نُكمله.

- يمكنني البقاء ومشاهدته معك.

رد بابتسامة كبيرة ليظلم وجه نادر وقد خرج عن طوره تماماً فصاح ياسر بفزع:

- حسناً.. حسناً.. يمكننا مشاهدته غداً في نوبتنا المشتركة.

ثم عبس « ولكن هذا ما حدث البارحة أيضاً.. بقيتُ منتظراً لك وأنت في حجرتك لم تخرج إلى أن أقترب وقت نوبتك



Scanned with CamScanner

فرفضت عندها.»

وارتسم الإحباط على كامل وجهه ولكن نادر لم يهتم وهو يتجه ليقف أمام الحاجز قائلاً بهدوء:

- مشاركتك لي نوبتي لم تكن من ضمن اتفاقنا.

- ولكنك تشاركني.

- كلا.. ما دمتُ نائماً فقط فوق الأريكة فهذا لا يُعدُّ مشاركة.

- أنت تفسر الأمور كما تشاء.. ثم ما بال حجرتك الرائعة؟!

- لا شيء.. فقط أُريدُ أن أكون قريباً من مريضي إذا ما حدث شيء لمساعدتك فأنت المساند فقط وأنا الطبيب المسئول عنه وإذا ما حدث أي خطأ فذلك لن يعود سلباً إلا علي وسيفقدني وظيفتي الدائمة.

- أنت تسرف في قلقك وحذرك.

تذمر ياسر بانزعاج وإن لم يستطع إخفاء سعادته لكون نادر قد بادله الحديث وتقبَّله بعض الشيء ثم التفت فجأة نحو فارس متسائلاً بتعجب:

- ألا ترى أن أمره غريب؟!!.. يأوي لفراشه مع بدء نوبتي ولا ينهض منه إلا في الثامنة في وقتنا المشترك وبالكاد يذهب عدة مرات لدورة المياه ثم يعود للنوم مجدداً.

- لأنك وغد محظوظ.. لو فعلها في نوبتي لم أكن لأتذمر فهذا



Scanned with CamScanner

سيُريحني من متابعته ومصارعة القلق حول كونه سيؤذي نفسه.

ضحك ياسر لهذه الحقيقة إلا أن نظرة جانبية من نادر بترت ضحكاته لينهض حاملاً حقيبته بسرعة ومغادراً فقد بدأ وقت النوبة الخاصة بنادر..

ولم يكد يصفق الباب خلفه حتى عاد نادر بنظراته ليتأمل فارس الجالس بسكون أمام مائدة الطعام فهتف وحاجباه مرتفعان:

- إنه مطيع.. مطيع لي بشكل مريب.

***

وفي الجانب الآخر من الحاجز..

أمسك فارس بطرف قميصه لينزله أكثر للأسفل قلقاً من أن يظهر شيء من جسده فتنكشف تلك الكدمات التي أغضبت نادر منه دون سبب يفهمه، بينما ظل يجلس بصمت أمام مائدة طعامه..

أعاد نظره القلق للخلف ليرى الساعة تشير للتاسعة مساءً..

شابك بين كفيه وراح يفركهما بتوتر..

لا رغبة لديه بالطعام.. بل ويسكن قلبه الحزن منذ ليلتين منذ مغادرة نادر حجرته..

ندم كثيراً لأنه أراه تلك الكدمات ومهما اعتصر عقله المضطرب باحثاً عن سبب لم يهتدِ لسر غضبه منه ومعاملته المفاجئة بتلك الحدة..



Scanned with CamScanner

تذكر كيف دفعه بغلظة ثم خرج ليعاني الوحدة مجدداً مما دفعه ليرمي بقناع العينين ويلحق به وطرق الباب طرقات كثيرة معتذراً منه إن كان أخطأ وتوسل إليه أن يعود..

ولكن نادر لم يعد.. ولم يتجاوب معه..

وبعد مرور ساعتين من توسلاته سمع صوته فجأة يصدح في الحجرة عبر مكبر الصوت آمراً له بأن يتناول كامل وجباته وأن يغير مواعيد نومه لتكون من الخامسة فجراً وإلى الثامنة مساءً وأن لا يغادر سريره إلا مضطرّاً فقط لدورة المياه كما أن لا ينطق اسمه أبداً ولا يناديه..

بل هو حتى غير وجباته الثلاث لتكون ليلية..

جابت عيناه الزرقاوان طاولة الطعام وقد نفذ نادر وعده فهو لم يُحضر له ما أراد..

ولكنه ليس منزعجاً من ذلك بقدر انزعاجه من تخليه عنه..

عاد ذاك الضياع ليسكن ملامحه.. كان عاجزاً عن الأكل.. عن النطق.. عن إيقاف الدموع التي انحدرت فجأة من عينيه..

تعلقت عيناه الزرقاوان المحمرتان بالباب ورفع كفه ليقضم أظافره إثر اضطراب تفكيره وتوتره الشديد..

تمنت نفسه لو يدخل نادر عليه الآن وأن لا يفعل كالليلة السابقة حيث تجاهله تماماً..



Scanned with CamScanner

عادت كلمات نادر الأخيرة تعبث بعقله، بل وبلغ اضطرابه أشده، فبطلوع الفجر ستنتهي مهلة اليومين التي منحها نادر له، وهذا يعني أنه إن لم يتقبل كونه مريضاً ويعترف بذلك سيتخلى عنه نادر ليتعفن في هذا الموقع برفقة ذلك المجرم..

زاد ارتجاف أصابعه بخوف وهلع بين شفتيه قبل أن ينهض تاركاً طعامه وراكضاً نحو دورة المياه ليقف أمام المرآة..

« أستطيع.. أستطيع رؤية وجهي. »

همس بها وعيناه تحدقان بصورة وجهه المنعكسة على المرآة إلا أنها لم تكتمل الثانيتان إلا وبدأت تتلاشى فجأة..

أغمض عينيه بقوة فلا بد من أن اضطرابه ودموعه هيَ ما شوشت عليه الرؤية..

لا يريد أن يكون مريضاً.. لا يريد أن يصدق أنه طوال السنوات التسع كان يعيش وهماً صوّرهُ له عقله..

انهال على ذاكرته فجأة محادثته الأخيرة مع عمه

(- لا يزال عنيفاً ومشوشاً كالسابق.. يبدو أن العلاج لا ينفع معه.

- هل هو يهذي؟!

- أن هذا المرض لا يُشفى.

- أنا من بقيتُ فقط متشبثاً بأمل شفائك ولكن يبدو أن اليأس بدأ يداخلني.)



Scanned with CamScanner

ازدرد لعابه بذعر وقلق.. هل سيتخلى نادر هو الآخر عنه كما تخلى عمه عنه؟!

هو لن يحتمل ذلك.. لن يحتمل المرور بذلك الألم والخذلان مجدداً..

وأسوؤها شعور الوحدة القاتل..

انقبض قلبه فجأة وعقله يُلِحُّ عليه بتقبل المرض من أجل أن يبقى نادر معه فقط.. بل هو لَمَّح له بأنه سيحميه من المجرم..

وحمايته تعني أنه قد ينقذه ويخرجه من سجن هذا المجرم..

كان عرضاً مغرياً للغاية..

ولكن..

لو صدّق بأنه مريض..

لو آمن بذلك وتقبله فهذا يعني أنه اعترف بنقص فيه..

لن يكون مثاليّاً وكاملاً كما أرادته مايا..

بل والأسوأ من ذلك لو كان مريضاً فهذا يعني أنه لن يستطيع رؤيتها بل سيصوّر له عقله أنها ذلك المجرم وقد تنكر بهيئتها الجميلة..

وصول تفكيره إلى هذا الحد جعل غضبه يتصاعد ورفضه يزداد، ففتح عينيه عندها لينظر لوجهه في المرآة ولكن كل ما رآه رأس بملامح وجه مشوهة ومطموسة..



Scanned with CamScanner

ظل متجمداً بصـدمة ثوانيَ وذاكرته تذكّره أن هذا ما يحدث له أمام المرآة طوال تسع سنوات

منذ مقتل لَمى!..

أي منذ ارتطام رأسه وفقدانه للوعي ليلة الجريمة!..

انهارت الدموع من عينيه ووجد نفسـه دون وعي يصـرخ ألماً وقهراً وحزناً..

« كلا.. كلا.. كلا.. »

وهوت قبضته المشدودة على تلك المرآة البغيضة التي صدمته بحقيقته المرة..

توالت ضرباته وامتزج زجاجها المتشقق ببقع دمائه..

ولكنه لم يشعر بأي ألم والزجاج المتكسر يتساقط مع قطرات دمائه..

لأن ألم قلبه المحطم الرافض هذه الحقيقة كان أشد..

ولم يوقف تتابع قبضـاته إلا ذراعي نادر اللتان أحاطتا به من الخلف فجأة مقيدتين له..

وفاح في فضاء الحجرة رائحة عطره القوية والمميزة..

ولكن نادر لم يتكلم..

بل ظل مقيداً له يسـمع صـرخاته العالية ونبرته الباكية وهو يقاومه كي يحطم ما تبقى من تلك المرآة..



Scanned with CamScanner

كان نادر يُدرك أنه بحاجة لإفراغ غضبه..

وألمه..

وحزنه..

قبل أن يُنهك جسده ويستسلم لتلك الحقيقة المرة بكونه مريضاً..

لذا فقد استسلم هو الآخر مرغماً للصمت وحاجباه ينعقدان بتعب..

واستمر الوضع لما يقرب عشرَ دقائق قبل أن يصدق ظنه وينهار فارس متشبثاً بذراعيه وشفتاه تتمتمان بنبرة مريرة:

- لا أريد.. لا أريد أن أكون مريضاً.. قل إن هذا ليس حقيقيّاً..

التزم نادر بصمته الذي نبأ فارس بأنه لن يخبره بشيء يخالف واقعه فانحنى رأسه للأسفل لتغطي خصلات شعره السوداء عينيه بالكامل:

- كلا.. كلا.. لا تخبرني أن الشخصين اللذين ثرتُ عليهما قبل تسع سنوات وجرحتهما بالسكين كانا والدي ووالدتي؟!..

امتزجت كلماته ببكائه المر ولكن نادر لم يُجبه وإن انعقد حاجباه باستهجان فما قاله سيئ جداً.. بل وصدمه!..

- أرجوك.. لا تقل إنني حين ألتقي مايا سأرى فيها صورة ذلك الوغد وإنني قد أؤذيها فتغضب مني وتهجرني كما هجرني



Scanned with CamScanner

والداي!!

(مايا).. فقط.. حين يذكر اسمها فإنه يزداد انهياراً وحرقةً وألماً.. هذا ما لاحظه نادر مع صراخه الأخير الذي صاحبه اضطراب ونحيب فاقا ما قبلهما..

وبعد مرور وقت طويل بدا وكأنه قد اكتفى أخيراً من صراخه الطويل وشعوره الرافض المستهجن لمرضه فقد استسلم لإفراغ ألمه بسيل من الدموع التي أغرقت ذراعي نادر..

وحين هدأ تماماً وتراخى جسده بتعب أسنده نادر ليقف فرفع رأسه لتبتعد خصلات شعره السوداء عن عينيه الحمراوين اللتين حدقتا بالمرآة المحطمة..

وعبر شقوقها رأى صورة نادر من خلفه..

لم تكن واضحة ولكنه استطاع رؤية كم يفوقه طولاً وشعره الكستنائي اللامع وعينيه العسليتين..

ولكن لم يلبث أن أصابه ألم برأسه فغطى نادر عينيه وقال:

- يكفي.. إن واصلت النظر إليها فستربط بينها وبين صورة ذلك الرجل وعندها لن تتقبل وجودي ولا حتى صوتي... بل وقد تعاملني بعنف لا أثق أنني قد أصبر عليه طويلاً أو لن أبادلك إياه.

كلامه المباشر حول مرضه قد ألّمه وزاد من كآبته فرفع يده ليزيح كفه قائلاً:

- لن أنظر.



Scanned with CamScanner

وقرن قوله بحَنْي عينيه للأسفل وقد بدت نظراته منكسرة بل وسحب قناع العينين بنفسه ليغطي به عينيه مستسلماً تماماً لأمر مرضه.

زفر نادر بشيء من الحدة وهو ينظر للزجاج المحطم ودماء فارس المختلطة به، لم يظن أن فارس قد يفعل ذلك أو قد يجره ضغطه عليه إلى التصرف بهذا العنف.

ثم رفع بصره المنزعج ليصدمه ارتجاف شفتي فارس وهو ينطق:

- أنا.. أنا مريض.

كان قوله بمثابة الاعتراف المباشر وإن حمل صوته شيئاً من الانكسار المرير..

« هل ينتظر أن أواسيه؟! ».. هذا ما فكر به نادر وهو يراه لا يزال يقف أمامه ولكن هو بالفعل لا يُحسن المواساة..

سحب منشفة صغيرة ثم سحب كف فارس المصابة ليلُفَّها عليها ثم حذره:

- تراجع للخلف.. ولا تُحدث أي حركة مهما سمعت.

لم يفهم فارس ما يعنيه ومع ذلك تراجع خطوتين للخلف ليسمع فجأة صوتاً عنيفاً لتحطم زجاج جعله يفزع بقوة وارتجف جسده قبل أن يشعر بعد ثوانٍ بكف نادر التي لامست كفه السليمة



Scanned with CamScanner

معطياً إياه عصاً وشيئاً آخر لم يميزه قائلاً:

- نظف فوضاك.. فقد تعبتُ بحق من تنظيف ما تخلفه وراءك.

قالها وسمع خطواته المغادرة، صافقاً باب دورة المياه خلفه.. أزاح فارس قناع العينين لينظر بصدمة للمكنسة والمجرفة المستقرتين في كفه..

ابتسم ابتسامة مندهشة فهو لم يكنس في حياته مطلقاً..

كما أن يده تؤلمه..

« أنهها بسرعة فأنا أنتظرك.»

سمع صوت نادر مستحثّاً له فتوترت ملامحه وانحنى للأرض يكنسها قبل أن يلحظ أن نادر قد حطم ما تبقى من المرآة، فضحك ببهجة فهو بحق رغب باختفائها كما آذَتهُ وعرّفتهُ حقيقة مرضه، بل ولن يطيق دخول دورة المياه في وجودها المزعج..

أخذ منه تنظيفها ما يقرب عشر دقائق قبل أن يخرج حاملاً سلة قمامة.. ولكن نادر لم يكن معه بالحجرة..

فوضعها قريباً من باب حجرته ثم اتجه نحو سريره ليجلس عليه وهو يتلفت فيما حوله ثم أعاد قناع العينين وكفه ترفع طرفه بخفة مسترقاً نظرات وصائحاً:

- لقد أنهيتها.. أين أنت؟

دخل نادر بعد عدة دقائق فغطى فارس عينيه سريعاً خشية



Scanned with CamScanner

غضبه كلحظة دفعه له..

كان نادر يحمل حقيبة إسعافات والكيس الذي وضعه فوق المنضدة ثم جلس أمام فارس على السرير وقد شعر فارس به ليسحب كفه وبدأ بمعالجتها قائلاً:

- بحق أنا معالج نفسي ولست طبيباً بشريّاً إلى متى سأهتم بعلاج جروحك دون مقابل؟

- أنت طبيب؟

سأله فارس بذهول حقيقي جعله يدرك أنه لم يخبره بهذه الحقيقة.. و.. لم يزعج نفسه بتصحيح معتقده حول الفرق بين طبيب ومعالج فأجاب ببرود:

- نعم.

- ومن تعالج؟

- المرضى النفسيين.

- مثلي.

- أجل.

قال كلمته الأخيرة لتصدمه تلك الابتسامة السعيدة التي غطت شفتي فارس لكونه هو من سيعالجه، هل يخبره أن مرضه لم تسجل له حالة شفاء من قبل؟!.. ولكن بالكاد شغل باله قبل قليل عن حزنه السابق بالتنظيف!..

- ولكن أنا بشر.



Scanned with CamScanner

قالها فارس ببساطة وبثقة لينعقد حاجبا نادر سائلاً:

- ما معنى هذا؟!.. حتى أنا بشر.

- ولكنك قلت إنك لست طبيباً بشرياً؟!

اتسعت عينا نادر وعلَت شفتيه ابتسامة ما لبثت أن تحولت لضحكة طويلة ساخراً منه، بينما مط فارس شفتيه قائلاً:

- ما المضحك؟

- أنت.

- ماذا فعلت؟

- لقد كُنتُ أقصد الطبيب الذي يعالج الجروح والأعضاء.. وهكذا.

ارتفع حاجبا فارس ثم ما لبث أن قال بعبوس:

- لستُ مضحكاً.. هؤلاء يسمون طبيب جراحة، طبيب أذن، طبيب حنجرة، طبيب أسنان، طبيب تخدير و...

وراح يعدّها بدقة عالية وفهم عميق أثار إعجاب نادر الذي انتهى من تضميد كفه ليقاطعه:

- كيف عرفت كُل هذا؟

ظهر حماس كبير في صوت فارس وكأنه نسي أمر مرضه تماماً حتى أن نادر نظر له بنظرة مشفقة وهو يجيبه:

- كُنتُ سأصبح طبيباً.. لذا كُنتُ أقرأ الكثير من الكتب وكانت



Scanned with CamScanner

مايا تشجعني كثيراً.

كلمة « كُنتُ » نبأت نادر بأنه قنط من حلمه بعد انقطاعه عن التعليم، ومعرفته الآن بأمر مرضه زادت من يأسه، ولكن انتبه فجأة لتلك النبرة المليئة بالحماس والحب عند نطقه لذلك الاسم فسأله بفضول:

- مايا.. من هي مايا هذه؟

ارتخت ملامح فارس وعلت شفتيه ابتسامة محبة دافئة وهو يجيبه:

- أُختي الكبرى.

حدّق به نادر لبعض الوقت بشيء من الوجوم فإذا كانت أخته وهو يحبها بهذا الجنون فكيف أمكنها أن تهجره ولا حتى تزوره لترى هذه المعاملة السيئة التي يتلقاها..

- لقد غادرت وأنا في السابعة.. قالت إنها ستصبح محامية.. لقد غضبتُ منها وغضب منها والداي ولكنها لم تستجب لأحد ونفذت ما أرادته.

عاد الحزن ليسكن ملامح فارس بعد تذكره لفراقه عنها وهمّ نادر بمنعه من مواصلة الحديث عنها ولكن فارس اندفع يقول فجأة بفرحة:

- حين تخرجني خذني للقائها.



Scanned with CamScanner

اتسعت عينا نادر وبدا مصدوماً فمتى وعده أنه سيخرجه!.. فيما أشرق وجه فارس وتحركت شفتاه بأجمل ابتساماته وهو يقول ممتناً:

_ شكراً لأنك ستحميني منه..

وزاد وجه نادر تجهماً، لقد التبس على فارس الأمر هو وعده إن تقبل مرضه بحمايته من المجرم داخل المستشفى فقط أما أمر إخراجه فذلك قرار يرجع لأسرته لا إليه هو.. وأراد أن يزيل ذالك الالتباس فلا أسوأ من منح مريض أملاً زائفاً ليقاطعه فجأة رنين هاتفه من جيب معطفه فصرخ فارس سعادةً:

- لديك هاتف؟

أسرع نادر يخرجه ولكن فارس مد له يده السليمة صائحاً بتوسل:

- دعني أرَه.. هل صورتك فيه؟.. قد يمكنني رؤيتها ولن أتأثر.. هل يوجد لديك لعبة (****)؟ أُريدُ أن ألعبها..

واصل صياحه وطلبه المتحمس وكل ما انتبه له نادر طلبه رؤية صورته فلم يخطر بباله أن يستخدم معه الصور ليتقبل رؤيته وأنها قد تنفع بأن لا يخلط بينه وبين الرجل..

نهض عن السرير وهو يتأمل هاتفه ثم قال:



Scanned with CamScanner

- بعد أن أتلقى هذه المكالمة.. ستتفاهم.

كانت مكالمة مهمة جدّاً ولكن ذلك الإحباط الذي بدا على فارس جعله يقف أمام باب الحجرة قائلاً:

- فارس هل رأيت الحاجز الأسود في حجرتك؟

- نعم..

أجاب فارس باستغراب فقال:

- إنه من زجاج سميك ويمكنني رؤيتك من خلفه.

توسع فم فارس بذهول، دون أن يفهم نية نادر بإخباره هذه المعلومة، إنه خشي أنه بجلوسه بمفرده قد يعود له ذلك الشعور السيئ لكونه مريضاً وقد يسعى لإيذاء نفسه.. بينما أدرك فارس في الوقت ذاته كيف أمكنهم دائماً اللحاق به قبل أن يؤذي نفسه.. انتبه فجأة لشيء ليقول بندم:

- أنا أسف.. لقد آذيتُ نفسي وأخلفتُ وعدي.

لم يكن نادر يملك الوقت لتوبيخه لذا فقد قال بعجلة بعد انقطاع رنين هاتفه:

- حسناً.. أنت لم تقصد إيذاء نفسك بل آذيت المرآة.

تلاعبه بالكلمات جعل فارس يعقد حاجبيه بحيرة ثوانيَ قبل أن يبتسم هامساً: « أنت محق »، ثم سمع نادر يغلق باب حجرته قائلاً:

- لقد تركتُ لك الكيس فوق المنضدة يمكنك أخذه.



Scanned with CamScanner

لم يكن نادر قد أغلق الباب بعد حين قفز فارس عن سريره راميًا القناع وقد اعتلى وجهه ملامح بهجة شديدة..

فيما تحرك نادر ليدخل الحجرة المشتركة ثم وقف أمام الحاجز وهو يجري اتصاله بذلك الرقم وعيناه تراقبان يديْ فارس اللتين سحبتا الكيس ليخرج منه كراس الرسم والألوان..

تلك البهجة والسعادة لم يرهما سابقًا في عينيه وهو يكاد يقفز من شدة فرحته بل وراح يرفع الكراس للأعلى..

و..

- نادر.

تناهى صوت محدثه من الهاتف لتزول معالم تلك الابتسامة من شفتيه وترتسم جدية كبيرة على وجهه وهو يسأله:

- هل تحققت من الأمر؟

- نعم.. ولكن أن تُجبر مجرمًا متقاعداً مثلي على فعل هذه الأمور.. أنت سيئ نادر.

- لستُ أسوأ منك.. ثم ماذا تعني بكونك متقاعداً؟ فقبل شهر من الآن جريمة القتل التي تمت واكتُشِف المجرم فيها.. لم يكن هو من اخترق نظام المنزل وسرق بل أنت.

جاءته شهقة من محدثه فيما تابع نادر بثقة:

- زيد كنا رفاق زنزانة واحدة وليس علينا أن نكذب على



Scanned with CamScanner

بعضنا البعض..

تحشرج صوت زيد وبدا مبهماً للحظة وإن اختلط بسباب وشتم لحصول نادر على مصدر يبتزه به ويجبره على تنفيذ مطالبه.. و.. امتنان لكونه تستر عليه!.. فقال:

- أُقسم أن مقتل المرأة تصادف مع سرقتي لمنزلها ولم يكن لي يد بالأمر..

بدا نفاد الصبر على نادر فهو يعلم ذلك فهو من ساعد بالتحقيق فيها مع المحقق أيمن الذي طالما هاتفه وطلب تعاونه..

- اخرس.. لستُ الآن بصدد التحقيق معك بجريمتك.. أُريد ما طلبته منك.

أجاب زيد عندها بإذعان:

- حسناً.. حسناً.. لا تغضب.. من خلال اختراقي السجلات العائلية تبين لي أن هذا الفتى الذي اسمه فارس راكان عبد السلام هو ابن لتاجر شهير للغاية.. ولكن ما وجدته كان غريباً جدّاً ففي السجل يوجد اسم الأب واسم الأم واسم فارس وفتاة تسمى لَمى وعند اسم فارس ولَمى مسجل: «متوفّىً» بالرغم من أنك أخبرتني أنه مريضك وأنه حي فهل تبرأ منه والداه أم ماذا؟!.. أو لعلهما لم يحتملا حرجهما بكونه مريضاً و..

كان يتابع حديثه في الوقت الذي تجمد فيه نادر واتسعت عيناه



Scanned with CamScanner

وعقله يقف به عند كلمة واحدة « متوفّىً »..

أيُّ تفسير منطقي قد يجده لهذه الكلمة؟!، فها هو يرى فارس أمام عينيه يفترش الأرض منحنياً على كراسه وقد حملت شفتاه ابتسامة مفعمة وقبضته المجروحة تمسك بالألوان الواحد تلو الآخر يجربها على كراسه..

بل ورفع عينيه فجأة نحو الحاجز وكأنه أدرك نظرات نادر ليبتسم بعذوبة ويلوح بكفه ناطقاً بكلمة حملت كل ما بداخله من امتنان نحوه.. تلك الكلمة جعلت عينيْ نادر تحمران بالرغم عنه..

وفجأة استفاق نادر من شروده ليسأل بلهفة:

- ابحث عن مايا.. مايا أخته الكبرى.. فهي من قد تمد له يد العون هنا وفق الطرق القانونية.

همهم زيد بعدة كلمات وكأنه يبحث قبل أن يقول:

- نادر.. السجل العائلي مكون من أربعة أفراد فقط.. والده ووالدته وفارس ولَمى ولا وجود لأخت له تسمى مايا!..

وعندها اعتلت وجه نادر صدمة عنيفة وأنزل يده دون سماع بقية حديث زيد.. فهو لم يعد يدري ما هي حقيقة هذا الفتى وما يحيط به!!!

***



Scanned with CamScanner

# الفصل التاسع

7 يونيو -

رفع برأس سبابته طرف الغطاء لينظر بعينيه الزرقاوين اللتين ما زالت بقايا النوم عالقة بهما إلى الساعة التي أشارت للخامسة مساءً..

ضاقت حدقتاه بتأفف وضجر فلا يزال يفصله عن موعد النهوض المحدد له من نادر ثلاثُ ساعات!!..

رفع قبضتيه ليفرك عينيه المتعبتين ثم استرق نظرة للحاجز.. هل نادر هناك ينظر إليه الآن؟!

ابتسم ابتسامة خفيفة وجذب الغطاء ليغطيه بالكامل وإلى جواره استقر الكرّاس وعلبة الألوان، حدّق بهما بعبوس وقد داهمته رغبة مجنونة لإتمام ما بدأه البارحة..

ولم يأخذ التردد وقتاً كبيراً منه فسحبهما ثم انبطح على بطنه صانعاً فرجة خفيفة معاكسة لاتجاه الحاجز سامحاً للضوء بالدخول منها..

شغفه الكبير ظهر بابتسامته المتسعة وهو يختار اللون الأسود ليلوّن شعر الفتاة في كراسه..



Scanned with CamScanner

تلك الورقة حوت بين حوافها الأربع صورة لفتاة بدت غاية في الحسن والجمال وبرسم دقيق متقن يسحر العيون..

كان مستمتعاً للغاية برسمه فهي المرةُ الأولى التي تحظى فيها رسوماته بالألوان بعد قلم الرصاص الذي جعل منها صورة كئيبة..

رفع عينيه للأعلى مفكراً.. الليلة بعد أن يُنهيها سيُريها لنادر وسيرسم أيضاً صورة لقصره ولوالديه وللبحيرة و.. و..

مشاريع عديدة امتلأ بها رأسه..

ولكن تساءل فجأة لمَ لم يعد نادر ليلة البارحة إليه بعد تلقيه تلك المكالمة؟!

ولِمَ لم يمنحه هاتفه كما وعده؟!

ضحك فجأة.. لعلّه نام!!..

ولكنه بالتأكيد سيعود لزيارته الليلة فقد اعترف له بمرضه كما طلب منه ولم يعد هناك أي سوء فهم بينهما..

عادت أنامله تلون بحماس أكبر و.. سمع فجأة.. باب حجرته يُفتح..

تصلبت كفّاه للحظة قبل أن يسحب الكراس ليخفيه تحت جسده بينما أخفى علبة الألوان تحت وسادته خشية أن يسلبوها منه مجدداً..



Scanned with CamScanner

واستلقى جيداً كي لا يفطن الداخل لكونه مستيقظاً..

حاول المحافظة على هدوئه وانتظام أنفاسه رغم سماعه صوت خطوات لعدة أشخاص يتقدمون من سريره، إلا أنه لم يفلح فتلاحقت أنفاسه بخوف واشتدت كفاه على فراشه وداهمته نوبة هلع جعلت وجهه يشحب وهو يحشر رأسه أكثر في الوسادة..

علمه بأنه مريض لم يكن ذا أثر بتخفيف أعراض مرضه..

ارتفعت بغتة أصوات متداخلة أنثوية مع صوت رجل واحد صاحبها صوت خربشة أقلام فوق مفكرات صغيرة..

تلك الأصوات ضاعفت من نوبة هلع وخوف فارس ولم يستطع السيطرة على نفسه ليرافق إغماض عينيه صدور شهقات متوالية من فمه..

وبصعوبة بالغة كبح نفسه حتى لا يندفع نحوهم أو يعاملهم بعنف، وعقله المضطرب يلح عليه بأن مطارده برفقتهم أو قد يكون أحدهم..

ويبدو أن صوت شهقاته كان عالياً لتتراجع الفتيات للخلف قائلة إحداهن:

- يبدو أن الصوت أيضاً من مثيرات مرضه؟!

أجابها الرجل ذو المعطف الطبي وهو يشير لهن ليبتعدن أكثر



Scanned with CamScanner

عن سريره خشيةً عليهن من عنفه:

- نعم.. وعدوانيته أحد أعراض إصابته بهذا الاضطراب.. لذا احذرن من عنفه المفاجئ.

تعلقت عيون الفتيات الخمس بسـريره بقلق، ولاحظن اهتزاز الغطاء إثر ارتجاف جسـده بخوف.. فرحن يوجهن أسـئلتهن الفضولية للرجل:

- هل تضررت قدراته العقلية وانخفضت بسبب مرضه؟!

- حسـناً.. لا يمكننا الجزم بانخفاض قدراته العقلية.. ولكن ما لا شك فيه كونه مصاباً بالمرض مُنذُ تسعِ سنوات عُزل خلالها عن التعليم وعن مخالطة الناس لعنفه فهذا بالتأكيد جعل عقله يتأخر مقارنةً بأقرانه.. بمعنى آخر لأن آخر علاقاته وتفاعله كان بعمر الثمانِي السـنوات ولأنه لم يكتسـب خبرة تواصـل جديدة بعدها فلا بد أن خبرته وعقله توقفا عند ذاك العمر الصغير..

- إذاً لو خرج فلن يكون قادراً على التعامل مع من بالخارج بنفس تعامل من بسـنه بل قد يتعامل ويُعبر عن نفسـه كطفل في الثامنة من عمره؟

قالتها إحدى الفتيات بشيء من الشفقة فيما أجابها الرجل:

- ذلك محتمل كثيراً.. ولكن لو لم يتضرر عقله فسيستطيع أن يكون قليلاً أكبر من ذلك العمر.. ولكن الشـيء السـيئ بمسـألة



Scanned with CamScanner

خروجه هو كونه شبه مستحيل فخروجه سيزيد فقط من اضطرابه وتفاقم مرضـــه وهو يحدق بكل من حوله ظانّـاً أنهم جميعـاً شخص واحد يريد إيذاءه..

- بل الأسوأ أنه بانعزاله لتسع سنوات سيكون كرجل الكهف الذي قُذف خارج كهفه ليسقط وسط حضارة متقدمة..

قالتها إحدى الفتيات كدعابة وضـــحكت ليشـــاركها البقية ضحكاتهم..

يتحدثون.. يتناقشون حوله.. يتضاحكون.. غير آبهين بمشاعره التي تأذت بشـــدة لوصـــفهم له بمنخفض الوعي والطفل ورجل الكهف بل والأشـــد ســـوءاً قلبه الذي انفطر لكونهم ينتقصـــون منه ويعاملونه كعينة اختبار أو حيوان تجارب..

هم يؤكدون نقصه بالكامل!!..

قال الرجل بغتة مجيباً الفتاة:

- نعم في عصـــرنا هذا ســـنة من التقدم تعني الكثير.. ما بالكن بتسعِ سنوات!!.

عادت عيونهن تتعلق بفارس المختبئ أسـفل الغطاء ولم تلبث أن تقدمت أكثرهن جرأة مادة يدها نحو الغطاء المهتز قائلة:

- أُريد أن أرى ردة فعله إذا ما رآنا.

- سيتعامل معكن بعنف شديد ظانّاً أنكن مطارده المزعج.



Scanned with CamScanner

زمجر الرجل منتهراً لها ومحذراً ولكنها واصلت جرأتها قائلة:

- لمَ لا نُقيده إذاً في سريره ومن ثم نسجل ردة فعله؟!.. فموضوع بحث تخرجي من الجامعة متعلق بمرضه ولا أريد أن تفوتني مثل هذه الفرصة النادرة.. فقلّ أن تجد شخصاً مريضاً بمثل مرضه النادر وغير القابل للشفاء.

قولها جعل إحدى الفتيات تسأل بدهشة:

- ألم تسجل حالة شفاء لهذا المرض؟

أجابها الرجل دون أن يدرك أن فارس هو الآخر قد أرهف سمعه وهدأ تماماً منتظراً رده بلهفة شديدة..

- لا.. لم تسجل أي حالة شفاء.

تنهدت بعض الفتيات بتعاطف فيما غادر اللون وجه فارس لتتابع شهقاته المكتومة إثر تضاعف نوبة هلعه فلم يعد خوفه منهم فقط بل من ذلك اليأس الذي خامر قلبه وزاد من ذعره حول مرضه الذي لا شفاء له.. والذي لم يخبره عنه نادر..

سمعوا صوت تمزق ورقةٍ ما من أسفل غطائه ولم يفهموا ما يعانيه، وعزوا ذلك لكونه مرعوباً منهم فقط فتحلقن جميعاً حول الرجل وقد حملَت أعينهن نظرات ساحرة متوسلة أن يسمح لهن برؤيته ودراسة سلوكه المنفعل والعنيف عند رؤيته لهم..



Scanned with CamScanner

خنوع الرجل أمامهن وصمته جعلا تلك الفتاة تعود لتمسك بطرف غطاء فارس وهي تهتف بحذر:

- شروق صوريه جيداً.. ف.

« ما الذي يحدث هنا؟!.. ومن سمح لكم بدخول هذه الحجرة؟! »

ارتفع هذا الصوت الثائر العنيف من خلفهم لتتصلب أيديهن على المفكرات قبل أن يلتفتن ليرين نادر يقف أمام فرجة الباب وقد تبعثر شعره فوق وجهه وما زالت عيناه ناعستين وملابسه تعمها الفوضى، فقد أفاق للتو..

- نريد دراسة سلوكه.. فنحن متدربات هنا وقد استضافنا المستشفى من أجل رسالة بحثنا الأخيرة.

أجابته شروق فيما احمرت أوجه باقي الفتيات لوسامته المتأججة!..

حتى أن الرجل استنكر بحقد قدومه والذي سلبه مزيته بالتباهي أمامهن.. كما أنه اختار نوبة ياسر وليست نوبته.. فلماذا هو من ظهر الآن؟!!

تحرك نادر وقد ترنحت خطواته وهو يتثاءب ويبدو أن قول تلك الفتاة قد قلّل من غضبه لعدم تعرض فارس للمضايقة بالضرب..



Scanned with CamScanner

وإن لم يُخفِ ذلك طبيعته الحادة فقد جذب فجأة تلك الفتاة الجريئة من مرفقها للخلف حتى كادت تقع وهو يقول:

- غادروا.. أنا طبيبه المسئول.. ولا أسمح بوجودكم هنا.

تلقف الرجل الفتاة فيما شهقت باقي الفتيات لتعامله الفظ وهو يلوح بكفه لهم أن يخرجوا..

ذلك الفعل أهان الرجل فهو أكبر منه سنّاً وسنوات خدمته بالمستشفى أكثر.. ولم يهتم نادر لتلميحه بعينيه بأن يكون أكثر لطفاً معهن، بل وقوفهم أمامه وعدم مغادرتهم أغاظه فاستعاد عندها بروده وابتسم بغرابة قائلاً:

- تردن موافقتي من أجل دراسته.

أومأت الفتيات بنعم فيما ارتاح الرجل لتجاوبه المفاجئ ولكن نادر قال فجأة:

- امنحنني أسماءكن.

منحته الفتيات أسماءهن تتالياً وقد علت شفاههن ابتسامة متحمسة ما عدا الفتاة التي عاملها بفظاظة..

رأينه يخرج هاتفه من جيب منامته ثم اتصل بالمدير قاصّاً عليه ما حدث ومانحاً إياه أسماء الفتيات واسم الرجل الذي كان معلقاً ببطاقة أعلى معطفه الطبي..

- يقول المدير: لقد انتهت فترة تدريبكن لسوء سلوككن ومخالفتكن للقوانين.



Scanned with CamScanner

والتفت للرجل مضيفاً: « المدير يطلب حضورك بصورة عاجلة لمكتبه. »

قالها وابتسم لتشحب أوجه الفتيات وتلمع أعينهن بالدموع لقسوته فقد حطم مستقبلهن المهني، وغادرن بصمت وكأنهن بحداد، فيما مر الرجل إلى جواره هامساً:

- سأردها لك يوماً ما أيها البغيض.

لم يكلف نادر نفسه الرد عليه، فقط ابتسم ابتسامة تنبئه بأنه مستعد ومرحب بأي شيء.. وعندها فرغت الحجرة من الجميع عدا نادر وفارس الذي ظل يرتجف أسفل الغطاء وإن كان سماع صوت نادر المألوف قد خفف كثيراً من خوفه وتوتره..

إلا أن ذلك لم يقلل من حزنه واغراقه الوسادة بدموعه فمرضه لا يُشفى!..

سمع نادر صوت نشيجه الخافت ومع ذلك لم يمنع ابتسامة مستغربة من أن تعلو شفتيه لكون فارس تماسك ولم يثُرْ أمامهم، بل والأكثر دهشةً أنه أبقى الغطاء على وجهه وكأنه أدرك أنها الطريقة الوحيدة للتخفيف من نوبته مقلداً طريقة نادر في التعامل معه..

تحركت يده لتمتد تلقائيّاً نحوه ولكنه التفت فجأة للحاجز.. عليه أن يكون أكثر حذراً فهي ليست نوبته!..



Scanned with CamScanner

ذلك وحده كان كفيلاً بتفجر غضب عنيف في وجهه فغادر الحجرة صافقاً الباب خلفه، نحو ياسر، ليجده نائماً فوق مكتبه بسكون تام..

رفس مقعده ليهتز جسده ويرتطم رأسه بحافة المكتب..

ويبدو أن غضب نادر قد وصل إلى حده الأقصى ليركله مجدداً وكاد يسقط ياسر وبصعوبة حفظ توازنه ليقفز واقفاً وهو يصرخ:

- زلزال؟!

« ليته يبتلعك ويريحني منك.. »

هتف نادر وهو يرفع مفتاح حجرة فارس مضيفاً:

« سأخبر المدير بإهمالك ونومك أثناء نوبتك.. أنت لا تستحق وظيفتك. »

التهديد بفقدان الوظيفة جعل عقل ياسر يستعيد صفاءه بالكامل وتتسع عيناه صارخاً:

- لماذا؟!.. ماذا حدث؟

رمى نادر المفتاح على مكتبه ثم قال بسخط:

- أثناء نومك أيها الغبي دخل ستة أشخاص لحجرة فارس.

شهق ياسر بصدمة: « سيقتلني المدير لذلك. » ثم راح يتوسل لنادر كي لا يخبره..

تأمل نادر وجهه المحمر، وأنفه الذي سال بانزعاج، قبل أن



Scanned with CamScanner

يلتفت ليرى كمّ الأدوية التي تراصت على مكتبه، وانتبه ياسر لما رآه فصاح راجياً:

- لقد نسيتُ أن أدوية الزكام تجلب النعاس وإلا لم أكن لأتناولها..

- أنت تعلم أن الطبيب المسئول بإمكانه استبدال طبيبه المساند إذا ما لاحظ عليه أي إهمال.

أومأ ياسر برأسه إيجاباً وبدا شديد البؤس لكون نادر هو المسئول عنه..

و..

« يبدو أنكما تنسجمان جيداً. »

صدح هذا الصوت من خلفهما ليلتفت الاثنان معاً ليجدا مدير المستشفى الذي علَت شفتيه ابتسامة لكونهما يقفان بعضهما قبالة بعض و.. يتحدثان بانسجام.. هذا ما ظنه!!

وجوده المفاجئ جعل ابتسامة مزيفة تعلو شفتي نادر وأسرع للترحيب به وهو يعدّل من هندامه غير المرتب.. فيما دفع ياسر كمّ الأدوية لتسقط خلف مكتبه..

- كيف حال المريض؟

سأل المدير باهتمام ليجيبه نادر وهو يقف أمام الحاجز:



Scanned with CamScanner

- هو بخير.. فقط تلك المضايقة كادت تؤدي به لإيذاء نفسه ولكني تصرفت قبل حدوث ذلك.

قالها نادر كاذباً فربت المدير على كتفه وقد اعتلت عينيه نظرة رضا:

- الجميع يعلمون أنه محظور الاقتراب منه لذا فقد توليتُ أمرهن إضافةً لذاك الطبيب فهذا المريض ذو شأن عظيم في المستشفى..

أومأ نادر برأسه مؤيداً وعيناه ترمقانه بنظرة حذرة قبل أن يتجرأ ليسأله:

- عمه.. كان قد تحدث عن..

قاطعه المدير وكأنه ذكّره بسبب قدومه:

- أوه نعم.. تفقد هاتفك.. فلقد قال عم فارس إنه قد أضاف لحسابك مبلغ رعايتك لقريبه.. كما أنه أخذ رقم هاتفك ويريد التواصل معك.

وشد على كتفه مضيفاً بابتسامة كبيرة:

- لقد امتلكت ثقته خلال أيام قليلة على خلاف من مكث أطول منك في هذا المستشفى.

وألقى نظرة استصغار نحو ياسر الذي زمّ شفتيه سخطاً، فيما لم يلحظ أحدهما أن نادر نفسه بقي متجمداً غير مستوعب ما قاله



Scanned with CamScanner

المدير، فهو لم يقدم شيئاً لعمِّ فارس كي يكسب ثقته كما أنه بالكاد أتم الشهر ليمنحه مُرتباً آخر إضافة لمرتب المستشفى..

وهذا لا يعني سوى شيء واحد..:

أنه يريد منه شيئاً..

عينا المدير المعلقتان به جعلتاه ينتزع نفسه من شروده لتُغلف وجهه ابتسامة كبيرة:

- كُله بفضل توجيهاتك الجيدة سيدي.

أسعد المدير أنه ينسب امتيازه إليه وبعث بشيء من الغطرسة لنفسه فقال:

- كُنتُ محقّاً بقبولك.

ثم تحدثا قليلاً حول فارس وزيادة العناية به قبل أن يغادر المدير ليلتفت ياسر إليه قائلاً بغيظ حقيقي:

- تبّاً لك.. أنت شخص آخر معهم.. ذو وجهين.. لمَ لا تعاملني مثلهم؟!

- أنا لم أخبره أن دخول الأشخاص كان بسبب نومك.

رد نادر لتتهلل أسارير ياسر بهجة بعد أن أدرك أنه لم يشِ به، ثم امتقع وجهه فجأة لابتسامة نادر الغامضة فقال بخوف:

- ماذا؟!.. ماذا تريد بالمقابل؟

- دعه لوقته.



Scanned with CamScanner

رد نادر بخبث ليبقيه أسير تفكيره ومخاوفه فيما تحرك هو نحو الأريكة ليأخذ من فوقها غطاء سريره حيث كان نائماً سابقاً قبل أن توقظه الأصوات من حجرة فارس..

دخل حجرته وصفق الباب خلفه لتتبدل هيئته تماماً، رمى بالغطاء على سريره، ثم جلس على طرفه يفرك بكفه اليمنى جانبي جبينه إثر صداع مضاعف لانتزاعه من النوم..

نظر للساعة كانت السادسة.. لقد بدأ وقته المشترك مع ياسر.. تنهد بتعب ورغب مجدداً بالنوم.. فهو لم يحظِ إلا بالقليل منه بعد ما تلقاه البارحة من صدمات خلال مكالمته لزيد..

- كُنتُ أعوّل على أسرته إذا ما اتصلتُ بهم لزيارته أن ترق قلوبهم عليه حين يرونه يتوسل إليهم ببؤس كما توسل لي ولعمه كي يخرج فيخرجوه.. وبذلك أصطاد عصفورين بحجر واحد..: أتخلص من مشكلته تماماً داخل هذا المستشفى المستغل وأكسب أنا الوظيفة الدائمة دون أن يدرك أحد تدخلي بالأمر.. ولكن أمر مساعدته الآن مستحيل.

هذا ما توصل إليه نادر بعد تلك الليلة..

فارس ليس لديه أحد ليخرجه..

أو يستقبله بمنزله..

أو يحميه..



Scanned with CamScanner

المكان الوحيد الذي سيحتضنه ويرحب به هو حجرته في هذا المستشفى..

قبل مراسم تشييع ووأد عقله عند مغادرته إلى مستشفى الأمراض العقلية..

كانت هذه الحقيقة التي خضع لها نادر..

لذا لم يتواصل مع فارس في تلك الليلة..

فقد فرغت الحلول من يده ولم يعد لديه شيء قد يساعده به..

كما أن محاولته اليائسة بجعله يدرك أمر مرضه كي يتقبل أسرته إذا ما جاؤوا ليخرجوه لم تعد ذات فائدة..

إنه كاليتيم..

« أسف.. ما باليدِ حيلة. »

قالها وتحرك لدورة المياه ليستحم فهو بحق لم يعد يعلم حقيقة ما يحيط بفارس..

كما أن أي تصرف مشفق أو متهور منه ودون أي جهة تدعمه كأسرة فارس لن يجر عليه إلا الويلات خاصةً أن لديه سجلاً إجراميًا سابقًا..

توقف ثوانيَ حين ارتفع رنين هاتفه، نظر للرقم المدون على شاشته و.. لا يعرفه!.. خمن أنه عم فارس وتردد لحظة قبل أن يجيب:

- نعم؟



Scanned with CamScanner

- أنت الطبيب نادر عبد المجيد.

- نعم أنا هو.. من المتحدث؟!.

- أنا عمّ فارس.. فاضل بسّام ثروت..

اتسعت عينا نادر لاسم (بسّام ثروت).. فهو تاجر معروف بكل البلاد.. ويبدو أن فاضل قد تعمّد ذكر الاسم كي يُنبه نادر لحجم ووزن من يتعامل معه، فأسرع يرد:

- مرحبًا بك سيد فاضل بسّـا..م.

كلمتهُ الأخيرة ظهرت متلعثمة ثقيلة لشيء أدركه فجأة..

فارس لا يتشابه مع عمه في الأسماء الأخيرة.. أيُّ جنون هذا؟!

كيف يكون عمه إذاً؟!

- هل يمكنك زيارتي بمكتبي الليلة؟

كان نادر لا يزال غارقًا في صدمته حين سمع طلبه وكاد يرفضه لتوافقه مع نوبته ولكن رغبته الملحة بمعرفة أي جنون يحيط بهذه العائلة جعلته يقول بإذعان:

- نعم.

- حسنًا.. الساعة العاشرة ليلاً سوف أنتظرك.

وأدلى له بمكان اللقاء ليغلق نادر هاتفه وقد اعتلى وجهه وجوم غريب..



Scanned with CamScanner

هذه الحقيقة الغريبة جعلته يجري اتصـاله بزيد ليرد عليه وقد ظهر صوته متأففاً متوتراً:

- ماذا الآن؟!

- ابحث في خلفية رجل يدعى فاضـل بسّـام ثروت.. وانظر ما نوع العلاقة التي تربطه بعائلة فارس؟

- نادر أيها الوغد أنت تسعى لتحطيم حياتي لو اكتشفوا تسللي للنظام..

- لم يكن عليك مسبقاً سرقة تلك المرأة.

- أنت تبتزني نادر.

- وما فائدة الأسرار إن لم ننتفع بها؟

شتم زيد وأطلق سباباً فاحشاً قبل أن يغلق الخط مذعناً له.

فيما بدا الحماس على نادر وكأنه يمارس هوايته قبل أن يجذبه صـوت من إشـعار الرسـائل ليفتحه فامتقع وجهه من ذاك المبلغ الضخم الذي أُضيف لحسابه..

هذا المبلغ جعل نادر يتوتر ويتردد.. هو ليس بالغباء ليرفضه..

داهمته مشـاعر متناقضـة.. حسـمها بأن قرر الذهاب للقاء عم فارس..

وعندها سيقرر حقّاً أي جانب سيأخذ..

ولكن من سيحلّ في نوبته إذا غادر للقائه؟..



Scanned with CamScanner

ظل يفكر للحظة قبل أن يختار شـخصـاً فهو حقّاً يستحقُّ ذلك.. فهو سبب رجوعه لهذا المكان وبقائه فيه فليحمل إذاً جزءاً من معاناته!..

رفع هاتفه واختار رقماً ليقول:

«أحمـد»

***

« تبّاً لك نادر. »

تذمر أحمد وهو يمد يده مرغماً ليدير مقبض باب الحجرة المشتركة، وقد علا وجهه عبوس شديد ليدخل الحجرة بمنظره الفوضوي بملابسه المبتلة وخصلات شعره الملتصقة بجبينه إثر مياه الأمطار بالخارج..

خرج نادر من حجرة نومه مرتدياً معطفاً رماديّاً قد اختفى تحته قميص أسود مغلق الأزرار بالكامل مع بنطال أسود.. وقد سرح شعره الكستنائي للخلف..

كان متأنقاً بشكل لافت للغاية مما جعل أحمد يحدق به النظر لثوانٍ قبل أن يزداد عبوسه ويقول:

- هل أجبرتني على القدوم لتحظى بموعد رومانسي في الخارج؟

تأمل نادر هيئته الفوضوية ثم سأل:



Scanned with CamScanner

- هل رآك أحد؟

- لو رآني أحد فهل كُنتُ سـأكون وكأني خرجت من بركة موحلة من المياه أيها الوغد؟!

ثم احتد صـوته « لِمَ تُجبرني على استخدام سـلالم الطوارئ الخارجية؟! »

تجاهل نادر أن يُجيبه وهو يعود للحجرة ليأخذ مظلة فالمطر في الخارج غزير وهو لا يريد أن يكون بهيئة أحمد حين يقابل عمّ فارس.. ثم عاد نحو مكتبه ليأخذ محفظته فوقف أحمد هامساً في أذنه:

- من هي؟!

تراجع نادر للخلف وقد أزعجه اقترابه منه ليصرخ:

- سحـقـاً.. وما شأنك أنت؟!!

ابتسم أحمد بسرور لاستفزازه ثم جلس أمام مكتبه متذمراً:

- هذا ليس عدلاً.. لديك فتاة تقابلها في الخارج لا أعرف عنها شيئاً.

و ضـاقت نظراته « بينما لدي فتاة تعرف عنها كل شـيء.. والأسوأ أن قدومي إلى هنا بسبب ابتزازك لي بأنك ستخبر والدها بأنه كان لدي خطيبة. »

- لهذا لا يوجد ما يسـمى سـرّاً أيها الغبي إذا ما غادر صـدر صاحبه.



Scanned with CamScanner

- أنت الوحيد من تستغل أسرار الآخرين وتبتزهم بها.

- والأغرب أنهم لا يلبثون أن يمنحوني غيرها دون طلب.

قالها ونظر نحوه ساخراً فهو دائم الثرثرة أمامه مما جعل أحمد يَحني رأسه ساخطاً من نفسه الغبية..

تحقق نادر جيداً من هندامه قبل أن ينظر للساعة التي أشارت للتاسعة والنصف مساءً.. عليه أن يسرع وإلا فسيتأخر عن موعده.

نظر للحاجز ليقف أمامه ثوانِيَ محدقاً بفارس، كان الحزن يطغى على ملامحه وهو يتكئ بظهره على قائم السرير وقبضته تلون ببطء ورقة جديدة فيما استقرت ورقة أخرى ممزقة إلى جواره..

عقد نادر حاجبيه مستغرباً حزنه فهو لم يغادر حتى فراشه رغم علمه بأن موعد نوبة نادر قد حل منذ نصف ساعة..

«ما به؟!»

سأل أحمد وقد لاحظ حزنه هو الآخر..

ارتخت ملامح نادر وظل معلق البصر به للحظة قبل أن يُجيب:

- لا أعلم.. ولكن أخشى أن يكون اقتحام تلك العُصْبَة المتطفلة لحجرته قد ضايقه أو أسمعه بعض الكلمات التي قد تُسيء لمرضه.



Scanned with CamScanner

كلماته حملت قلقاً جعل أحمد يدير بصراً متسعاً إليه.. ولكن لم يلبث أن تحرك نادر نحو المايك وهو يشير لأحمد بالتزام الصمت.. ضغط المايك ثم تحدث عبره منادياً:

« فارس. »

التفت فارس نحو الحاجز وقد ميّز صوت نادر، تلك الالتفاتة كانت لثانية واحدة فقط قبل أن يعود للرسم متجاهلاً له..

زاد اتساع عيني نادر ولم يذكره ذلك إلا بتجاهله لشرائح البرجر.. (هل هو غاضب مني؟!.. ولكن أنا لم أفعل شيئاً خاطئاً؟!)

تجاهل فارس له أزعجه ومع ذلك قال ما أراد:

- تناول طعامك.. و.. لم أُخبرك الليلة الماضية.. أنت لم تستحم منذ خمسة أيام.. رائحتك سيئة.

تصلب كف فارس على الكراس وأدار بصره المتسع نحوه بعبوس قبل أن يرفع قميصه لأنفه ليشمه، فيما شد أحمد على أسنانه هامساً:

- أُفضل الموت على أن أكون مريضاً عندك يا عديم الإحساس.

ضحك نادر لقوله قبل أن يغادر وهو يقول:

- أغلق الباب من الداخل.. ولا تسمح لأحد بالدخول



Scanned with CamScanner

واكتشاف مغادرتـ..

قاطع كلماته طرقات خفيفة على الباب جعلته يدفع أحمد بخشونة نحو حجرة نومه وأغلق عليه الباب ثم نزع معطفه سريعاً وارتدى معطف الأطباء، وبصـعوبة بالغة تمالك نفسـه حتى لا يُكشف أمر خروجه وسالم يدلف دون إذن من نادر قائلاً:

- كيف حالك؟

- بخير.

رد نادر بإيجاز علّه يغادر سريعاً ولكن سالم التفت نحوه ليراه مرتبكاً جداً فقال:

- ظننتُ ياسـر يقول إنك تعاني مع مريضـك فهو لا يُفيق إلا في نوبتك وتظلُّ مصارعاً قلقك حول كونه قد يؤذي نفسه أو يرتكب فعلاً سيئاً في الحجرة؟!

(الوغد.. كان عليّ أن أشـيَ به للمدير!!).. ندم حقّاً على تغطيته عليه.. فيما ابتسـم سـالم وهو يحدق بمائدة طعام فارس مضيفاً:

- لا ترهق نفسك.. الليلة لقد تكفلتُ به ولن تتعب من متابعته.

لم يفهم نادر ما يعنيه وإن استشعر خطراً ما، فسأل بحذر:

- ماذا تعني؟!

- ستفهم غداً... وستتوسل لي لتكرار ذلك مجدداً.



Scanned with CamScanner

قالها وهو يضحك ثم غادر الحجرة دون أن ينتظر شكراً أو امتناناً من نادر الذي ظل متجمداً وعيناه تتحركان تلقائيًا لتسمرا على فارس..

انتشله من جموده خروج أحمد وقد زاد عبوسه وضيقه ألف مرة فقال مبتسماً:

- أنت لم تقع؟!

- كُنتُ سأقع من دفعك اللامسؤول أيها الوغد لولا تشبث قليل مني بحافة الحائط.

- تبًا.. المرةَ القادمة ستقع بالتأكيد.

صُدم أحمد فقد كان يقصد إسقاطه إذاً.. فيما نظر له نادر بخبث قبل أن يستبدل المعطفين قائلاً بجدية:

- أغلق الباب من الداخل.. وأبقِ عينيك على الفتى وإن تصرف أي تصرف غريب فتدخل وأوقفه.

- تصرف غريب مثل ماذا؟!

- قرر أنت بنفسك.

ألقى بها نادر وهو يغادر بعجل فقد تأخر بحق عن موعد لقائه بفاضل..

***

توقفت سيارة الأجرة التي استقلها نادر أمام مبنىً شاهق غطى واجهته الأمامية الزجاج العاكس الذي لم يكشف عما بداخله،



Scanned with CamScanner

ترجل نادر خارج السيارة وفتح مظلته الزرقاء وعيناه المتسعتان تُحدقان بذاك الارتفاع الشاهق..

(بالغ الثراء).. هذا ما قاده إليه تفكيره وهو يتحرك ليقطع الرصيف ثم دلف إلى مدخل المبنى ليعُم جسده الدفء..

لم يواجه في حياته مثل هذا التكييف العالي الجودة ليغمر مبنىً بأكمله بدفء مريح يعاكس برد ليل صيف يونيو المرافق للأمطار، أغلق مظلته ثم اتجه ليقف أمام امرأة في الاستقبال قائلاً بهدوء:

- الطبيب نادر عبد المجيد.. لدي موعد مع..

قاطعته قائلة بابتسامة تقدير كبيرة:

- تفضل سيدي.. الطابق الخامس والعشرون.. الرئيس بانتظارك وقد أعطانا الأمر مسبقاً بعدم تأخير دخولك.

ارتفع حاجبا نادر ولم يعجبه الأمر.. التعامل المبالغ فيه معه لا بد له من ثمن!!.. وهو يريد معرفته بشدة!!..

وخلال دقائق كان قد فُتح باب المصعد ليُطل على ممر بان به الثراء الفاحش وتجاوز بفخامته حجرته وحجرة فارس عشرات المرات..

استقبله أحد الرجلين اللذين رافقا فاضل في المستشفى سابقاً وقاده إلى مكتب فاضل..

صافحه نادر بهدوء وجلس على المقعد المواجه لمكتبه فيما



Scanned with CamScanner

ابتسم فاضل وهو يعقد كفيه أمام وجهه قائلاً:

- كيف حال فارس؟

- هو بخير.

- هل تحسنت حالته؟

صمت نادر ثوانيَ مفكراً قبل أن يُجيب:

- لا.. حتى لو كان هناك تحسن فهذا لا يشمل مرضه الذي لا يُشفى.

اتسعت عينا فاضل ليسأله:

- هل تعني أنه لديه أمراض أخرى؟

- نعم.. اكتئاب حاد.. وعقدة ذنب مرضية و..

وراح يعدد أمراضاً لم يفهم فاضل منها شيئاً سوى أن تنهد قائلاً:

- كُنتُ أعلم أن شفاءه ميئوس منه.

ثم صمت وقد تعلقت عيناه بنادر في انتظار تعقيبه إلا أن نادر ظل هو الآخر صامتاً يحدق فيه بهدوء..

صمتُ الاثنين جعل الجو بينهما ثقيلاً قليلاً خاصةً أن نادر لم يوافِه لمرض فارس أو يؤيده بكون شفائه ميئوساً منه، وهذا جعل فاضل يغرق في حيرته ويصعب عليه الإقدام على خطوته التالية..



Scanned with CamScanner

رفع فاضل عينيه ينظر لحارسه وقد بدا متردداً للحظة قبل أن يعود بظهره للخلف قائلاً:

- أرجو أن المبلغ قد أرضاك.

- بالطبع.. وهذا ما جعلني آتيك على عجل.. لشكرك وعرض خدماتي إذا ما احتجتها..

كلماته الأخيرة كانت كالضوء الأخضر الذي ملأ وجه فاضل بارتياح كبير فابتسم قائلاً:

- هذا ما ظننته أنك ستكون عند ثقتنا بك.

هو يعلم أنه لم يقل أو يفعل شيئاً ليجعلهم يثقون به، ولكن كلمات فاضل التالية جعلته يُصدم بالفعل حين تكلم:

- كُنتَ صغيراً ومراهقاً حين دخلت السجن لجريمة محاولتك قتل رفيقك بالمدرسة.. ولا بد أنك عانيت كثيراً بعد خروجك خاصةً مع مجتمع لا يتقبل وجود مجرم فيه.

شحب وجه نادر وانتفخت أوداجه وقد أدرك مايعنيه، فيما تحرك فاضل للأمام متابعاً:

- لقد وافقتُ على توظيفك بالرغم من معرفتي لكل ماضيك لأني أرى أنه من الخطأ ألا تُمنح فرصة جديدة..

كادت كفا نادر تكسران المظلة المستقرة بينهما، غير مصدق كيف توصلوا لماضيه الذي أخفاه جيداً!.. بل وها هو يوصف



Scanned with CamScanner

الآن بما وسم به طوال حياته (مجرم)..

والأسوأ قد علم الآن مصدر ثقتهم به!!.. بل وقبولهم له لرعاية فارس.. لأنهم يثقون بأن مجرماً مثله سيتبع نهجهم وطريقهم..

سيقدس المال وينفذ طلباتهم لأنه فقط ضحية نبذ المجتمع..

الآن.. هو يبتزه بمسألة قبوله له رغم ماضيه غير المشرف..

رأس المظلة ينبغي أن يُغرس في قلب هذا الحثالة ولكنَّ قليلاً من صبر تشبث بما تبقى من أعصابه الثائرة ليقول:

- أنا شاكر وممتن لك ذلك.

ورسم ابتسامة خفيفة على شفتيه ليبتسم فاضل بدوره قائلاً:

- وقد اخترتك بعد أربعة أشهر من الآن كونك المعالج المسئول عنه لتحضر معي المحكمة لتشهد بأنه لا يستطيع مع مرضه إدارة أموال جده.

وفي هذه المرة ابتسم نادر ابتسامة حقيقية فهذا ما يريد معرفته بالفعل.. (سر إبقائهم للفتى وحبسهم له بالمستشفى).. فسأل:

- سيبلغ عندها الثامنة عشرة بالتمام؟!.

- نعم.. وقد أوصى جده بأن يُسلم أمواله حين يبلغ الثامنة عشرة.. وإذا ما مات قبلها تُسلم للجمعيات الخيرية.

- إذاً أنت تريد تسليمها للجمعيات بدلاً منه لأنه لا يستطيع



Scanned with CamScanner

إدارتها.

- لا.. كونه مريضاً فستذهب الأموال للوصي عليه وسأستغلها في رعايته والعنايةِ به في المستشفى النفسي أو حين انتقاله لمستشفى الأمراض العقلية.

عمّ الصمت لثوانٍ قبل أن يشد نادر قامته ويقول:

- عدني معك سيدي.. سأساعدك بالتأكيد..

لم يستطع فاضل كتم ضحكة سعادة وهو يمد يده مصافحاً له منهياً ذاك الاتفاق الذي لم يأخذ أكثر من نصف ساعة، فيما تيقن نادر تماماً من مغزى مقابلته إياه أنه كان يختبره ليقرر إن كان سيبقيه أو يطرده إذا ما رفض ويستبدل به غيره قبل انتهاء الأشهر الأربعة..

غادر نادر ذاك الطابق المليء بالبذخ عبر المصعد الزجاجي وحدق بالسماء السوداء خارجه.. تلك القلوب كانت أشد سواداً وظلمة منها..

فكّر: إذا كان هذا الرجل يملك كل هذه الأموال فما مقدار الورث الذي سيمرر لفارس والذي أثار طمع عمه لحد جعله يحبسه في مصحة نفسية..

ولكن ما أدركه نادر حقّاً هو أنه بعد شهادته بعدم أهلية فارس لتلقي الورث لن يكون لفارس أي أهمية بالنسبة لعمه سواء انتقل لمصحة عقلية..



Scanned with CamScanner

أو حتى لو مات أو قُتل مثل.. أخته..

كان بغمرة تفكيره حين فُتحت دفتا المصعد كاشفتين عن شابة بدت في منتصف العشرينيات من عمرها تلوك شفتيها الكرزيتين بعصبية بين أسنانها وقد تناثر حول وجهها الشديد البياض شعرها الفاحم المموج والذي وصل لمنتصف ظهرها.. مرتدية قميصاً أحمر غطاه جاكيت أسود ومن أسفله بنطال أسود واسع يغطي جزءاً من كعبها الأحمر القاني..

ظل الاثنان محدقين النظر بعضهما ببعض عدة ثوانٍ قبل أن تقول الشابة:

- هل أحتاج تذكرة لدخول المصعد؟!

انتبه نادر من وجومه فقد ذكرته بشخصٍ ما.. ولم يفهم ما تعنيه!..

- يا رجل المصعد.. ألن تُفسح لي المجال لأدخل أم أنك تنوي فقد وظيفتك وركلك خارجاً!!

رجل المصعد؟!.. تظنه الخادم المسئول عن ضغط أزرار المصعد للصاعدين والنازلين.. بكل هيئته الأنيقة هذه تظن ذلك!!.. هي تسخر منه بالكامل.. هذا ما أدركه نادر ليحتقن وجهه وعسليتاه المشتعلتان تكادان تقتلانها..

رمت خصلتها المتمردة خلف أرنبة أذنها « تبّاً.. ألم تكتفِ من



Scanned with CamScanner

التحديق بي؟! »

بحنق وكبرياء قالتها.. ولكنها كانت مخطئة بالكامل ما كان عليها أن تُغضبه فهو غاضب مسبقاً..

- حسناً.. يا مسخ الموضة.. كُنتُ فقط أفكر أنه من الأفضل لو اخترتِ عدسة لاصقة حمراء لكلتا عينيكِ تماشياً مع مزاجك وقميصك وحذائك الأحمر بدلاً من زرقاء بإحداهما وعشبية بالأخرى..

ارتفع حاجباها للحظة لوصفه الشنيع.. (مسخ الموضة).. قبل أن يُحيط بها فجأة امرأة بدت كمساعدة لها ورجل كبير بالسن.. فيما قالت المرأة بشيء من اللوم:

- يا آنسة لقد غادرتِ المطار قبلنا بعجلة.. حتى أنكِ استعجلتِ بقيادة السيارة للحد الذي لم تنتهي معه من تهيئة نفسكِ..

وصمتت بانزعاج وهي تتأملها « بل ونسيتِ نزع عدستك الأخرى.. »

غادر نادر المصعد مبتسماً وأحد حاجبيه يرتفع ساخراً منها..

- ما زالت بقايا كريم التصفيف عالقة بشعرك أيها العجوز.

توقف لقولها وانفرجت شفتاه غير مصدق فهو كان حريصاً بالفعل على تهيئة نفسه.. أخرج محفظته المزودة بمرآة صغيرة



Scanned with CamScanner

ليرى خطّاً صغيراً بالكاد يُرى بين خصلات شعره..

استشاط غضباً والتفت ولكن المصعد كان بمرحلة الإغلاق وقد تناسته تماماً قائلة لمن بجوارها:

- قُلتُ لكِ آن.. لقد هاتفني حارسه إياد قبل عدة أيام وقال إن لديه سرّاً مهمّاً سيخبرني به وبعدها اختفى أثره تماماً.. هذا لا يُعجبني!!.. وسأقتل ذلك العجوز إن لم يخبرني أين هو!!

- ذلك الحارس متعلق بكِ فقط.. هو يعلم أكثر ما يهمك لذا لَمح لكِ بأن معلومته لها علاقة بف..

غاب باقي المحادثة عن نادر وكم تمنى لو يقتلهم.. بدءاً بذاك العجوز الذي ذكره بكونه مجرماً وانتهاءً بها..

لقد كانت ليلته سيئة بالكامل..

***

تصاعدت رائحة القهوة من كوب أحمد وهو يسحب مقعداً ثم ألصقه بالحاجز وعيناه تراقبان فارس الذي ظل ملازماً للسرير لساعة بأكملها منذ قدومه..

- يا إلهي.. هل يقضي وقته هكذا دوماً؟!

نظرة مشفقة متعاطفة أطلّت من عينيه..

- لا بد أنه يشعر دوماً بالملل.

أخذ رشفة من قهوته فهو الآخر أيضاً قد أصابه الملل.. وقف



Scanned with CamScanner

فجأة ليلصق وجهه بالحاجز متفحصاً وجه فارس:

- بشـــرته عادت لها بعض الحيوية.. كما أن شـــفتيه لم تعودا متشققتين..

تمنى لو يتجه نحوه ليفحصـــه بدقة ولكن تحذير نادر من الاقتراب منه جعله يتراجع للخلف بحدة..

- عودة صـــحته تدل على أن ذاك المســـتهتر لديه بعض الأخلاق.

ضحك وهو يقولها فلا بد من أن نادر قد استمع لنصيحته حين زاره سابقاً..

أخرجه من أفكاره فجأة ولوج لوح أفقي مليء بالأطعمة من فرجة ملحقة بالحائط إلى حجرة فارس..

(هل هو بحجر صـــحي؟!.. تبّاً.. لِمَ يعاملونه وكأنه مريض بمرض مُعدٍ يخشون تفشيه لو اقتربوا منه.)..

كان الأمر مزعجاً جداً لأحمد ولم تستسغه نفسه، ولكن رؤيته لفارس يغادر السرير ليجلس أمامه ثم راح يأكل من تلك الأصناف بصـــمت.. هنا لم يســـتطع أحمد منع التماع عينيه وشـــتم نادر من أعماقه لجعله يرى هذا الطفل البريء يمر بمثل هذه الحالة..

« تبّاً لك نادر.. تبّاً لك.. سحقاً.»

ولم يلحظ أحمد أن فارس كان يتناول طعامه دون شهية.. فقط



Scanned with CamScanner

طاعةً لنادر.. ثم التفت فجأة ينظر بعينين حزينتين نحو الحاجز.. تلك النظرات أصابت أحمد في الصميم.. وتمنى عندها لو يدخل ليسأله ما يريد وبالتأكيد سيحقق له كل رغباته.

فقط خمسُ دقائق قضاها فارس بتناول طعامه قبل أن ينتبه أحمد لتحديقه بغرابة بشيء ما في أحد تلك الأطباق..

ظل متوتراً ثوانيَ أمامه قبل أن يحسم تردده ويسحبه من الطبق ليرميه في فمه ثم جرع من قنينة المياه، واتجه أخيراً لخزانة ملابسه ليختار قميصاً وبنطالاً وهو يمطُّ شفتيه باستياء لقول نادر بأن رائحته سيئة..

«أعلم.. أعلم كم هو مزعج ووقح وبغيض.. ولكن أن تبقى طوال هذا الوقت دون استحمام هذا مضر لصحتك.»

قال أحمد وعيناه المشفقتان تراقبانه..

فوجئ حين أخرج فارس قميصين أحدهما أزرق مقلم بالأبيض والآخر أخضر قد نُقشت أطرافه وتوسطه رسم تنين.. رآه يغادر الخزانة وقد علت شفتيه ابتسامة ليقف أمام الحاجز رافعاً لكليهما..

(هل يريد مني أن أختار؟!).. وضع أحمد كوب القهوة وكاد يضغط المايك ليجيبه فرسم التنين ذاك لا يتناسب معه..

ومجدداً تذكر تحذير نادر، فتراجع وظل مفكراً لثوانٍ وتانك



Scanned with CamScanner

العينان المنتظرتان تستعطفانه أن يُجيب.. ابتسم بلطف وعاد للحاجز ثم طرق عدة طرقات مقابلة للقميص الأزرق لتعلو شفتي فارس ابتسامة واسعة فقد فهم مقصده.. رآه يتحرك ليرمي بالقميص الأزرق في الخزانة وأخذ الأخضر وقد علت شفتيه ابتسامة مستفزة جعلت وجه أحمد يشحب خيبةً وإحباطاً..

- نادر أيها الوغد هذا الفتى غاضب منك بالتأكيد..

راقبت عيناه دخول فارس دورة المياه وأغلق بابها خلفه ليُفتح في اللحظة نفسها باب الحجرة المشتركة داخلاً منه نادر..

ربّع أحمد ذراعيه أمام صدره: « لقد قلت إنك ستعود العاشرة والنصف والآن هيَ الحادية عشرة والنصف!! »

تجاهل نادر تعليقه العاتب وهو يضع كيسين فوق المكتب وعيناه تبحثان عن فارس ثم سأل:

« أين فارس؟! »

- بالتأكيد ذهب ليستحم.. فأنت بلا منازع سيد إبراز العيوب.

أومأ نادر برأسه متفهماً قبل أن يشير له ليخرج: « يمكنك المغادرة. »

هكذا!!.. وبلا أي شكر أو امتنان!!.. قطب أحمد حاجبيه ثم قال:

- أنت.. أنا جائع فلقد مكثتُ هنا طويلاً دون عشاء.



Scanned with CamScanner

عيناه كانتا تحدقان بالكيس بيد نادر وقد اشتم رائحة الطعام.. وإن كان بحق يرغب قليلاً بمرافقته.

سحب نادر أحد الأكياس بعيداً عنه فيما أخذ أحمد مسرعاً الكيس الآخر ليجد به شطيرتين ومشروباً طازجاً..

- إنها وجبتي المفضلة حين كنا بالقرية.

قالها بسعادة وقد تأثرت عيناه لكون نادر اشترى له..

نظراته الممتنة أزعجت نادر وأشعرته بالسوء فقال:

- مجرد نزوة لن تتكرر.

حتى لو كانت زلة كانت سعادة أحمد لا حدّ لها وهو يجلس ليأكلها بتلذذ..

- أنت حتى لم تتناول العشاء برفقتها!!.. هل رفضتك؟!

انتشل أحمد بسؤاله نادر من شروده وتفكيره بما حدث خارجاً لينظر نحوه بسخط..

- لهذا احتجت لرفيق جيد مثلي كي يخفف عنك.

تابع أحمد بخبث فابتسم نادر مجيباً له:

- لم تكن بمستواي.. غبية وبلهاء ومتغطرسة فرفضتها مباشرة وتركتها تبكي وسط الأمطار.

توسعت شفتا أحمد بصدمة واستهجان فضحك نادر لسذاجته بتصديق مثل هذا الغباء، ثم أدار بصره بغتة للحاجز..



Scanned with CamScanner

تذكر صمت فارس وتجاهله له بل والحزن الذي ملأ عينيه..

- هو غاضب منك.

قالها أحمد فقطب نادر حاجبيه فيما تابع:

- بل ولم يتناول طعامه وظل يجلس بزاوية الحجرة يبكي ثم سحب ملابسه فجأة مغادراً لدورة الميـ..

لم يكن قد أتم حديثه حين رأى نادر يتخلى عن طعامه ليقف محدقاً بالحاجز قائلاً:

- حقّاً؟!

تأمل أحمد سلوكه الغريب بصمت لثوانٍ قبل أن ينفجر ضاحكاً مما جعل عينيْ نادر تستحيلان حمماً لإدراكه أنه كان يكذب عليه..

- لقد بصقتُ في طعامك.

امتقع وجه أحمد لقوله وداهمته نوبة قيء وهو ينظر للشطيرة المستقرة بيده والعصير الطازج بالأخرى..

هو يتوقعها منه بالفعل.. ولكن حتى لو سأله لن يجيبه إن كان صادقاً أم مازحاً..

رفع عينيه ليراه يبتسم له بعبثية فوضع عندها ما بيده على المكتب.. فهو الآخر قد فعلها به قديماً..

- والآن يمكنك المغادرة.. وأرجو أن لا تكون خدماتك



Scanned with CamScanner

متوفرة مستقبلاً.

- حتى لو لم تتوفر.. ستجعلها أيها السافل متوفرة بما تمارسه من إجرام في حقي.

- إذاً فلتدعُ أن لا أحتاج لخدماتك.

- وهذا ما ألهج به دوماً في دعواتي دون نصيحةٍ منك.

ثم انتبه أحمد فجأة ليسأل عن شيء أشغل باله قبل المغادرة:

- هل تصرفت بشأن استغلالهم للفتى؟

- لا.. لو فعلت وأبلغتُ الهيئة الطبية دون دليل فسيشهد الكل ضدي ولن يستفيد فارس شيئاً.. وعمه ليس مكترثاً لأمره لأن الفتى بعد عدة أشهر من الآن سيتسلم ورث جده وهو يريد الاستيلاء عليه.

شهق أحمد بصدمة فيما هز نادر كتفيه:

- إن أوضاعه تسوء أكثر وأكثر.. حتى والداه قد تخليا عنه..

- المسكين.

قالها أحمد بتأثر ليلحظ ذاك الحزن الطفيف الذي غطى وجه نادر لثانية قبل أن يختفي بسرعة..

- ماذا قد نفعل لأجله؟!

سؤاله المشفق جعل نادر ينظر له ثوانِيَ قبل أن يُجيب:



Scanned with CamScanner

- لا يمكنك فعل شيء.

- وأنت؟!

- أنا أيضاً.. سوف أقوم بواجبي تجاهه هنا فقط كوني المعالج المسؤول عنه.

هذه الإجابة لم ترق لأحمد أبداً، واستشعر أنه يُخبئ عنه شيئاً.

« لقد تأخر في دورة المياه. »

قالها نادر فجأة مقاطعاً ذلك الحديث الجاد لينظر أحمد لساعته..

- إنه فيها منذُ خمسٍ وأربعين دقيقة.

مسح نادر كفيه وشفتيه بمناديل ورقية ففارس ليس من عادته أن يمكث طويلاً في الحمام، ثم تحرك ملتقطاً مفتاح حجرته فلديه شعور سيئ مُنذُ رآه حزيناً..

فتح باب حجرة فارس ومشى بهدوء قبل أن يقف أمام المغسلة الملحقة بدورة المياه، سمع مياه الدش ما زالت تتساقط فرفع يده وطرق الباب قائلاً:

- فارس.. هل أنت بخير؟

لم يصله إجابة سوى صوت قطرات المياه المتساقطة.. عاد يطرق الباب مجدداً ولكن لا مجيب.. وعندها توترت ملامحه قبل أن يرفع صوته:



Scanned with CamScanner

- إن لم تُجبْ فسأدخل.

ومجدداً صـمت زاد من قلق نادر.. يستحيل أن يكون ذلك ناتجاً عن تجاهله الطفولي له!.. وجد نفسه دون وعي منه يدير المقبض ويفتحه ثم دفع الباب لتتسع عيناه قلقاً ويشهق هلعاً فقد كان جسد فارس غارقاً بأكمله وسط حوض الاستحمام..

« يا أله.. يا أله.. يا أله!!.»

سمع صوت أحمد من خلفه ولكنه لم يشعر بنفسه إلا وهو ينزع معطفه ليرمي به إليه، ثم ركض نحو الحوض الممتلئ وهو يدفع كمي قميصه لمرفقيه ولم يكد ينحني نحوه حتى رأى وجهه الغارق بالدموع فبالكاد يبرز أنفه ونصف وجهه العلوي من وسط المياه..

وجهه المحمر وجبينه المتعرق نبأاه بأنه كان يبذل جهداً كبيراً كي لا يغرق ويموت..

وحين اصـطدمت عينا فارس به انهمرت دموعه أكثر وهو يراه يقترب منه فقد سـمع مناداته سـابقاً ولكنه لم يملك القوة للرد عليه..

أدخل نادر ذراعيه أسـفل منه ثم حمله خارج الحوض فتبلل قميصه وجسده من المياه الملتصقه بملابس فارس التي لم يكن قد نزعها بعد كي يستحم..

ولم يكد يستقر واقفاً بحمله حتى راح جسـد فارس يرتجف



Scanned with CamScanner

بشدة وأسنانه تصطكُّ بعضها ببعض فالجو بارد إثر أمطار الخارج وتبلله بالمياه زاد من حدة ذلك، رآه يُسقط رأسه على كتفه يتنفس بوهن وما زال وجهه يعكس فزعه وانهياره مما حدث له..

ضـاقت حدقتا نادر وبدا فيهما تأثر وإشـفاق وهو يقترب من أحمد الحامل معطفه كي يغطيه به، ازدرد أحمد ريقه وهو يلُفُّ معطف نادر حول جسـد فارس قبل أن يخرج للخارج كي يُهيئ السرير ليرقداه عليه..

- أحضر غطاء سريري.. وستجد في خزانتي مناشف كبيرة لا بد من أن نجفف جسـده بها.. والزر الذي ضـغطته مسـبقاً أغلقه فالهواء الداخل من النافذة سيؤذي رئتيه.

أسـرع أحمد دون تردد لينفذ أمره وحمل المناشـف والغطاء غير مصدق أن نادر يمنح شيئاً خاصّاً به لهذا المريض الغريب.. بل وتخليه عن معطفه الفاخر قبلاً؟!..

مد يده ليغلق زر النافذة ومن الحاجز الشفاف رأى نظرات نادر المحدقة بفارس وهو لا يزال يحمله فشعر بقلق عارم..

ولكن الوضـع لم يكن مُهيأ لملاحظاته تلك فأغلق النافذة ثم عاد نحوه ليأمره نادر بفرش غطاء سريره على سرير فارس كي لا يتبلل السرير ولا يجد فارس ما ينام عليه..

أنزله بهدوء وما زال معطفه ملتفّاً حوله ليستلقي جيداً..



Scanned with CamScanner

وراح الاثنان يتعاونان معاً لتجفيف نصفه العلوي وقد استسلم لهما تماماً.. عيناه فقط لم تكفا عن ذرف دموعهما وهو لا يزال يشهق من البرد..

نهض نادر فجأة قائلاً:

- سأحضر له شيئاً ساخناً ليشربه.. وأنت لا بد أنك قد اعتدت التعامل مع مثل هذه الحالات في المستشفى.

أومأ أحمد له بالإيجاب وهو يراه يغادر بينما تابع هو الاهتمام به وإن لاحظ محاولة فارس الابتعاد عنه وأنه لم يتقبله.. ولكن جسده الضعيف يأبى طاعته..

استغرب أحمد وهو يجفف ذراعه سقوطها بوهن حين تركها دون أن يستطيع فارس تحريكها.. كان الأمر مريباً بحق.. ولكن ما صدمه حقاً تلك الكدمات التي لا يزال بعضها ظاهراً على جسد فارس..

وفي الخارج كان نادر يحضر كوب القهوة.. كان يعلم أنه خطأ ولكن لم يكن لديه شيء آخر ساخن كي يمنحه الدفء..

كان لا يزال يشعر بارتجاف أعماقه من الداخل.. الفزع الذي انتابه وهو يراه كالجثة في حوض الاستحمام؟!.. ما كان ذلك؟!.. الجميع يعلمون أنه يحاول مراراً وتكراراً قتل نفسه فلو مات لم يكن بالشيء المستغرب.. بل هو متوقع منه..



Scanned with CamScanner

ولكن لِمَ لا يزال يشعر بالخوف؟!

كان في حالة صدمة فهو لا يفكر الآن بوظيفته!!.. ولا بالمال!!.. ولا بشهاداته أو انضمامه لسلك التحقيق!!

هو فقط لم يرد رؤيته يتأذى!!.. هذا التفكير جعله يقلق وأشعره بالتهديد؟!

مرت خمسُ دقائق قبل أن يعود نادر للحجرة حاملاً الكوب في يده وقد أنهى أحمد الاعتناء به، ناوله الكوب وجلس على المقعد المجاور للسرير وقد غطى وجهه هم شديد..

نظر أحمد للكوب واهتزت أرنبة أنفه بحنق.. أهذا ما استطاع فعله؟!

ولكن جسد فارس المرتجف جعله يسنده مرغماً ليسقيه بعضه.. بان بملامح وجهه المرهقة عدم رغبته بها فهو لم يشربها في حياته..

ولكن أحمد ضغط عليه ليشرب بعضها قبل أن يدعه يستلقي مجدداً على السرير.. وكل ما فعله أن عاد للتكوم على نفسه وقد بدا النعاس في عينيه..

- ماذا حدث بغيابي؟

غطاه أحمد بالغطاء والتفت ينظر لنادر الذي كان يفرك كفيه بعضهما ببعض متابعاً بحدة:

- هو لم يرد إيذاء نفسه وإلا لكان مات منذ لحظة دخوله



Scanned with CamScanner

للاستحمام؟!.. أي منذُ أكثر من نصفِ ساعة؟! كما أني رأيت محاولته اليائسة التشبث بحافة حوض الاستحمام كي لا يغرق.

- لم يحدث شيء.

أجاب أحمد، وهو ينهض عن السرير ليقف نادر بدوره ويتجه نحو فارس.. كانت عيناه نصف مفتوحتين فسأله مباشرة:

- لمَ كُنت غاضباً مني؟

بدا وكأنه يقاوم وعيه المتلاشي ليُجيبه بحروف ثقيلة متقطعة:

- قالـــ.. وا.. إنني قليل الوعي.. و.. كهف.. رجل.. أنت.. أنت لم تخبرني أني.. مريـ..ض عقلي ومرضي لا يُشفى.

اتسعت عيناه إلى آخرهما وحقد بالفعل على ذاك الطبيب والفتيات المتطفلات..

- هل هذا ما دفعك لمحاولة إيذاء نفسك..؟

كان عقله يرفض تماماً طرحه لمثل هذا السؤال، ولكن تحريك فارس رأسه نفياً وانسياب الدموع من عينيه حزناً لاتهامه له وكأنه لا يثق به.. جعلا الثقة تملأ ملامح نادر وهو يقول:

- كُنتُ أثق أنك لم ترد إيذاء نفسك وإلا لم تكن لتطيع أمري وتذهب للاستحمام.

قوله أعاد شيئاً من الراحة لوجه فارس الذي ابتسم.. ووجد نادر هو الآخر نفسه يبتسم دون شعور..



Scanned with CamScanner

- نادر انظر.

انتبه نادر لصوت أحمد الذي كان يقف أمام مائدة طعام فارس وقد رفع مغلفاً صغيراً فارغاً لقرص من الدواء.. تحرك نادر نحوه واتسعت عيناه وأحمد يهز المغلف بغضب:

- قرص الترامـ***.. هل أنت أحمق لتمنحه إياه؟!.. هو مثبط للجهاز العصبي المركزي ومن الجيد أنه لم يفقد وعيه في حوض الاستحمام وإلا كان انتهى الأمر بموته غرقاً.

ظل نادر على صمته وهدوئه وعيناه ما زالتا تُحدقان بالمغلف فيما تابع أحمد بحدة:

- شعوره بالإرهاق والخمول.. ورغبته الآن بالنعاس والنوم.. ارتعاش جسده اللاإرادي.. تسارع نبضات قلبه.. جميعها جعلتني أشك بتناوله له.. فهذا الدواء لا يُمنح إلا بعد..

وصمت فجأة وهو يرى نادر يتلفَّت فيما حوله..

نظرته العصبية وأنفاسه الثائرة المتلاحقة نبأته بأنه لم يكن من وضعه له.. تذكر فجأة ما حدث في المرة الماضية حين تعمدوا انتقاء طعام غير متوازن له كي يُهدئ من حركته غير مبالين بصحته وتدهورها..

ولكن على عكس المرة الماضية لم يبدُ نادر غير مكترث بل كان ثائراً وفهم ما يريد بالتفاته..



Scanned with CamScanner

هو يصمت.. يعقد حاجبيه وتضيق عيناه عندما يريد فعل شيء سيئ..

هل يبحث عن شيء ليقتل به شخصاً ما؟!

هذا ما فكر به أحمد وقلبه يخفق بوجل ولكن نادر تحرك ليغادر الحجرة فأسرع أحمد ليقف أمامه قائلاً بقلق:

- اهدأ.. اهدأ.

لم يهتم نادر وهو يدفعه بعيداً عن طريقه ولكن صاح أحمد فجأة:

- والداك.. والداك ليس لهما أحد غيرك.

تلك العبارة كانت كفيلة بأن يتجمد جسده بأكمله.. كانت كفاه المقبوضتان تهتزان بعنف وعيناه يزداد احمرارهما.. كان يصارع وحشاً بداخله..

أحمد نفسه شعر بالفزع والخوف منه ولم يقل كلمة بعدها فهو يعلم أن تلك العبارة السابقة إن لم تكن مفيدة فلا غيرها قد ينجح بتهدئته..

أدار نادر بصره المحمر لينظر لفارس ليجده قد سقط في نوم عميق..

إذاً هذا ما يعانيه هذا الفتى أيضاً!.. إضافةً لعدم علاجه وسجنه وتلك الكدمات بجسده!.. الحثالة يتجرؤون على التلاعب بوعيه



Scanned with CamScanner

وتعذيبه بالأدوية رغم أن وجوده معه يحقق لهم مرادهم بمنعه من إيذاء نفسه وبإبقائه حيّاً!

- سالم قد قال إنه تكَفَّل بأمره الليلة وإنه لن يُتعبني.

- رئيس الأطباء؟!.

سأله أحمد بانفعال مستنكراً أن يُقدم شخص بمكانته على فعل هذا..

بينما سحب نادر نفسه بغتة ليجلس على المقعد المجاور للسرير وراح يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عدة مرات، محاولاً تهدئة نفسه وأمام عينيه لم يرتسم سوى طيف عجوزين وحيدين..

« هل سيكون بخير؟! »

سأل نادر بعد بضع دقائق وعيناه المحمرتان محدقتان بالأرضية فقال أحمد:

- قد يصاب حين يستيقظ بعسر هضم.. غثيان.. فقدان للشهية.. جفاف بالفم، شعور بالعطش.. ولكنها ستستمر لعدة ساعات فقط قبل أن يزول أثرها... وأخمن أنه قد يستيقظ بعد ساعتين أو أكثر بقليل.

أزعجت تلك الأعراض نادر ولكنه ارتاح لكونه لا يزال سيستيقظ في نوبته.. فهو يريد تهدئته بنفسه..

صحيح أن الجميع يرونه مجرماً وأنه سيتغاضى عن تصرفاتهم..



Scanned with CamScanner

عن تجاوزاتهم الآثمة..

ولكنه من الآن وصاعداً سيتصرف كمجرم حقيقي..

ولكن في اتجاههم وليتدمر مستقبله إذاً..

ثم التفت لفارس النائم فوق السرير وابتسم:

« سأخرجك من هنا وليحدث ما يحدث. »

همس بها دون أن يسمعه أحمد.. سيلتزم بصبره المعتاد.. ومن الغد سيبدأ علاجه لتحقيق مرحلة توازنه النفسي قبل إخراجه..

كان يفكر بذلك حين رأى عند قدميه قطعة من الورقة التي مزقها فارس سابقاً..

شيءٌ ما شد انتباهه فيها..

نصف وجه الفتاة المرسومة فيها.. عيناها الزرقاوان..

شعرها المموج..

نظرتها المتعالية..

« مسخ الموضة »

نطق بها بشيء من الصدمة وذاكرته تستعيد فجأة قول فاضل لفارس بأن مايا لم تعد تنطق اسمه..

إذاً فمايا موجودة حقّاً.. وليست من هلوسة فارس ومرضه..

وقد تكون بحق مسخ الموضة تلك..



Scanned with CamScanner

❋ ❋ ❋



Scanned with CamScanner

# الفصل العاشر

رتب أجزاء الورقة الممزقة فوق طاولة مستديرة توسطت حجرته، بدت لفتاة في السادسة عشرة من عمرها ولكن كلما أمعن نادر النظر بها كان شعوره الداخلي السيئ يتعاظم بكونها:

« مسخ الموضة. »

التقط عدة صور لها بهاتفه النقال ثم أرسلها لزيد، تطلع لساعته التي أشارت للواحدة والنصف فجراً.. لقد قضى ما يقرب الساعة يتفقد بريده الإلكتروني ويطلع على سيل الملفات التي أُرسلت له من أستاذه الجامعي حول مرض فارس وآخر ما استجد من طرق علاجه..

لم يكن ذاك الأستاذ الجامعي بخبير حول هذه الأمراض ولكن إعجابه بتلميذ نابغة كنادر في مجال واحد فقط جعله يستغل علاقاته ويهرع لتلبية حاجته شريطة أن يختاره كمشرف له إذا ما رغب يوماً ما بإكمال دراسته العليا حول علم النفس الجنائي..

« لم أكن أظن أن هوسه قد يكون ذا نفع. » وابتسم بسخرية « يوماً ما؟!.. وكأني سأفعل ذلك! »

أغلق حاسوبه الشخصي ثم خرج للحجرة المشتركة ليجد أحمد لا يزال جالساً فوق الأريكة..



Scanned with CamScanner

- أنت.. لقد توقف المطر.. هيا غادر.

رفع أحمد بصره القلق نحوه ليجده قد استبدل ملابسه المبللة وقد هدأ تماماً.. وحين لاحظ نادر نظراته سأل بسخرية:

- هل ستقضي الليل كله مرافقاً لي؟! أليس لديك عمل في الغد؟!

- أنت لم تجب سؤالي بعد؟!

قالها أحمد بحدة فرمقه نادر بنظرة متبرمة قبل أن يتحرك ليجلس على المقعد قائلاً:

- لقد مر على ما حدث ساعة ونصف الساعة دون أن أُجيبك.. ألا تسأم؟!

- هذا الفتى يتعرض للضرب والعنف أيضاً.. الكدمات على جسده مر عليها ما يقرب الأسبوعين وأنت لم تخبرني بذلك.. ما الذي تخفيه علي أيضاً؟!.. بل كيف تتحمل هذا الوضع بمفردك؟

- أنت مزعج بالفعل.

قالها نادر بتأفف فهو لا يكف عن سؤاله مُنذُ غادرا حجرة فارس عمّا يخفيه؟!.. وما الذي ينتوي فعله؟!..

- أحمد.. أنا لستُ ذلك المراهق قديماً.. ثم توقف عن إبداء قلقك علي فهذا لا يناسبك.

- متعجرف.. من القلق عليك؟!.. أنا فقط.. قلق بشأن..



Scanned with CamScanner

وصـــمت.. هو حقّاً قلق عليه.. ويخشـــى أن يُكرر نادر ذلك الماضي.. فنادر حين يكون مهتمّاً لشخصٍ ما يفقد نفسه..

- قد أكون أنا من ضربه.. فهو مزعج وعنيف.

قالها نادر بابتسامة عابثة ليرمقه أحمد بنظرة مستخفة ساخطة.. فهو في هذه اللحظة كاذب فاشل أمامه..

وظل الصـــمت بينهما ثوانيَ قبل أن يقف أحمد وهو يزمع المغادرة قائلاً:

- ما زال معطفي مبللاً أعرني إحدى مظلاتك فأخشـــى أن يسقط المطر مجدداً.

- لستُ مسؤولاً عنك.. أي غبي يتحرك في هذا الجو العاصف دون أن يحمل مظلة؟!.. ثم لا أملك سوى واحدة فقط.

- حسناً.. أعرني أحد معاطفك وسأعيده لك.

- هل حقّاً تظنني سأفعل؟

- نعم بعد أن منحت معطفك لمريض ظننت أنك قد تمنحه أيها البخيل لصديقك القديم.

اتســـعت عينا نادر صـــدمة.. بل وجد نفســـه يقف بغتة ليحدق بســـخط بمعطفه الرمادي المبلل والمرمي على الأرض مجاوراً لسرير فارس..

- أنت حتى لم تلاحظ.



Scanned with CamScanner

قال أحمد بصدمة بل رأى وجه نادر يزداد عبوساً وهو ينتقل بنظره إلى غطاء سريره أسفل جسد فارس.. كيف سينام دونه الآن؟!

- تبّاً.. أنت أشد استغراباً مني!.. فتلك ليست طباعك؟!.. هاي.. أنت.. لماذا منحته شيئاً خاصّاً بك؟!.. بل ولماذا كدت تخرج عن اتزانك وتتشاجر مع من منحه الأقراص؟!..

ارتبك نادر وبدا متوتراً وكأنه كُشف.. ما الذي كُشف؟! هو نفسه لا يعلم.. ولكنه شعر بشعور سيئ.. وتلك التساؤلات تصفع كل آليات الدفاع النفسية لديه..

- إنه مريضي الأول ومسؤوليتي وحدي.. لقد تسلّمتُ مرتبي الأول اليوم.. فلو حدث له مكروه فسيظنون لأنني تسلمته قد أهملت العناية به.

(الإنكار، والتبرير)

أنكر ما يلمح له أحمد في باطن أسئلته وبرر أفعاله الغريبة الصادرة عن لا وعيه بمحبته للمال وبما أن أحمد يعلم جشعه فهو بالتأكيد سيصدقه..

وابتسم فذلك بالتأكيد رد جيد ولكن صمت أحمد ونظرته المعلقة به بسخرية جعلاه يغضب فأسرع ليسحب مظلته وأعطاها له ثم دفعه ليخرج قائلاً:



Scanned with CamScanner

- قل إنك غيور فحسب.. خذها وارحل قبل أن أحطم فمك الثرثار بها.

- من الغيور؟!.. لا تُسقط هراءك علـ..

وصمت وكأنه اكتشف أنه حقّاً غيور.. والتقت نظراتهما.. وعقلاهما يفكران.. (سحقاً.. ما الذي يتشاجر عليه الاثنان الآن؟!.. بل ما نوع هذه المحادثة الغبية؟!)

« انتظر.. انتظر. »

توقف نادر عن دفعه ليراه يُخرج فجأة شيئاً من حقيبته.. ثم ناوله له قائلاً:

- لقد نسيته في شقتي يوم نمت بها.

مد نادر يده ليأخذ ذلك المصحف الصغير وقد بدا محرجاً ومرتبكاً..

- إنه المصحف الذي أعطيتك إياه في السجن بعد أن وافقت بعد مرور أربعة أشهر على زيارتي لك.. سعيد أنك احتفظت به.

اكتفى نادر بالصمت.. ولم يعلم أحمد حقّاً أن هذا المصحف حين أخذه منه كان بعد يوم من محاولته قتل نفسه.. وهو ما ساعده وقتها على قضاء ما تبقى من أيامه في السجن دون تكرار محاولته..

وجه أحمد المبتسم وعيناه المشرقتان..(لماذا تزيد من



Scanned with CamScanner

حرجه؟!).. بل رآه فجأة يخرج مصحفاً له الرسم نفسه وكتاباً ناوله إياهما قائلاً بتردد:

- حين اتصلت بي.. أخذتُ مصحفك ورأيتُ هذا على المنضدة فتذكرتُ هذا الفتى.. لا بد أنه يشعر بالوحدة والملل.. كما أن مكتبته لا تحوي سوى الهراء.. فخمنت أنه قد يعجبه قراءته.

لم يتردد نادر في أخذهما منه ثم نظر للكتاب المسجل عليه: « الرحيق المختوم ».. لم يقرأه من قبل..

- أنت لم تمنحني مثله وأنا في السجن!!

- لأنهم منعوا دخول غير المصحف وهو..

وصمت لينظر بصدمة لنادر.. ثم ضحك فجأة بقوة:

- أنت تغـ..

- تبّاً.. فلتمت.

وهذه المرة كان قد دفعه للخارج بالفعل.. وتنهد بتعب مفكراً.. بحق ما نوع الصداقة الغبية التي تجمعهما؟! إنها تستنزف كامل طاقته في كل مرة يلتقيان ويتحدثان فيها؟!

أغلق الباب من خلفه ولم يلبث أن تحرك ليدخل حجرة فارس فمعطفه المعذب لا يزال على الأرض.. هو معالج نفسي.. ولكن أكثر ما يعجز المعالجون النفسيون عن تفسيره هو أنفسهم!!..

وهذا ما حدث حين همس بسخط:



Scanned with CamScanner

- ما مشكلتي بالضبط؟!

تمتم بها ويده ترفع معطفه الرمادي الذي تقاطرت منه المياه ثم أخرج من جيبه محفظته التي أصابها هيَ الأخرى البلل.. وشتم عدة مرات وحاجباه ينعقدان لأحد الأزرار المرتخية والياقة التي فقدت استقامتها.. كان قد اشتراه احتفالاً من أجل وظيفته الجديدة وقد كان غالي الثمن.. (بحق أي عقل امتلكته وقتها لأتخلى عنه له؟!)

عاد بنظره المحتد إلى فارس الذي لا يزال ساكناً فوق سريره.. وظل ينظر له للحظة قبل أن يقفز لذاكرته صورته في حوض الاستحمام..

في كل مرة كان يرى في عينيه الموت وسعيه إليه بإخلاص وتفانٍ متجاهلاً ألمه..

لكن في تلك اللحظة رأى شيئاً آخر..

رأى تشبثه بالحياة..

- ما كان ذلك؟!..

قالها وتأمله لثوانٍ بصمت ثم ما لبث أن همس بتوجس:

- الشخص المتشبث بالحياة حين يتأذى سيكون تألمه وتوجعه أعظم أضعاف المرات من الشخص اليائس الراغب بالموت.



Scanned with CamScanner

عقد حاجبيه متعجباً هل هو السبب؟!.. سبب تشبثه بالحياة في هذا المكان الأشبه بالقبر والمعتقل معاً؟!

هل لاح له الأمل بوجوده حوله فقط؟!..

ثقته الغريبة به لذاك الوقت الطويل وكأنه ينتظر قدومه فقط لينقذه من الغرق؟!

بل الأسوأ قد يكون سبب تشبثه بالحياة وعده الذي لا يعلم كيف نطقه سابقاً بأنه إن تقبل مرضه فإنه سيحميه والذي فسره فارس بسذاجة أنه سيخرجه؟!

وهذا ما دفعه ليفكر بإخراجه بجدية..

تلك النظرة في عيني فارس نحوه تعاكس تماماً نظرة فاضل ورجاله جميعاً له!

طوى معطفه وحمله معه.. قبل أن يضع المصحف والكتاب جوار سريره ثم سحب نفسه للخارج فقد بقي على موعد استيقاظه ساعة بأكملها سيستغلها بقراءة ملفات علاجه والدراسات الحديثة لهذا المرض.. فهو بالتأكيد لن يُجازف بإخراجه دون أن يخف مرضه ولو قليلاً.

- ولكن ماذا بعد إخراجه؟!

ألقى له عقله بهذا السؤال.. ولكنه ابتسم فكل شيء له أوانه.. وله حل..

***



Scanned with CamScanner

ثار الغبار من أسفل حذائها الأحمر القاني وعلا صوت خطواته ممزقاً ذاك السكون الذي انغمس فيه قصرهم القديم..

بأناملها راحت تحرك ضوء كشاف هاتفها وكأنها تبحث عن شيءٍ ما وسط ظلمة غرق فيها هذا القصر مُنذُ تسع سنوات..

لاحت لها من بعيد تلك الحجرة فتقدمت بثبات لتدخلها..

رأت السرير الصغير الذي توسطها.. الخزانة المتوسطة في إحدى زواياها.. الطاولة والمقعد حيث اعتاد أن يدرس..

تلك الخطوات المتقدمة لم تلبث أن هدأت وعيناها تُحدقان بالقمصان الصغيرة والبناطيل المعلقة بالخزانة..

ذلك الأزرق ارتداه حين ذهب للمدرسة بأول يوم.. والأصفر حين ذهبا معاً للجبال..

تلك المنامة حين كان يرافقها في نومها على سرير واحد معظم الليالي..

تحركت لتقف أمام طاولته.. فوقها استقر مصحف صغير.. انفرجت شفتاها ولم تلبثا أن تقوستا..

« هل ظل محتفظاً به في حجرته بعد مغادرتي؟! »

تساءلت وعيناها الزرقاوان تجوبان كل زوايا الحجرة التي امتلأت بعشرات الذكريات التي لا تنسى..

داست قدمها بغتة على شيء لين جعلها تُسلط ضوء كشافها



Scanned with CamScanner

للأسفل لترى أسفل كعبها قناع العينين الأسود الخاص بها..

وهنا تحطم كل تماسكها.. وانطلق شلال من الدموع من عينيها وكفها تأخذه لتعتصره وذاكرتها تُلقي لها بذلك المشهد

(كانت مستغرقة بنومها حين شعرت بشيء ما يشاركها سريرها.. بل هو أسفل غطائها.. نهضت فزعة وتراجعت للخلف وقد شهقت بقوة.. ولم يأخذ التردد وقتاً منها لتسحب مكواة شعرها من فوق المنضدة القريبة ورفعتها لتقتل ذلك الشيء..

وهوت تلك المكواة..

وارتفع طرف الغطاء ليظهر من تحته عيناه الزرقاوان المحدقتان بها وتلك الابتسامة الطفولية تملأ وجهه..

« فارس. »

رمت مايا بالمكواة على امتداد يدها وقد صُدمت من منظره وهو يمد بذراعيه نحوها كي تعود للاستلقاء معه..

اهتز حاجباها لثوانٍ بتعب ولكن أي قلب بحق سيرد مثله!!.. عادت لتستلقي جواره قبل أن تسحبه نحوها وراحت تداعب شعره هامسة:

ـ لمَ لا تنام في حجرتك؟

- يوجد شيء في الخزانة أخاف منه.

ضاقت نظراتها لكذبته ليفهمها مباشرة فقال بعبوس:

- لَمى تنام مع أمي وأبي.



Scanned with CamScanner

لمست من صوته غيرته الشديدة منها فضحكت:

- أنت في الخامسة.. وهي في الثانية.. هيَ بالتأكيد..

نظراته المحتدة جعلتها تقطع حديثها.. بحق هيَ لمَ تبرر لهم؟!

فمطت شفتيها:

- حسناً.. يمكنك أن تنام معي الليلة.

سعادة ملأت عينيه الزرقاوين ودفع بجسده ليلتصق بها وقد أغمض عينيه..

فعله هذا نبأها بأنه من الآن وصاعداً قد اتخذ قراره.. سينام معها دوماً.. وكادت تغير رأيها ولكن لم تلبث أن تنهدت ويدها تمتد لتُغلق الأنوار.

- لا.. أخاف الظلام.

نظرت له وقد لمعت عيناه مستعطفاً لها وقد كان صادقاً.. سحبت قناع العينين ووضعته فوق رأسها وقبل أن تسحبه لعينيها همست:

- لا تخبر لَمى أنني سمحتُ لك بالنوم معي.. فأنا لستُ جليستكما أيها المدلل.

أومأ برأسه وهو ينظر لها تغطي عينيها بذلك القناع الأسود الذي ظل مقابلاً له ولعامين بأكملهما قبل رحيلها..



Scanned with CamScanner

فيما هدأت أنفاسها وهيَ تغرق في نومها و....)

استفاقت من تلك الذكرى على صوت سعال آن خادمتها الشخصية وهي تخترق تلك الظلمة.. فوقفت مايا ماسحة وجهها ليظهر عليه ذاك البرود وآن تدخل قائلة:

- كُنتُ أعلم أني سأجدك هنا.. لماذا تصرين على إصابتي بنوبة قلبية؟!

تأففت مايا وهي تغادر وآن تلحق بها متابعة تأنيبها:

- إذاً حين علمتِ أن الحارس إياد قد مات بحادث وجدتها مضيعة للوقت إن لم تزوري هذا المكان.. مايا يا ابنتي هذا لا يصح فبالكادِ قد نسيتِ..

«السيد راكان غاضب جدّاً ويأمر بعودتك.»

سمعت سائقها العجوز وهو يقف أمامها وقد بدا قلقاً جدّاً..

- هو ليس والدي حتى ليغضب أو يقلق من قدومي إلى هنا.

- ولكن يا ابنتي بقيت على رحلة مغادرتك للندن نصفُ ساعة فقط.. علينا أن نسرع وإلا فإن اجتماع الغد قد يفوتك.

عادت تقضم شفتها السفلى بعصبية وانزعاج قبل أن تتحرك قائلة:

- أخبر مسؤول العقارات أن هذا القصر ليس معروضاً للبيع.. واكسر اللوحة المعروضة بالخارج.

***



Scanned with CamScanner

(صوت النافذة المهتزة.. أجواء عاصفة.. ظلمة شديدة شقها برق مهول يخطف الأبصار تبعها صوت رعد صارخ اهتزت له جنبات ذلك السرير..

وسادة بيضاء لينة حُشر فوقها رأس صغير.. عينان زرقاوان باهتتان خوفاً.. وشفتان منطبقتان بشدة..

صوت طرقات قوية على باب تلك الحجرة جعل جسد ذلك الصغير المندس تحت غطائه يقفز ليفتحه ليكشف له عن فتاة صغيرة كانت في الخامسة من عمرها..

تلألأ وجهها الشديد البياض بالدموع وقد أحاط به شعرها البني الذي تجاوز طوله خصرها وقد اعتصرت بين ذراعيها دمية دب يكاد يساوي طولها وحجمها..

- أخي فارس.. لَمى خائفة.

انعقد حاجبا فارس وامتدت شفتاه بعبوس مما نبأها بأنه لن يقبل بها..

- دعني أنم معك أخي.. لن أكون مزعجة.

- اذهبي لماما وبابا.. نامي معهما.

- ماما وبابا.. لم يعودا بعد.

- والمربية؟!

- لا أحد حتى الخدم.



Scanned with CamScanner

قالتها وشفتاها منطبقتان بشدة كي لا تبكي.. فأكثر ما يغضبه منها صراخها وصوتها الباكي..

تجهم وجهه فهي الآن فقط تريد مرافقته لأن والديهم غائبان..

وفتح شفتيه لطردها إلا أن أنوار الحجرة تذبذبت فجأة وحلّت الظلمة لتصرخ خائفة وتسقط دميتها وتتعلق به..

بكت وذراعاها تحيطان بجسده ولم تشعر بارتجاف جسده وشهقاته العالية فقد كان هو الأخر خائفاً..

ولكن لكونه الآن الأكبر ويفوقها بثلاث سنوات لم يحتمل خوفها وبكاءها وعليه أن يتحمل مسئوليتها..

ضمها إليه وشقت وجهه ابتسامة نقية وهو يمسد شعرها:

- لا تخافي.. يمكنك النوم معي على سريري.

ضحكت بسعادة وما زال وجهها مطبوعاً على صدره فسحبها من كفها ليساعدها على اعتلاء سريره..

- والدبدوب.

- حسناً.. سأحضره حالاً.

التقط الدب الساقط وأرقده إلى جوارها.

- وأخي.

ضحك لقولها: « حسناً.. أنا أيضاً سأنام إلى جوارك. »



Scanned with CamScanner

كاد يصعد فوق السرير إلى جوارها ولكن الظلمة التي غرقت فيها الحجرة تُزعجه وتُرهبه..

عاد البرق مجدداً يلمع من النافذة قبل أن يدوي رعد عنيف جعله يرتمي معانقاً للَمى الصارخة والدب معاً..

- أخي برد.. برد.

شعر بها تهمس من أسفله فمع انطفاء الكهرباء توقفت التدفئة في المنزل وتسلل البرد قارصاً أجسادهما الصغيرة..

- سأُشعل الموقد.

قالها فارس وهو ينزل عن السرير ثم التقط هاتفه النقال وأدار كشافه إلى حيث الموقد الملحق بحجرته..

- لا.. لا تتركني أخي.

صرخت بها لَمى من وسط دموعها ليربت على كفها:

- فقط دقيقتين أُحضر قداحة أو علبة ثقاب من المطبخ وسأعود.

- لَمى سترافقك.

- لا حاجة لذلك.. لن أتأخر.

هرع راكضاً إلى حيث المطبخ القريب من حجرته وعلى ضوء الكشاف ظل لعدة دقائق يبحث قبل أن يجده.. أدار بصره من نافذة المطبخ ليرى سيارة في الخارج متوقفة..



Scanned with CamScanner

- لقد عاد أبي وأمي.

اتسعت ابتسامته وأنوار القصر تعود للإضاءةِ مجدداً.. أشرق وجهه وعاد راكضاً إلى حيث لَمى..

دفع باب حجرته وفتح شفتيه ليخبرها بعودة والديهما..

و..

واختفت ابتسامته..

وسقطت القداحة إلى جوار قدميه..

وشحب وجهه ليباري وجوه الموتى شحوباً..

فهناك.. فوق سريره..

أبصرت عيناه ذلك الجسد الضخم المعتلي جسدها الصغير..

شعرها البني المتناثر فوق وسادته.. عينيها الزمرديتين المتسعتين واللتين انهار منهما شلال من الدموع..

شفتيها المنفرجتين عن آخرهما..

شهقاتها المحتضرة وتينك الذراعين الضخمتين قد اشتدت عضلاتهما مواصلتين تحطيم عنقها الصغير..

بل إنه سمع تحطم عظامها وكفها الصغيرة المستغيثة تمتد نحوه:

« أخي... يؤلم! »



Scanned with CamScanner

صرخ بكل قوته واتساع فمه وهوى بقبضات ثائرة على جسد ذلك العملاق..

قبضات لم تكن ذات نفع أو فائدة..

فقد واصل اعتصار عنقها وعيناه تنظران إليه فهو التالي بلا شك..

بكى دموعاً مُلئت انهياراً وألماً ومرارة لعجزه وهو يسمع شهقتها الأخيرة.. شهقة موتها قبل أن تجحظ عيناها..

تراجع للخلف وتسارعت نبضات قلبه وصرخ ولكن لا مجيب..

« ماااما.. باااابا.. »

لا مجيب..

« مااااايا »

لا مجيب..

فقط ذلك الشخص سمعه والذي همّ بمغادرة السرير نحوه ليقتله ولكن رنين هاتفه قاطع مهمته فالتقطه من جيبه..

وراح يتحدث وكأن ليس من أسفل منه جثة..

جثة أخته لَمى المستغيثة به من العاصفة لتموت على سريره..

تجمدت أطراف فارس وراح يتلفت فيما حوله لم يعد يدرك شيئاً.. اضطرب عقله..



Scanned with CamScanner

رأى الرجل فجأة يخطف مشرطه من أعلى طاولته..

ونزل نصل ذاك المشرط الحاد ممزقاً عنقها وجسدها.. عشرات المرات..

سمع صوت اختراقه جسدها..

مقطعاً أوصالها و... ناثراً دماءها حولها.. ومغرقاً السرير من أسفلها..

وتلطخ وجهه ببعض تلك الدماء..

رفع كفه ليمسح الدم من وجهه.. دمَ لَمى.. أخته الصغرى.. أخته التي قتلته الغيرة منها من أجل والديه ولم يعاملها جيداً..

ما زالت كفها الصغيرة ممدودة نحوه..

واندفع..

اندفع نحو الرجل وقد حمل مضرب البيسبول الخاص به ليضربه به على جسده كي يترفق بجسدها الصغير..

تلك الضربات أصابت الرجل وآلمته فنهض عن جسدها واتجه نحوه..

ورأى فارس وجهه وانطبعت ملامحه البغيضة في عقله المضطرب.. ولم ينسَه أبداً..

ثوانٍ فقط ولم يعد يشعر بنفسه..

ماذا حدث؟!.. لا يعلم..



Scanned with CamScanner

فقط.. أظلم المكان من حوله..

.

.

.

أظلم لتبصر عيناه فجأة تلك الأنوار المتسارعة من أعلى منه..

كان مستلقِياً على ظهره.. وجسده كأنه يطير..

وإلى جواره صيحات امرأة باكية ورجل يستيغث: « طبيب.. طبيب.. طفلي يتززززف!»

شعر ببعض البلل أسفل رأسه.. حرك عينيه ليرى رأسه يسبح فوق بركة من الدماء وما زالت تلك المحفة الطبية تواصل عجلاتها الدوران نحو مصيره المجهول..

ولكن...

« لَمى. »..

« لَمـــى.. »

« لَمـــــى...!! »

صرخت بها شفتاه ناعياً ونائحاً موتها..

لقد خانها.. أخفق في حمايتها.. رجولته مزيفة.. هو غبي.. جبان.. قُتلت بمشرطه وهو كالعاجز..



Scanned with CamScanner

و..

وأظلمت حياته.. أظلمت حقيقةً وليس مجازاً.. ولا يكاد يفتح عينيه إلا ويرى ذلك المجرم القاتل حوله..

بل هو الآن يشعر بقبضتي ذلك الرجل تعتصران كتفيه.. شعر بجسده يهتز.. تدفقت الدموع من عينيه وصرخ..

« اهدأ.. اهدأ..»

كيف له أن يُهدئه؟!.. وهو من قتل أخته..

والآن هو يريد قتله بالتأكيد..

ارتفع صراخه عالياً..

وهو يحاول دفعه بعيداً عنه..

« فارس.. أفق.. أفق.. »

عاد ذلك الصوت مجدداً ولكن ممَّ يفيق؟!

كابوســه الآن هو من صــنعه!! هو من جعل عينيه تتبللان بالدموع!!..

« فارس أفق.. أفق.. هذا أنا نادر. »

ازداد جســده ارتجافاً وتحرك رأســه في كل اتجاه، كان كمن صُرع وزاغت عيناه من أسفل أجفانه المغمضة..

زاد شد الذراعين على كتفيه فرفع كفيه ليبعده عنه..



Scanned with CamScanner

ليدك صدره بقبضتيه..

فهو من قتلها.. لا يريده أن يلمسه.. لا يريد رؤيته.. فليمت فقط..

ولكن هيهات مع جسده الضعيف أن يكون بقوته..

تزايدت نبضات قلبه وراح يلهث منهكاً متعباً..

« تبـّاً.. »

شعر بيده الضخمة تلامس ذقنه لتمسكه كي يكف عن تحريك رأسه..

صفع بيده الضعيفة التي لا يزال أثر القرص بها كفه بعيداً عن وجهه ولكنها لم تتحرك أبداً..

حاول أن يركله بقدميه ولكن جلوسه إلى جواره جعل ذلك صعباً.. فقط دفعات ثائرة من قبضتيه على صدره ولكن دون جدوى كالسابق تماماً..

شهق ببكائه وعيناه المغمضتان ترفضان النظر للمواجه أمامه..

« فاااااارس.. أفق.. أفـــق.. أنا نادر ولستُ من تظنه؟!.. تبّاً إن واصلت ذلك فستصاب بصدمة مضاعفة. »

صوت صارخ غريب تسلل لأذنيه.. لم يفهم منه شيئاً.. فقط ذلك الاسم « نادر » أشعره بالغرابة..

بدا له مألوفاً.. ارتبط بشيء جيد في حياته.. أورثه راحة وأماناً



Scanned with CamScanner

غريبين.. ولكن عليه أن لا يخدع.. سيبعده عنه..

« فارس.. إن لم تُفق فـ... »

وصفعة تلقتها وجنته، شعر بحرارتها، حركت وجهه للجانب الآخر أطلق لها أنيناً متألماً قبل أن يفتح عينيه الزرقاوين لتنساب الدموع المتجمعة منهما أنهاراً..

رأى أمامه شخصاً يبدو قلقاً.. عيناه العسليتان كالجمر اشتعالاً لطول معاناته في إيقاظه..

قفز لذهنه فجأة مصارعته المياه في حوض الاستحمام.. بكاؤه الصامت بانتظار نادر أن يُنقذه.. داهمته تلك النوبة نفسها من البلع فتباطأت أنفاسه و..

- اهدأ.. اهدأ.. كل شيء على ما يرام.. لقد أفقت الآن ولم يعد هناك شيء سيئ كي تخشاه.

تلك الكلمات لم تفلح بالكامل في تهدئته بل وجد فارس نفسه يختنق وشهقاته تعلو..

- استرخِ.. استرخِ..

صوت نادر المألوف جعله يبتسم فجأة كالغائب وعيه..

شعر به يسحب جسده ليجلسه بالرغم عنه قبل أن يشد على كتفه ويضغط بإحدى كفيه ذقنه ليتقابل وجهاهما وتلتقي عيناه الزرقاوان بعيني نادر العسليتين وهو يقول له مشجعاً:



Scanned with CamScanner

- خذ نفساً عميقاً.. هيا خذ نفساً عميقاً.

تحت إلحاحه سحب نفساً خفيفاً فيما تابع نادر:

- أخرجه الآن.

فأخرجه بهدوء..

- رائع.. مرةً أخرى.. جيد.. هيا مرةً أخرى.. أحسنت..

ومع كل مرة كان يشعر بانخفاض ارتجافات جسده وتوقف سيل دموعه وأخذ ذاك الضباب ينقشع من أمام عينيه رويداً رويداً..

وقبل أن يستعيد صفاءه بالكامل سمع اهتزاز زجاج النافذة إثر رعد صارخ صحب الجو العاصف بالخارج.. ذلك الصوت جعله يشهق ذعراً ويتشبث بنادر بقوة.. كان خائفاً مفزوعاً.. ففي مثل هذا الجو العاصف فقد لَمى وقتلت أمام عينيه..

راح يصرخ بعفوية وكفاه تكادان تمزقان معطف نادر الطبي من شدة تشبثه به:

- لا تتركني.. ابقَ معي.. ابقَ معي أرجوك.. أنا خائف.

نظر له نادر بمزيج من الإشفاق والتأثر وقد بدا له أنه بأشد حالاته ضعفاً وتألماً.. وفي نفسه تيقن أن حادثة غرقه ليست ما أفزعه بل قد تكون أحيت صدمة قديمة.. ولعلها حادثة مقتل أخته..



Scanned with CamScanner

ولم يمنع نفسه من أن يربت على ظهره فهو لا يجيد المواساة ولكن لعل بقاءه معه قد يعيد بعضَ اتزانه..

وظل على ذلك لبعض الوقت قبل أن يقول له نادر بانفعال:

- لا بأس.. لا بأس.. أنت بخير.. وكل شيء بخير.. ولكن كُفّ عن اعتصاري رجاءً.

عبارته الأخيرة العصبية جعلت فارس ينتبه لما يفعله وعندها هدأت ملامحه..

وداهمه فجأة شعور كبير من التقزز قبل أن يتجعد وجهه و.. يفرغ ما بجوفه فوق نادر.

شهق نادر وأظلم وجهه.. لقد حذره أحمد من أعراض القرص ولكنه نسي..

- قميصي الجديد.. معطفي الطبي.. تبّـاً.. هذا مقرف..!!

تراجع للخلف بحدة فيما مسح فارس شفتيه بقبضته بتعب قبل أن ترتفع عيناه الزرقاوان لتلتقيا بتينك العسليتين وبضحكة مبتهجة:

« لقد رأيتك. »

***

« لقد رأيتك. »

لم ينتبه نادر لما كرره فارس وعيناه تكادان تبكيان قميصه ومعطفه المتسخ.. رفع كفه يُريد نفض معطفه.. ولكن.. لا..



Scanned with CamScanner

ستتسخ يده هيَ الأخرى!!..

- تبّاً.. تبّاً.. تبّاً!.

صرخ عالياً وهو ينزعها عن جسده بسرعة جنونية ليبقى فوقه تي شيرت قطني أبيض تعدت أكمامه كتفيه ببضعة سنتميترات..

طوى معطفه وقميصه وما زال هناك بعض البلل بالتي شيرت.. عليه استبداله هو الآخر..

فوجئ بالضحكات المجاورة ليلتفت بعينين تتقدّان شرّاً نحو فارس الذي سكن عينيه ابتهاج لا حدود له وهو يتفحص ويدقق بكل إنش من وجهه وكأنه يريد طبعه بمخيلته قبل أن يمنعه كعادته من النظر إليه، وبشفتين متسعين نطق:

« لقد رأيتك. »

اتسعت عينا نادر فزعاً وتوترت ملامحه.. واستعد لعنفه وثورته، ونفسه تؤنبه لفقدانه عقله فقد هرع إليه حين رآه يعاني في نومه ولم يتخذ حذره بتغطية عينيه..

ظل مرتبكاً، وتردد لثوان قبل أن يمد كفه ليغطي عينيه بشكل مفاجئ مما جعل شفتي فارس تتقوسان بإحباط..

- سأغادر أبقِ عينيك مغمضتين حتى خروجي.

قالها وعيناه تنظران بإحباط الى قناع العينين البعيد عن متناوله.. كما أنه لا يريد أن يجعل مساعدته لفارس مستحيلة إذا



Scanned with CamScanner

ما ربط عقله المضطرب بين صورته وذلك الشخص..

فيما هز فارس رأسه منزعجاً ورفع كفه ليتشبث بذراعه فهو لا يريده أن يخرج.. ولكن لم يكد يرفع كفه المتسخة حتى تركه نادر وتراجع للخلف صارخاً:

« لا تلمسني.. هذا مقزز! »

صراخه أفزع فارس لتتقلص كفه الممتدة ويرتد بجسده للخلف ثم حنى نظراته للأسفل متجنباً النظر إليه.. فيما تنهد نادر بتعب والتقط معطفه وقميصه سيخرج بالتأكيد.. وتحرك بالفعل ووقف أمام باب الحجرة وأدار المفتاح..

والتفت للخلف ليتحقق إن كان ينظر إليه ولكنه لم يرفع رأسه حتى.. كانت خصلات شعره السوداء تحجب عينيه اللتين ملأهما الحزن والانكسار..

انعقد حاجبا نادر مفكراً..

لمَ لم يهاجمه؟!.. لمَ لم يعامله بعنف؟! هو حتى لم يصبْ بنوبة هلع لرؤيته!! وكل ما يشعر به الآن قلب مكسور لأنه عامله بجفاء وانتهره..

رآه فجأة يرفع قبضته ليمسح عينيه.. (هل يبكي؟!).. استدار بجسده نحوه وقد هدأت ملامحه.. والتقط سمعه نبرته الحزينة حين نطق متسائلاً:



Scanned with CamScanner

- هل لأني مريض؟!.. هل هو معدٍ؟!

اتسعت عينا نادر لفهمه الخاطئ.. ولم يمنحه فارس الفرصة ليجيب وهو يواصل:

- أم لكوني قليل الوعي!!.. كالأطفال غبي.. أنا.. أنا مضطرب عقلي عنيف ومريض بمرض ميئوس منه لا شفاء له.

كلماته صدمت نادر بالفعل، والتي نقلت له جزءاً من معاناته النفسية مما سمعه حين دخل المتطفلون لحجرته..

- حسناً.. كونه معدياً هذا صحيح.

شهق فارس ورفع عينيه المبللتين مصدوماً ليرى نادر الذي عاد هذه المرة نحوه قائلاً:

- وهذا أكثر ما أكرهه ولا أطيق أن ينتقل إلي.

تقوست شفتا فارس واستحالت زرقة عينيه بحراً هائجاً من الدموع فقد كسر قلبه، فيما علَت شفتي نادر ابتسامة عابثة وسبابته تشير لظهر كف فارس المتسخ هامساً:

- هذا ما أعنيه.

رفع فارس قبضته ليرى ما رآه نادر فعبس بوجهه ثوانيَ.. قبل أن يمسحها في الغطاء ويرفعها قائلاً:

- إنها نظيفة الآن.

- انتهت المشكلة إذاً.



Scanned with CamScanner

هكذا وببساطة قالها لتتحول تلك الدموع لضحكات عالية وابتهاج كبير.. بل نهض فجأة عن السرير ليطوي الغطاء المتسخ كي يحفظ باقي سريره نظيفاً..

ثم هرع نحو دورة المياه ليغسل وجهه وكفيه ولكنه تجمد فجأة ثم التفت لنادر الذي ظل واقفاً قائلاً بتوسل:

- لا تذهب.

- لن أذهب..

- فقط ثانية.. لن أتأخر.

- لا بأس.. لقد أخبرتك لن أذهب.

اختفى داخل دورة المياه فقط للحظات قبل أن يرى جزءاً من رأسه يخرج ليتحقق إن كان ذهب أم لا..

- إن فعلتها مجدداً فسأذهب حقّاً.. عليك أن تثق بكلمتي.

ارتبك أمامه وسحب نفسه.. فيما أظلمت عينا نادر فهو لن يحتمل بقاء ذلك التي شرت المتسخ فوقه لوقت أطول..

وفي نفسه تساءل إن كان ذاك القرص المثبط للتفكير هو ماقلل من أوهام فارس حول كونه ليس المجرم الذي يخشاه..

- لقد انتهيت.

قالها وخرج ليقف أمامه محدقاً به وفي يده منشفة يجفف بها كفيه.



Scanned with CamScanner

- تعال معي.

سقطت المنشفة من كفي فارس غير مصدق ما سمعه.. فيما اتجه نادر نحو باب الحجرة ليفتحه وهو يقول محذراً له:

- إن صدر عنك صوت واحد فستكون كارثة لكلينا.

رفع فارس كفيه ليضغط بهما فمه ينبئه بإذعانه الشديد له، فيما تفجر في عينيه سرور وحماس لا حدود لهما جعل نادر يزفرُ متعباً فهو يفعل ذلك لأنه متيقن من أنه لن يسمح له بالمغادرة بسلام لحجرته كي يُبدل ملابسه..

فتح نادر الباب وأطل برأسه يمنةً ويسرةً في الممر إن كان أحد قد يكتشفهما.. وبمجرد تيقنه أنه آمن أشار بيده لفارس ليتبعه..

تحرك نادر ليقف أمام باب الحجرة المشتركة ودفعه ليدخل ولكن لم يدخل فارس خلفه..

توترت ملامحه وأطل برأسه للخارج ليراه يقف بمنتصف الممر وعيناه تجوبان الممر بأكمله باللوح المعلقة على جدرانه.. وأشجار الزينة المتراصة في أركانه..

كانت عيناه تتسعان وتتسعان لما يراه وكأنه جديد عليه..

- هاي.. يا فتى الكهف تعال بسرعة.

لم ينتبه فارس لمناداته ووميض لوحة الأرقام فوق المصعد تضيء تتالياً لتشد انتباهه بل وخطا نحوها ليكتشف ما يراه..



Scanned with CamScanner

شعر فجأة بقبضة تُمسك ذراعه جعلته يشهق قبل أن يجذبه صاحبها ليدفع جسده خلف باب الحجرة المشتركة ثم أغلقه عليه بالمفتاح وقد رسم ابتسامة صفراء على شفتيه وباب المصعد يُفتح..

« مرحبًا طبيب نادر. »

قالها عامل التنظيف وهو يتجه نحوه سائلاً:

- هل هناك أي خدمة قد تحتاجها في هذا القسم؟!

ومن حسن الحظ كونه لا يزال يحمل معطفه وقميصه المتسخين فرمى بهما إليه، قبل أن يتجه لحجرة فارس ليعطيه الغطاء المتسخ..

استعجل الدخول إليها وإعطاءه ليصدمه سماع طرق خفيف على الحاجز جعله يلتفت نحوه فزادت تلك الطرقات حدة.

- اششششش.

همس بها محنقًا وإصبعه يضغط على شفتيه ففارس يراه الآن بالتأكيد من خلف الحاجز ويكادُ يجنُّ سعادةً، وبالفعل سكنت تلك الطرقات فيما رمى نادر بالغطاء للرجل وراقب مغادرته للطابق قبل أن يعود للحجرة المشتركة..

امتعض وجه نادر وهو يراه ملتصقًا بجسده بأكمله بالحاجز محدقًا بحجرته، أسرع نادر ليغلق الباب بالمفتاح فهو لن يتنبأ



Scanned with CamScanner

بتصرفاته المجنونة..

« إنهـــا حجرتي.. ذلك سريري.. وتلك مائدة الطعام و.. ولقد رأيتك فيها.. لقد حملت الغطاء ورفعت أصبعك غاضباً وسمعتك تـ... »

كان يثرثر بأنفاس متلاحقة من فرط حماسه وكأنه يخبر نادر عن شيء لا يعرفه..

- نعم.. نعم.. أعلم.

أجابه نادر ببرود.

- من هنا تنظر إلي دوماً؟!

أومأ برأسه إيجاباً وإن انتبه للفظه المتفائل بكونه ينظر فقط دون أن يراقبه أو يدرسه.

- وهذا مكتبك؟!

قالها وهو يشير لمكتب نادر الملتصق بالحاجز فانعقد حاجبا نادر مستغرباً كيف علم بذلك.

تحرك فجأة ليعبث بآلة صنع القهوة ضاغطاً أزرارها الواحد تلو الآخر متمتماً: «ما هذا؟!»

لم يشعر إلا بتينك الكفين اللتين سحبتاه بعيداً والماء المغلي يندفع من فوهة الآلة متصاعداً منه البخار..

- كادت تُحرقك أيها الغبي.. لا تلمس شيئاً دون إذن مني.



Scanned with CamScanner

هل كان حقّاً ينتظر منه أن يطيعه كالسابق؟!.. فبمجرد إطباقه لشفتيه تحرك فارس ليرتمي فوق الأريكة الوثيرة صارخاً بسعادة..

زاد إحباطه وتعبه أضعافاً مضاعفة وتمنى انشغاله بما يفعله الآن وهو يقول آمراً:

- ابقَ هنا حتى أدخل حجرتي وأستبدل ملابسي..

لم يكن قد أتم حديثه بعد حين انتبه فارس لسبابته المشيرة لحجرة نومه لينهض ويدخلها قبله.. سمع صراخه بسعادة وانبهار فتجهم وجهه.. سيعاقب نفسه لاحقاً لإخراجه..

لحق به ليجده ملتصقاً بالنافذة الزجاجية التي ملأت حائط بأكمله ينظر للخارج وقد سكنت حركته..

- لا تلتصق بها.. قد تنكسر وتتأذى.

صرخ بها نادر بحزم جعل فارس يهز رأسه طاعةً له وابتعد قليلاً عنها.. فيما تحرك نادر نحو خزانته وأخرج منها ملابس جديدة له..

نزع التي شرت واتجه لدورة المياه ليغسل نفسه وهو يقول له محذراً:

- فقط دقيقتين.. لا تلمس شيئاً أو تعبث به وإلا... أعدتك لحجرتك.



Scanned with CamScanner

التفت فارس نحوه لتظهر عيناه اللتان علقت بعض الدموع بهما مما جعله يتجه نحوه مستنكراً:

- ما الأمر؟!.. ألست سعيداً؟!

- أنا.. أنا.. لا أعلم.. أنا سعيد.. سعيد جداً.. لا أريد ذلك ولكنها تخرج بالرغم عني.

وانحنى للأسفل جالساً وقد تتابعت الدموع من عينيه.. كان قلبه يرجف من شدة الحماس وقد شق وجهه المشبع بالدموع ابتسامة كانت هي الأكثر تعبيراً عن بهجته.

ارتخت ملامح نادر ولم يدرِ كيف يتعامل معه في هذه اللحظة.. ولكن ذاك المس من السعادة والجنون الذي أصابه شعر به يهز شيئاً في أعماقه ليبتسم تعاطفاً..

سحب نفسه لدورة المياه فشيء صغير كهذا أسعده.. الآن هو ليس نادماً على إخراجه إطلاقاً.

فيما غالب فارس نفسه الباكية ثوانيَ قبل أن يقترب من الزجاج:

- صورة الخارج من هنا أجمل من صورتها من نافذة حجرتي.

همس بها وعيناه تعانقان السماء السوداء التي ظلت تمطر.. ولحسن حظه فقد توقفت العاصفة وقد كان هو يحب المطر كثيراً..



Scanned with CamScanner

ضحك ويده تلامس قطرات سائرة على زجاج النافذة..

رأى أنوار المدينة.. شوارعها المكتظة بالسيارات.. والناس المتحركين في كل اتجاه وقد اعتلت رؤوسهم مظلات بمختلف الألوان..

رأى من بعيد أضواء دولاب هوائي يدور وسط مدينة الألعاب.. وابتسم وهو يذكر أنه نفسه الذي ركبه مع لَمى ومايا مرة..

انتقلت عيناه ليرى تلك الآلة المتحركة بسرعة فظيعة.. توسعت شفتاه لتذكره لها..

- إنها الأرجوحة الدوارة.. لقد ركبتها أنا ومايا.. ماما وبابا خافا من ركوبها..

تذكر نزوله منها وقد كان يضحك ومايا تدّعي القوة أمامه ولكن ساقيها المهتزتين خوفاً قد فضحتاها..

ضحك بشدة كالسابق ولم تلبث بغتة أن استحالت ضحكته لبكاء شديد..

« أريد أن أخرج.. أريد أن أخرج.. أريد أن أذهب هنا.. وهناك.. وأيضاً هناك.. »

حاول تمالك نفسه قبل خروج نادر.. غالب بكاءه بشدة ولكنه يرغب بالخروج حقّاً.. رفع قبضتيه ليمسح عينيه..

لا يريده أن يغضب منه فقد سأله قبل قليل إن لم يكن سعيداً..



Scanned with CamScanner

رفع بصـره بغتة باتجاه دورة المياه ليجده يقف والمنشـفة على رأســه.. كان محدقاً به طوال الوقت مراقباً لبكائه فقد اسـتعجل بخروجه فهو لن يثق به فلا أحد يتنبأ بتصرفاته بسبب مرضه..

ارتبك للحظة وهو يرى نادر لا يزال متجمداً فقال بسرعة:

- ما زلتُ سعيداً.. إنها فقط..

- لا بأس.. أنا لم أسألك.

مط شـفتيه ثوانيَ بضـيق قبل أن يلمح هاتف نادر فوق المنضدة.. صرخ بسعادة وهرع نحوه ليأخذه..

و..

لم يتحرك نادر!!.. لم يمنعه!!.. أخذ فقط يرتدي قميصـاً جديداً بهدوء وفارس يُقلب الهاتف بين كفيه:

- نسخة جديدة.. إنه رائـــع.

وراح يلمس مفتاح قفل شاشته ثوانيَ قبل أن يمد به لنادر قائلاً بأدب:

- افتحه لي.

- حسناً..

وتحركت أصـابعه لتفتح رمز القفل وعقله يسـتجديه أن يعود لوعيه.. ثم مد به لفارس الذي ارتمى فوق سريره وأصابعه تقلب محتويات الهاتف من تطبيقات وبرامج وصور متنوعة..



Scanned with CamScanner

- إنه جديد.. لا يُشبه هاتفي قديماً.

قالها فارس فجأة مندهشـاً فهو لا يحوي أي شـيء مما اعتاد عليه قبل تسع سنوات.

- توجد به اللعبة التي طلبتها.

- حقّاً؟!

صاح بلهفة وهو يبحث عنها.. ووجدها.. وبدأ يلعب بها.. أيُّ نعيم الذي يعيشه الآن!!.. أيُّ سعادة قد تتسع لما يشعر به!!

وجد نفسه فجأة يندفع معانقاً لنادر وشفتاه تنطقان صراخاً:

- شكراً.. شكراً.. شكراً.

- هاي.. ابتعد لقد اغتسلتُ للتو.

- كلا.. أنا نظيف.

انعقد حاجبا نادر غضباً ولكن سرعان ما تحرك فارس للخلف وقد امتلأ وجهه بحزم وعزيمة صادقة ليقول:

- لقد قررت.

- قررت؟!.. قررت ماذا؟

- أن أزوجك أختي مايا.

أطبق نادر شـفتيه ثوانيَ لقراره الغريب.. وإن كانت مسـخ الموضـة أخته فهو لا يريدها.. ولكن ملامحه التي مُلئت حماسـاً



Scanned with CamScanner

جعلته يضحك قائلاً:

- أنت لم تأخذ رأيي حتى!!.

- ستوافق بالتأكيد.

- وما مصدر ثقتك هذا؟!

- لأنك.. لأنك..

وصـمت وقد بدا عليه التفكير.. وانزعج لعدم قدرته على الإجابة فقال نادر:

- حسناً.. ولكنْ لدي شرط: سيكون ذلك دون أن أدفع قرشاً واحداً.

- أنا سأتكفل بكل شيء.

صاح بعبارته بحماس..

- وأنا راضٍ بذلك.. والدي.

قالها وضـحك.. فيما ضـحك فارس هو الآخر لوصـفه له بوالده..

ثوانٍ فقط حتى ارتسمت جدية شديدة بوجه نادر قبل أن يربت على كتف فارس ليجلس أمامه ولأول مرة يتنبه لتينك العينين.. كانتا صافيتين بريئتين تكشفان ما خلف قلب صاحبهما كالزجاج تماماً..

- هل كُنتَ أحمق لتصدق أولئك الأغبياء بكونك طفلاً وقليل



Scanned with CamScanner

الوعي؟

عاد الحزن ليعلو وجه فارس فيما تابع نادر بحدة:

- إن أخبرك الآخرون أنك ناقص فستصدقهم فحسب!!.. لا تكن هكذا.. لقد أخبرتك: مرضك لا يُصاب به سوى الأذكياء.. وأنا هو المسؤول عن علاجك وليسوا هم.. ومن خلال وجودي معك علمت أنك لست قليل الوعي.. تحتاجُ فقط للتواصل بسبب انقطاعك لتسع سنوات كي تكون بمستوى من هم بعمرك.. وأكاد أُقسم أنك خلال أقل من عامين ستتجاوزهم.

- هل سأكون شخصاً طبيعيّاً كالآخرين؟!

- لا تسأل.. أنت بالفعل بإذن الله ستكون كذلك بل وأفضل من كثير منهم.

- وكوني مضطرباً عقليّاً؟!.. هل سينادونني مجنون؟

- حتى الأصحاء ينادونهم أحياناً بالجنون.. إن صدر منك تصرف غريب فعندها قد يفعلون ذلك.

- لهذا أنت لن تستطيع إخراجي.. تصرفاتي الغريبة ستُصعب عليك التعامل معي وسط الناس.. لقد سمعتهم يقولون ذلك.

- لا تُقرر عني.

صمت فارس ونظر لعيني نادر الغاضبتين وهو يتابع:

- سأخرجك.. وكيف أتعامل معك في الخارج هي مسئوليتي



Scanned with CamScanner

أنا وليست مسئوليتك.. أريدك أن تركز خلال الأيام القادمة على مسألة تعافيك من المرض واتباع إرشاداتي مهما كانت صعبة عليك.

نظرته الحازمة جعلت فارس يومئ برأسه موافقاً ولكن ما لبث أن قال بيأس:

- ولكنهم قالوا إن مرضي لا يُشفى.

- ألست تنظر إليّ الآن دون أن يُصيبك اضطراب العقل أو تكون عنيفاً؟!!

اتسعت عينا فارس لهذه الحقيقة فيما قال نادر بانفعال:

- ذلك القرص الذي ابتلعته هو مثبط للهلوسة ولكنْ له أضرار أخرى.. ولكن ما سأمنحك إياه من الغد سيكون الأقراص الخاصة بمرضك سيكون لها أعراض جانبية أخرى ولكن عليك احتمالها مهما كان..

- إذاً بمجرد زوال أثر هذا القرص سيعود لي المرض.

« نعم. »

أجابه نادر بكل صدق لترتخي ملامحه حزناً وخوفاً.. فهو يريد رؤيته دوماً.. ولن يحتمل مسألة نسيانه أو معاملته بعنف.

- ثم هل فقدت عقلك لتلتقط أي شيء من فوق المنضدة وتبتلعه كالأبله؟!



Scanned with CamScanner

ارتفع حاجبا فارس وتردد قبل أن يسأله:

- ألست أنت من وضعه لي؟!.. ظننتك تحاول علاجي لأنك طبيبي.

شحب وجه نادر واتسعت عيناه عن آخرهما.. فابتلاعه له كان من دافع ثقته به إذاً..

تأمل وجهه المستنكر والمتسائل.. رأى تحديقه به.. هل يخبره؟!.. يخبره أن هناك من يسعى لإيذائه!!.. لإفقاده عقله!!.. لقتله لو لزم الأمر بعد أن يحصلوا على ميراثه..

بالتأكيد لم يفعل.. ولن يفعل.. فهي مسألة خاصة بالكبار والبالغين عليه أن يتولاها وعلى فارس فقط أن يركز على مسألة تعافيه.

- أتعلم.. غرقك في حوض الاستحمام.. إنها المرةُ الأولى التي أرى فيها شخصاً يحدث له ذلك.

قالها وهو يحرك رأسه ساخراً من فارس الذي احمر وجهه حرجاً، فيما ضحك نادر عليه.

- شكراً لأنك أخرجتني منه.

دُهش نادر من رده المفاجئ وهو يراه يبتسم بلطف له وقد كان ممتناً بحق.

وابتسم نادر بدوره.. فيما انبطح فارس فوق السرير قبل أن



Scanned with CamScanner

يحرك ذراعيه فوقه كمن يسبح.. كان ليناً ووثيراً مقارنةً بسريره.. ولم يتردد لحظه ليرفع رأسه قائلاً:

- بادلني بسريرك.

- حقّاً؟!!.. بعد تقيئك على سريرك.

- سأنظفه لك.

- نظفه لنفسك.

قالها نادر بغيظ وهو ينهض.. ويثق في الوقت ذاته أنه لن يصادف طوال حياته من سيطلب منه مثل هذا الطلب الغريب.

فيما لم يتضايق فارس إطلاقاً وهو يعود للهاتف لمواصلة لعبه.. كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة فجراً وقد أدرك نادر أن على فارس العودة لحجرته.

وكان سينطق حين قفز فارس واقفاً ليتجه نحوه ثم وقف إلى جواره وراح يسأله عن تلك التطبيقات الجديدة عليه..

بدأ نادر يشرح له بعضها وقد رآه يتجاوب معه بشكل جيد وتواصله وتفاعله لا يشوبهما مشكلة.. فقط صعوبة النطق ما زالت ملازمة له قليلاً.. كما أنه أشبه في تصرفاته بطفل في التاسعة من مراهق في السابعة عشرة من عمره..

(يستحيل أن يكون من قتلها).. تمتمت بها نفسه وهو يرى ابتسامته النقية المتحمسة.. أراد أن يسأله ولكن ذلك سيؤذيه..



Scanned with CamScanner

سيؤجل ذلك حتى يتحسن قليلاً من مرضه..

- متى سيكون لي مثلها؟

سأل فارس فجأة بشيء من الغيرة مما جعل نادر يعقد حاجبيه مستفهماً، فأشار فارس لفكَّيْه اللذين غطتهما شعيرات خفيفة زادت من وسامته ومن مظهره الرجولي.

- ذلك ليس من ضمن عملي ولكن سنبحث عن حل معاً.

قالها ساخراً وكأنها مشكلة كبيرة ولكن تلك الإجابة لم تُرضِ فارس الذي ظل ينظر إليه..

- حسناً.. سمعت أن كثرة البكاء والدموع تؤخر ظهورها.

مجدداً يسخر ويكذب.. ولكن فارس أخذ عبارته على محمل الجد.. ليقول فجأة بقلة حيلة:

- أريد ذلك دوماً.. أريد التوقف عن البكاء ولكن لا أستطيع.. لقد أخبرتني مايا مرةً أن الرجال لا يبكون وأنا حاولت طوال السنوات الماضية و..

قاطعه نادر حين لاحظ أنه قد تهور فالبكاء هو أحد أعراض مرض الاكتئاب.. سواء كانوا رجالاً أو نساءً.. كباراً أو صغار سن.. ليس لهم سيطرة على دموعهم ومشاعرهم السلبية بل هيَ تُنفس عنهم بعضَ ما يعانونه.. ولم يملك فارس شيئاً في هذا السجن سواها ليخفف عنه من كآبته:



Scanned with CamScanner

- كُنتُ أمزح فقط.. ابكِ كما تشـاء ولكن لا تبكِ إلا أمامي فقط.

ارتفع حاجبا فارس تعجباً فيما فسّر نادر:

- لا تغالب نفسـك أمامي.. افعلها دوماً فأنا طبيبك قبل كل شيء.. وهذا عملي.. وسيأتي الوقت الذي لن تذرف فيه دموعاً حتى لو أردت وذلك حين تتعافى.

ثم أشار لفكيه مضيفاً برفق:

- حين تكبر وتكون بعمري سيظهر عندها لك مثلها.

فتح فارس شفتيه لينطق بشيء ولكن ظهر فجأة صوت غريب معهما بالحجرة كجرس أو تنبيه جعل كل حواس فارس تنتبه وتتحمس للحاسـوب المفتوح والذي لم ينتبه له سـابقاً، وكان سيتحرك نحوه حين رأى نادر يسبقه ليطبقه قائلاً بحدة:

- كلا!

ظهرت لهفة بعينيه الزرقاوين ولكن نادر أخذه وفتح أحد أدراج خزانته ليضعه فيه ثم أغلق عليه وسحب المفتاح.

لم يفهم فارس سر رفضه.. فهو مليء بصور الجثث والقتلى التي قد تؤذيه، وتلك الرسـالة قد تكون من المحقق أيمن فهو قد طلب منه أن يُرسـل صـوراً لملف قضـية فارس وقد وعده بحل ثلاث قضايا مجاناً ثمناً لخدمته.



Scanned with CamScanner

بدا كطفل صغير وهو يعبس ويمد يده نحوه:

- أُريد رؤيته.. لن أُحطمه.. ولن أعبث به.

- لا.

- فقط دقائق واسترجعه.

- لا.. يعني لا.

- أرجووووك.

- لا تُرهق نفسك.. كلا!

- نادر.. فقط ثوانٍ و..

كانت المرةَ الأولى التي ينطق فيها باسم نادر.. وجهه الذي احمر.. كفه الممدودة.. عيناه المستعطفتان.. كاد يفقد نفسه بحق ويعطيه ولكن لِمَ هو مُلح بهذا الشكل العنيف؟!

حرك نادر رأسه رافضاً وتجاوزه بمشيه ليسحب الفراش المغطي لسريره فهو سيكون غطاءه على الأريكة بعد فقدانه لخاصته.. واستدار ليُعيد فارس لحجرته ليصدمه جلوسه على الأرض وقد ضم ركبتيه لصدره مقاوماً حزنه فقال بانزعاج:

- هاي.. لا تكن لحوحاً ومزعجاً إلى هذا الحد..

- يمكنني مكالمة مايا ورؤيتها.. عبر المسنجر.. أنا أعرف رمزها كانت تكلمني دوماً.

ارتفع حاجبا نادر حين أدرك سر إلحاحه ورغبته المجنونة



Scanned with CamScanner

باستخدامه، كانت فرصة جيدة ليتواصل معها.. ولكن هو لا يثق بها.. لقد رآها في شركة ذلك الجشع فاضل.. فلو كانت مهتمة بفارس فلمَ لم تسأل عنه أو تزره وتخلصه مما هو فيه؟!

قرر مواصلة رفضه حين رأى حاجبي فارس ينعقدان فجأة بألم وكفيه تضغطان معدته..

- ما بك؟!

- تؤلمني.. تؤلمني بشدة.

انفلت أنين توجع من بين شفتيه وعلم نادر أنها من آثار القرص..

ساعده لينهض وأرقده على سريره ليراه يتكوم ويتلوى على نفسه وقد كان الألم عنيفاً وكأنه يمزق أحشاءه.. وتردد نادر ثوانيَ أمام ما فكر به ولكن صوت تألمه جعله يسحب حقنة ليقترب منه هامساً:

- ستساعدك هذه الحقنة على النوم إلى أن تنتهي نوبة الألم.

لم يُجبه فارس فقد كان مشغولاً بمصارعة ألمه حين شعر به يُرخي ياقة قميصه الأخضر ليغرس نصل الحقنة في كتفه وفي هذه المرة لمح نادر جزعاً في عينيه.. لم يكن يريد النوم والنهوض ليجد ما هو فيه من نعيم قد اختفى فزاد نشيجه الباكي حدة دون أن يعلم نادر ما يفكر به.



Scanned with CamScanner

رفع كفه ليتشبث بطرف قميص نادر متمنياً أن تحتفظ كفه بقوتها حتى بعد نومه ليصحو وهو لا يزال يقيده كي لا يرحل..

انحنت أجفانه على عينيه الدامعتين وغالبها لثوانٍ قبل أن تُغلق ويغرق في نومه، أزاح نادر كفه عن قميصه برفق وظل يتأمل سكونه ثوانيَ قبل أن ينهض..

دقائق فقط وكان جسد فارس يسترخي فوق سريره وسط حجرته المملة بعد أن نقله نادر إليها.. غطاه بالغطاء.. ولمحت عيناه كراس الرسم أسفل الوسادة..

سحبه وجلس على طرف السرير وقد غلبه فضوله ليرى أولى رسوماته.. كانت لقصر كبير جداً إلى جواره بحيرة لامعة ويقف أمام القصر خمسة أفراد..

رجل بملامح وقور يقف بالمنتصف وعن يمينه امرأة متعلقة بذراعه وقد كانت جميلة.. خمن نادر أنها والدة فارس وإلى جوارها طفلة في الرابعة تحمل دمية بين ذراعيها والمرأة تضع كفها الأخرى على شعرها مداعبة لها وتبتسم بحب..

تلك الفتاة الصغيرة كانت عيناها تنظران للشخصين على يسار الرجل.. كان طفل في السابعة من عمره عرَف نادر على الفور أنه فارس.. كان مبتسماً بتكلف ويد الرجل فوق رأسه وإلى جواره وقفت فتاة في السادسة عشرة من عمرها تربت بكفها على كتف



Scanned with CamScanner

فارس وقد تعلقت عيناها به بحب.

لم تبدُ تلك الرسمة من وحي خياله، بدا وكأنه قد نسخها عن صورة فوتوغرافية حقيقية علقت بذاكرته قبل تسع سنوات من فراقه لأسرته..

من تلك الصورة فقط همس نادر باهتمام:

- علاقة المرأة قوية بطفلتها وزوجها.. ولكن اهتمامها أقل بطفلها فارس.. الرجل على علاقة جيدة بالجميع لأنه بالمنتصف.. يد الشابة القابضة على كتف فارس وكأنها تدعمه أو تخبره بأنها موجودة معه أو.. هل هي تواسيه؟!

صمت ليتنبه لتلك النظرة الجانبية من فارس لأمه وكأنه حزين لتجاهلها له!

- تلك الفتاة الصغيرة معلّقة عينيها بفارس.. هيَ تحبه.. ولكن لعلّ اهتمام المرأة بها أثار غيرة فارس ولم يهتم لها وإلا لكان من الطبيعي أن يقف الأطفال في الصور متجاورين.

أدار بصره لفارس النائم ناظراً إليه.. كانت أنفاسه تخرج بصوت متعب وقد تفرقت خصلات شعره السوداء فوق جبينه:

- ما الذي كنت تُعانيه مع هذه المرأة قبل أن تُصاب بالمرض لحد أن تحفظ تلك الصورة بكل تفاصيلها الدقيقة؟!

حمل سؤاله اهتماماً وتعاطفاً شديدين.. فكلما اقترب منه



Scanned with CamScanner

ومن ماضيه لم يجد إلا فتىً عانى بأشد مما عاناه هو بكل سنواته.

تنهد وهو يقلب صفحات الكراس لتتسع عيناه بصدمة وهو يحدق برسم دقيق ومتقن لذراعه اليمنى وساعته الضخمة الملتفة حولها بل إن جزءاً من ندبته قد ظهر..

- ما هذا؟!

قلب الصفحة ليجد رسماً لظل يساويه بالطول.. تلاها رسم لوجه نادر فوق المرآة المحطمة والتي لم تكن واضحة تلك الليلة لفارس.. فقط جزء من عينيه العسليتين.. شعره الكستنائي.. حاجباه المعقودان..

وإلى جوار الرسم خطت أنامل فارس كلمات جعلت وجه نادر يكسوه تأثر شديد:

(نادر شخص جيد)

(نادر ليس سيئاً)

(نادر ليس المجرم)

(نادر هو طبيبي)

(لا أُريد أن أنساه)

اتسعت عينا نادر إلى آخرهما وخمن أن فارس كان يغالب عقله بعد أن علم بأن مرضه لا شفاء له فحاول جاهداً برسم نادر تثبيته في ذاكرته..



Scanned with CamScanner

- لعلّ هذا ما جعله لا يكون عنيفاً ولم يفزع حين رآني.

قالها نادر بصـــدمة وعيناه معلقتان بذلك الصـــغير الذي ظل نائماً بهدوء فيما تســـللت تلك الكلمات المكتوبة عنه ببراءة إلى قلبه لتخط عليه أثراً جعل عينيه يغشاهما دفء مفاجئ..

***



Scanned with CamScanner

# الفصل الحادي عشر

« أنت تمزح. »

صـــدح صـــوت المحقق أيمن الغاضـــب في ســـماعة الرأس الموضـــوعة على رأس نادر، إلا أن تلك الصـــيحة لم تغير من نبرة نادر الحازمة وهو يجيبه:

- أنت الأحمق.. من يمنح الآخرين مطالبهم قبل أن يدفعوا الثمن؟!

- لقد وعدتني بحل ثلاث قضـــايا.. تحلّ أيها الوغد ببعض الأخلاق.

- وهل كنت تملك أخلاقًا حين سربت ملف القضية إلي؟!

- وكأنك لست السبب؟!

- أرســل لي الملف مكتملاً.. أو توقف!! فماذا ســأســتفيد من تقرير دون صور للجريمة؟!

- نادر ولكن هذه القضـــية قد أُغلقت مُنذُ ثمانِي ســـنوات.. توقف عن نبش الماضي.

- حسنًا.. حظًا موفقًا فيما تبقى من قضاياك.

- تبًا لك.. انتظر.



Scanned with CamScanner

دقائق فقط وأُضيف لذلك التقرير عشرات من الصور لجريمة مقتل لَمى جعلت ملامح نادر تبتسم برضا..

- هاه.. هل انتهينا الآن؟!

قالها أيمن بحدة محاولاً إنهاء هذه المكالمة المشحونة.

- كلا.. ستشاركني التحليل.

- نادر.. هل تعلم أنها الساعة الرابعة والنصف فجراً!.. قد تستيقظ زوجتي في أي دقيقة وأنا مغلق على نفسي الباب وكأني أرتكب جريمة ستجعلها تشك بي.

- إنها مشكلتك كون زوجتك لا تثق بك.

- سحقاً.

بدأ نادر باستعراض تلك الصور عبر النصف الأيمن من شاشة الحاسوب بينما صورة محدثه أيمن تظهر على الجانب الأيسر منها.. حدق أيمن بتململ بعيني نادر المركزتين على صورة الدماء الملوثة للسرير قبل أن يسأله نادر:

- أين الجثة؟

- ستجدها في الصورة الخامسة.

فتحها نادر لتتسع عيناه وترتخي ملامحه من منظر الجثة الممزقة فوق السرير لفتاة بالخامسة من عمرها.. انقبض قلبه بشدة وانعقد حاجباه فهو في حياته لم يرَ أبشع منها..



Scanned with CamScanner

ودون أن يعي انتقلت عيناه لينظر لفارس النائم غير مصدق أنه قد قتل أخته بمثل هذه البشاعة؟!.. بل وجوده في وسط مشهد بشع كهذا كيف احتمله قلبه؟!

- أخبرتك يا نادر أنها جريمة شنيعة هزت العاصمة منذ أكثر من ثماني سنوات ولم يتكرر مثلها؟!

تجاهل نادر تعليقه وهو يُكبر الصورة ليدقق النظر في.. قلبها الممزق المكشوف.. رئتها المثقوبة.. بطنها الذي خرجت منه بعض الأمعاء..

- سحقاً.. وبؤساً!!.

تمتم بها نادر بنبرة عصبية مشمئزة فانعقد حاجبا أيمن فهي المرةُ الأولى التي يُظهر بها بعض التأثر، فقال بشيء من الحزن:

- ذاك الطفل القاتل.. لم يرحمها لقد مزق جسدها وكأنه يُمزق دُمية.. ذلك المريض جعل والديها يقاسيان الويلات وأعينهما ترى جثة طفلتهما.. ومن حسن الحظ أنه مات قبل أن يؤذيهـ..

- اخرس.

أطبق أيمن شفتيه بصدمة فيما تابع نادر تفحص الصور مضيفاً بحدة:

- أنت تشتتني بثرثرتك.. ثم لا تتحدث عن الطفل بسوء



Scanned with CamScanner

وكأنك رأيت ما حدث.

لم يفهم أيمن.. هل هو يوبخه لأنه أزعجه؟!.. أم أنه يُدافع عن الطفل القاتل الميت؟!

- يا إلهي!.. كُنتُ أثق بأنه من المستحيل أن يكون من قتلها.

عبارة نادر الغريبة شدت أيمن ليسأل بفضول:

- ماذا؟!.. ماذا لاحظت؟!

- انظر لخط الدماء المقذوف من جسد الفتاة أثناء تمزيق جسدها.. جميعه يتجه إلى الجانب الأيمن من السرير ومن ذراع الفتاة.

- وماذا في ذلك؟!

- القاتل يستخدم يمناه.. وفارس يستخدم اليسرى.

شهق أيمن لهذه المعلومة.. ولكن لحظة: التقرير لا يحوي معلومة توضح أن فارس يستعمل يده اليسرى..

- نادر.. كيف عرفت..؟!

- انظر لعنقها.

صُرف ذهنه بالكامل ليحدق بعنق لَمى الممزق ومرت دقيقة ولكن لم يلحظ شيئاً.. وحين زفر لفشله قال نادر بانفعال:

- عظام عنقها محطمة.



Scanned with CamScanner

- اللعنة.. هذا صحيح.

- بل ولا يوجد دماء متدفقة على الوسادة من عنقها.. وهذا دليل على توقف قلبها قبل تمزيق عنقها.. أي أن موتها كان ناتجاً عن خنقها وتحطيم عنقها وليس طعنها بالمشرط.

- بل يستحيل يانادر لطفل بالثامنة أن يكون قادراً على تحطيم عنقها.

- القاتل شخص بالغ.

- تبّاً!.. من يكون؟!

حرك نادر الصور ليشير إلى فردتين من الحذاء الوردي مصفوفتين إلى جوار السرير ثم قال:

- تلك الفتاة لم تُدخل مرغمة إلى حجرة أخيها بل طواعية وليس كما قيل في التقرير بأنه جرها إلى حجرته، فلو كانت مجبرة لم تكن ليكون معها حذاء.. كما أنه لو أراد قتلها لم يكن ليجد الوقت لترتيب حذائها.. وهذه الطريقة من التنظيم تخص الإناث أكثر.. لقد وضعت بنفسها حذاءها أسفل السرير.

- نادر أنت دقيق الملاحظة.

- بل وانظر لهذه الصورة.. الدماء المتناثرة من جسد الضحية أثناء تمزيقها كانت تصطدم بالأرضية في الأسفل والحائط.. ولكن هناك بقعة في منتصفها لم تلوثها الدماء بل وتظهر كما لو أنها



Scanned with CamScanner

مقطوعة.

- قد يكون هناك شيء يقف عائقاً أمامها.

- جسد الطفل فارس.

- تبّاً!!.. هل كان يشاهد مقتل أخته وتمزيق جسدها أمامه؟

- بل وارتطمت الدماء به.

- يا للمسكين!.

- انظر للأسفل لآثار حذائه المتسخ بالدماء.. يبدو وكأنه ركض باتجاه القاتل وقد يكون اشتبك معه..

وصمت لثوانٍ حين وقعت عيناه على مضرب البيسبول الساقط على الأرض وقد التصق بأعلاه بقعة من الدماء.. قرّب الصورة ليرى نقش (Maya) على سطح المضرب.. هو هدية من مايا لفارس..

- لقد استخدم المضرب لضرب الرجل.

قالها نادر بثقة فلو كان استخدمه لضرب لَمى لكان المضرب بأكمله متسخاً بدمائها..

- ولكن يا نادر.. لا أفهم.. التقرير يُظهر أنه من قتلها.

- هو محضُ هراء.. بل ما سجل عن عدم فهم الأطباء النفسيين لسبب إيذائه لرأسه وفقدانه للوعي غباء.. انظر لإفريز النافذة ستجد دماء تخط من أعلاه لأسفل الحائط لم يكن هو من آذى

Scanned with CamScanner

نفســـه، لقد تم حمل الطفل فارس ودك مؤخرة رأســه في إفريز النافذة مما ســبب إصــابة رأســه وتدفق الدماء منه ففقد الوعي لينهض وهو مصاب بمرضه النفسي..

- يا للفتى المسكين!!.. من الجيد موته فكيف سيحتمل طفل صغير أن يعيش بعد مقاساته لهذه الجريمة الشنيعة أمام عينيه؟.

شــعر نادر وكأن ذاك الضــباب الذي يمنع عنه فهم فارس قد انقشــع كله.. الآن علم لمَ ينســب فارس مقتل أخته لنفســه.. لأنها قُتلت في حجرته ولم يستطع حمايتها..

بل ماذا لو علم أيمن أن فارس حي!.. ويعيش في ســجن من صنع المجرم الذي لم يكف عن التلاعب به والوجود حوله لتسع سنوات بل ولا يزال فارس يقاسي عنفه وضربه ويجبره على رؤية هذه الجثة الممزقة لأخته..

(فارس أســوأ حظّاً من أخته الميتة فهو لم يخرج من ذاك العذاب أبداً.).

حدق به نادر النظر مطولاً.. تذكر ســعادته المبالغ بها لإخراجه من الحجرة فقط.. بكــاءه إلى جوار النــافــذة هــامســاً برغبتــه بالخروج.. معانقته الشــديدة له وصــياحه بشــكره امتناناً لهذه الأشياء الصغيرة التي لا تُعدُّ شيئاً مفرحاً لمن هم بعمره.

تذكر بكاءه وتشبثه به حين صدح الرعد وصراخه بأنه خائف..



Scanned with CamScanner

فتلك الصور جميعها كان يظهر من نافذتها صور الأمطار بالخارج وهذا يعني ارتباط ذلك الجو العاصف بالجريمة في عقل فارس.

ارتخت أجفان نادر وظهر تأثره وتعاطفه معه و..

« إنها المرةُ الأولى التي تُظهر فيها مثل هذا الوجه. »

هذه العبارة أثارت استياء نادر بالكامل ليستعيد بروده وهو يبتسم بخبث قائلاً:

- لن أُظهر لك هذا الوجه أبداً وخاصةً بعد قليل.. والآن ما اسم المحقق الذي كُلّف بهذه القضية؟

شهق أيمن ثم احتدت نظراته فهذا محظور في سلك التحقيقات:

- كلا.. يكفيك ما منحته لك من ملفات..

- حقّاً؟.. أسعدني التعرف عليك.. وداعاً..

- أنت توقف عن كونك وضيعاً مبتزّاً.. لقد وعدت بحل القضايا التي أرسلتها لك.

- أنت من تؤخر حلها.. كف عن المماطلة وهذا هو آخر طلب مني.

تردد أيمن ثوانيَ قبل أن يفتح التقرير ليمتقع وجهه بالكامل.. ويبدو أنه كان مصدوماً بالفعل ليجيبه:

- نادر.. المحقق في هذه القضية هو رئيس المحققين حاليّاً..



Scanned with CamScanner

إنه شخص سيئ وفاسد.. إن علم بما سربتُ إليك فسأطرد وإن تدخلت أنت بقضيته فلتودع حياتك.

التقى حاجبا نادر بشدة.. وبحق كلما تعمق بماضي فارس ازدادت الأمور تعقيداً وخطورة..

***

- ٨ يونيو، ٥ مساءً -

(شوكة طعام معدنية استحال لون أسنانها أحمراً قانياً..

وتقاطر من بين فراغاتها دماء رطبة لترتطم بأرضية صالة الطعام بالمدرسة الثانوية..

صراخ فتيات مفزوعات.. تدافع فتيان من كل مكان.. تساقط أطباق الطعام على الأرض بفوضوية..

شهقات متألمة.. فتىً يبكي وكفه تقبض على كتفه الممزق..

وعادت تلك الشوكة لتدك كتفه مجدداً وإن قصدت عنقه و..)

- اخرس.. ما كل هذا الخوف؟!

- أخبرتك يا سالم.. حين حان وقت نوبتي وجئت كان نادر مرهقاً للغاية.. وأُقسم أن كل ذرة من جسدي ارتجفت خوفاً من منظر وجهه.. كان مظلماً ونظراته شرسة.. أنا لم أستطع حتى التفوه بحرف والتصقتُ بمكتبي فيما رمى هو بنفسه فوق الأريكة وغرق بنومه.



Scanned with CamScanner

- إذاً لم يمتدحني أو يعبر عن امتنانه لي لما قدمته له ليلة البارحة؟.

- لا أظن وجهه كان كمن يحمل امتناناً لأحد.

- تبّاً.. ظننت أنه بحلول الصباح سيكون أقل إرهاقاً بسبب هدوء الفتـ..

- سالم أتوسل إليك اخفض صوتك أو غادر.. فأنا لا أريده أن يستيقظ ويصب جام غضبه عليّ بدلاً منك فأنت رئيس الأطباء وأنا مجرد طبيب مسكين..

- سحقاً.. أين فخرك السابق بنفسك يا ياسر؟

- غادر منذ أن ارتبط قدري بهذا الشخص.

ظل ياسر وسالم يتهامسان دون علمهما أنهما بصوتهما قد ساعدا نادر ليفيق من حلم ارتبط بذكرى ماضية بالكاد نسيها..

كان مستلقِياً على الأريكة ووجهه محشور ببطنها لذا لم يدركا فتحه لعينيه الناعستين واللتين كساهما ظلام حقيقي لوجود سالم معه بالحجرة، والأسوأ هو يسأل إن كان ممتنّاً له بسبب القرص الذي منحه لفارس والذي منحه ليلة عصيبة..

- هاي.. ياسر.. أنا لن أتدخل مجدداً بهذا الفتى.

قالها سالم مستسلماً ليرد عليه ياسر بثورة:

- ومنذُ متى أخبرتك أن تتدخل؟.. لقد قلتُ لك إنه مرهق من



Scanned with CamScanner

الاعتناء به، ولكن هو لا يحب أن يتدخل أحد بعمله ولا يثق إلا بنفسه لذا من الأفضل أن تبتعد عنه ولا تجعل أيامي عصيبة فبالكاد لَان لي قليلاً ومنحني بعضَ وقته لأن مصلحته مرتبطة بي.

- يا لك من مسكين!.

مع هذه العبارة الرائية تهدج صوت ياسر وهو يبثه بعض حزنه:

- أنا لم أحظَ بصديق جيد منذ دخولي المستشفى.. حتى الأطباء السابقون فقط يعاملونني كموظف وما بيننا هو العمل.. أما هو فعند رؤيتي له ظننت أنه الوحيد من بين الجميع قد يكون صديقي.

- هل أنا كذلك أيضاً؟

- أنت أولهم أيها الوغد.. ولولا هذا الفتى لا أظنك كنت ستلتفت لي.

« لحظتكما العاطفية طالت بعض الشيء. »

أُخرست الأفواه وتعلقت النظرات بنادر الذي نهض جالساً وهو يضيف مغضباً:

- ابحثا لكما عن حجرة أخرى لتبثا فيها مشاعركما بعضكما لبعض.. فقد بدأت أُصاب بالغثيان.

شحب وجه ياسر ومسك معطف سالم يهزه هامساً بخوف:

- هل رأيت؟!.. كما أخبرتك.



Scanned with CamScanner

تأمل سـالم وجهه الناعس وملامحه المكفهرة بل وعبارته المستهزئة الوقحة ثم همس:

- مزاجه متعكر لإفاقته من النوم.. أنا مثله أكون بأسوأ حالاتي حين أُفيق.

حنى نادر رأسه وفرك جانبي رأسه متجنباً النظر لسالم.. (يجب أن أتحلى بالصبر.. أن.. أصبر.. كما فعلتُ في السجن.. كالسجن.. كالسجن) كان يشحن نفسه بكلمات إيجابية كي لا يبطش به..

فيما سحب سالم نفسه للخارج ملقياً بكلماته لياسر الذي عمّت ملامحه الفوضى:

- بعد أن يُفيق جيداً قد أعود.

- أيها الوغد.. أنت من تسببت بإيقاظه والآن تهرب كالدجـ..

« هل تتحدث بالسوء عني دوماً؟! »

أدار ياسر بصره المتسع نحو نادر وقد أدرك أنه سمع حديثهما.. فيما تابع نادر باستخفاف:

- ثم لديك خطيبة؟!.. لمَ أنت متلهف لصديق إلى هذا الحد؟!

ارتفع حاجبا ياسر لسؤاله وتنهد متعباً وفتح شفتيه ليبثه حزنه و..



Scanned with CamScanner

« حسناً.. حسناً.. لقد فهمت. »

- أنا لم أقل شيئاً بعد.

- اتساع فمك أخبرني أنك لن تصمت قريباً لذا انسَ الأمر.

أطبق ياسر شفتيه محنقاً فيما نظر نادر لساعة هاتفه المشيرة للخامسة والنصف.. بقي على النوبة المشتركة نصف ساعة.. وهو لم يكتفِ من النوم بعد..

نظر لفارس الذي لا يزال ملازماً سريره ويبدو أنه نائم بعمق..

- هاي.. لقد أحضرتُ أكياس شوكولا وبسكويتات بنكهات مختلفة فقد استلمتُ مرتبي اليوم.. استحم وتعال لتذوقها ستعجبك بالتأكيد.

رمقه نادر بطرف عينه متسائلاً.. لمَ لا ييأس منه على الإطلاق!!..

ولكن.. هو يشعر بالضيق والاختناق بسبب تلك الذكرى السيئة، وبحاجة لشيء ينشط هرمون الدوبامين المسئول عن السعادة لذا قال بهدوء:

- حسناً..

كتم ياسر شهقته المتفاجئة بصعوبة، واندفع ليرص جميع الأكياس فوق المكتب وقد بدا متحمساً للغاية، فيما دخل نادر لحجرته وتأمل هاتفه.. لمَ لم يتصل به زيد إلى الآن؟!!.. لقد مر



Scanned with CamScanner

وقت طويل منذ أن طلب منه أن يتقصى عن تفاصيل عائلة فارس.. وساعة واحدة تكفي زيد للحصول على ما يريد.

هز كتفيه متململاً فلعل ذلك التهديد لم يعد يُجدي نفعاً معه.. لذا عليه أن يكون جاداً أكثر بشأن ابتزازه.

ثلاث ساعات ونصف الساعة مرت قبل أن يحين موعد نوبة نادر التي بدأها بتمتمته:

« أشعر بالتخمة.. والصداع. »

التخمة من كمّ الحلويات التي ظل يُقربها ياسر منه..

والصداع من ثرثرته التي لم تنتهِ.. إنه لا يزال حتى الآن يتحدث أمام الباب قبل أن يبتسم ثم يغادر لانتهاء النوبة المشتركة..

نظر نادر للشاشة المعلقة.. لقد شاهد معه فيلماً.. هو حتى لا يصدق أنه فعل ذلك!!..

ولكنه أدرك أن لكل شخص لحظات ضعف ووهن وخاصته تكون حين تقفز تلك الذكرى لعقله..

عقد كفيه أمام وجهه مفكراً..

هل تسبب بفزع وذعر للفتيات في ذلك اليوم كما تسبب المجرم في فزع فارس عند قتله لأخته؟!.. هل من المحتمل أن يعاني بعض الطلاب والطالبات الذين رأوا مشهد إيذائه لرفيقه - والدماء تنزف منه - من عقد نفسية هو سببها؟!..



Scanned with CamScanner

- لقد سيطر علي غضبي إلى الحد الذي لم أرَ معه سوى نفسي وذاك الشخص أمامي..

قالها نادر بضيق ونظر لفارس الملازم لفراشه مضيفاً..: (لقد جعلني أدرك جانباً لم أنتبه له سابقاً؟!)

نهض بتكاسل وهو ينزع نفسه انتزاعاً من تلك الذكرى فلا بد من أن مكالمته لأيمن وقضية مقتل الطفلة لَمى هما من أثار ذكراه وأثر به..

اتجه للمايك وضغطه ليقول:

- أعلم أنك قد أفقت وأنك غاضب لأنك في حجرتك.

رفع فارس الغطاء ليغطي به جسده ورأسه بالكامل متجاهلاً له فيما ابتسم نادر فقد بدأ يفهمه حقّاً.. وظل صامتاً ثوانيَ قبل أن يقول:

- أوه.. لقد نسيتُ شيئاً على المنضدة المجاورة لسريرك.. حسناً ابقَ نائماً حتى أستعيد..

لم يُتم عبارته وهو يرى فارس يدفع الغطاء ويقفز جالساً متلفتاً حوله وقد بدت بعينيه لهفة شديدة.. لم يتمالك نادر نفسه ليضحك فهو مفضوح بالكامل..

بينما انتبه فارس للكتابين الجديدين اللذين أحضرهما له أحمد مسبقاً، وكادت عيناه تخرجان من محجريهما من شدة



Scanned with CamScanner

فرحته وهو يحدق بالمصحف بين كفيه ثم ارتبك فجأة قبل أن يعيده فوق المنضدة..

ترك سريره راكضاً نحو دورة المياه ووقف ثانية والتفت للحاجز.. كانت تعلو شفتيه ابتسامة مفعمة بالبهجة والامتنان.. وبدا متردداً بين الذهاب لدورة المياه أو التحرك نحو الحاجز دون أن يعلم نادر ماذا يريد بفعله هذا؟!

ولكن يبدو أنه حسم تردده حين اختفى داخل دورة المياه ليخرج بعد خمس دقائق والماء يتقاطر من كفيه وشعره ووجهه..

- لقد توضأ من أجل لمس المصحف والقراءة.

قالها نادر بدهشة ثم رفع أحد حاجبيه مستنكراً ففارس منذ قدومه للمستشفى لم يره يصلي أبداً.. لماذا إذاً هو مهتم بالقراءة؟!

- أُريدُ أن أراك.

صدح صوت فارس فجأة منتشلاً له من أفكاره وهو يقف أمام الحاجز حاملاً الكتاب والمصحف.

- ألا يكفي أني أراك؟

- هذا ليس عدلاً..

- أخبرتك: لا بد من أن أثر قرص البارحة قد زال وسيصعب عليك تمالك أفكارك كالبارحة..

- ولكني أريد أن أشكرك وأعانقك في هذه اللحظة بالذات.



Scanned with CamScanner

قالها بحزن ليبتسم نادر لصراحته وتفكيره البسيط.. وحمد الله كثيراً كونه بعيداً عنه فما ينقصه الآن بعد مرافقة ياسر هو عناق شخصٍ ما له ليكتمل ذلك المشهد السخيف.

- حسناً سنكتفي بالشكر الآن.. والمتبقي دين إلى حين لقائنا القادم.

لم تقنع عبارته فارس كثيراً إلا أنه تمتم ببهجة:

- شكراً لك.

- حافظ عليهما جيداً.. فأنت لن تعلم مقدار الجهد الذي بذلته لإحضارهما لك.

- حقّاً؟!.. سأقرؤهما إذاً.

- وعليك أن تدعو لي أنا بالاسم.

ابتسم نادر بخبث وهو يتخيل وجه أحمد لو رآه ينسب هذا المصحف وهذا الكتاب لنفسه.. ولكن بحق لمَ هو لا يريد أن يخبر فارس أنهما من شخص آخر؟!

لم يفهم نادر نفسه وهو يستعيد بروده وطبيعته ليتجه نحو مكتبه واضعاً حاسوبه المحمول فوقه.. ثم نظر لساعته بقي ربع ساعة على موعد عشاء فارس وتناوله للأقراص الخاصة بمرضه..

تلك الأقراص حصل عليها بسهولة شديدة، كونه طبيب مريضهم الماسي جميع طلباته مجابة وبكمية لا تُصدق أيضاً،



Scanned with CamScanner

ولكن ما أفاده حقّاً أن مدير المستشفى لم يخبر أحداً بحقيقة أنه معالج ولم يرقَ لتلك المرتبة لمنح الأدوية للمريض، وابتسم متعجباً لحصوله على وصف دقيق من ذاك البرفيسور لكل دواء وطرق الاهتمام بمريض المتلازمة حتى أنه منحه بريده الإلكتروني ليتواصل معه حول أي استفسار على أن يشركه يوماً في سره حول من هذا المريض ويجعله يلتقي به إذا ما تحسن..

« أيها الفتى.. كل الأبواب المطروقة لأجلك أجدها تفتح بغرابة.. »

وانعقد أحد حاجبيه فقد كان لا يزال هناك قبضة في داخل عقله تجذبه للهرب والانسحاب من عالم هذا الطفل وكلما تأمل عقله أن يغلق باب في وجهه وجد آخر يفتح بسهولة.. (لنرَ إلى أين سينتهي بنا هذا إذاً) تمتم بها وهو يخرج الأقراص وقد بدا الهم عليه فأقراص الدواء سيكون لها أعراض سيكرهها فارس بالتأكيد.. ولكن لحسن الحظ لن تظهر في الأيام الثلاثة الأولى..

تحرك ليضغط زر النافذة لتُفتح في حجرة فارس الذي أشرق وجهه سعادة وتلاعبت الرياح الداخلة بخصلات شعره السوداء وأطراف ملابسه..

أسرع ليعتلي الحاجز القريب من النافذة وحدق بالقمر الذي توسط السماء وقد فاته مراقبته بدراً الشهر الماضي..



Scanned with CamScanner

فتح صفحات المصحف ليختار الجزء الثلاثين وبدأ بالقراءة همساً..

ظل نادر يراقب ملامحه التي اعتلاها سكينة وهدوء وقتاً قصيراً قبل أن يقول عبر المايك:

- ارفع صوتك.

ابتسم فارس وهو يرفع صوته ليسمع نادر.. لم يكن صوته ذا نبرة جميلة كالقراء ولكن لمس نادر منها خشوعاً جميلاً..

- هذا سيفيده في تحسن النطق لديه.

كان فارس مشغولاً بقراءته حين فتح نادر حاسوبه ليبدأ في حل القضايا الثلاث التي وعد المحقق أيمن بها.. وانغمس في تفاصيلها حتى أنه لم يدرك أن طعام فارس قد وصل وأنه قد تناوله.. ولم يكد يدرك ذلك حتى التقط الأقراص من فوق مكتبه ثم ضغط المايك قائلاً:

- فارس.. سأضع لك قرصين.

كان فارس يجلس على المقعد المقابل لمائدة طعامه حين سمع صوت نادر وظل عاقداً حاجبيه ثوانيَ قبل أن يقول:

- حسناً.

- جيد.. كن مطيعاً دوماً هكذا.

ازداد انعقاد حاجبي فارس.. شيء غريب بصوت نادر أزعجه..



Scanned with CamScanner

فيما نهض نادر ولم يكد يستتم واقفاً حتى داهمه صداع مؤلم جعله يتكئ على حافة المكتب مستغرباً وكفه الأخرى تقبض على جبينه ولكن لم يكد يلمس جبينه حتى أنزل كفه ليرى قطرات العرق المغرقة لها..

كان يتعرق دون أن يعلم بل ويشعر بالوهن.. هل هو من تلك الذكرى؟!

لم يفهم ما الذي يحدث معه وهو يتحرك ليضع الأقراص لفارس فوق لوح الطعام بعد أن ضغط الزر في الحائط، ولم يتردد فارس في ابتلاعها فثقته العمياء به تملأ قلبه بالكامل.

عاد نادر لمكتبه ثم اتسعت عيناه لمرأى فارس يسحب المنضدة بثقلها ليلصقها بالحاجز لتكون في مواجهة مباشرة مع مكتب نادر..

ضحكة خفيفة صدرت عن نادر.. فهو كالطفل تماماً..

بل سحب مقعداً وألصقه بالمنضدة ووضع كراس رسمه وعلبة الألوان هاتفاً بحماس:

- إن رسمتك الآن فهل ستأتي لحجرتي؟!

- أهو تحدٍّ؟!

- نعم.

- اجعلها إذاً ثلاث رسومات وبما أنك أخذت الدواء.. بعد



Scanned with CamScanner

ساعتين سأدخل.. وسيكون من الجيد تيقني من كونه نافعاً أو لا.

- رااااائع.

صاح بها فارس بحماس فيما هز نادر رأسه مستهجناً اختياره لنتيجة التحدي.. كان عليه اختيار الخروج من الحجرة.. الحصول على الهاتف.. شرائح برقر مطهية جيداً بدلاً من اختياره لرؤيته..

عاد نادر للحاسوب ولكن هذه المرة كلما ركز أكثر ازداد صداعه.. بل قطرات العرق نزلت من رأسه لترتطم بلوحة المفاتيح..

رفع كفه ليتحسس جبينه هو ليس مصاباً بالحمى.. ماذا إذاً؟!

غالب نفسه ليستكمل حل القضايا.. وبعد ما يقرب نصف الساعة صدح صوت فارس وهو يلصق ورقة على الحاجز:

- انظر.. إنه مثلك تماماً.

حدّق نادر بتلك الرسمة ولم يملك أن يسيطر على انبهاره فأطلق صفيراً معجباً من بين شفتيه جعل فارس يضحك سعيداً ويزهو بنفسه.

- إنها واحدة فقط.. بقيت اثنتان.. ثم يا عديم الفن والذوق.. لمَ اخترت رسمي حين كنت متسخاً ببقايا طعامك؟!

- إنها المرةُ الأولى التي أراك جيداً فيها.



Scanned with CamScanner

قالها فارس بحماس ثم انتبه فجأة إلى أن نادر منزعج من هيئته بالرسمة فابتسم ابتسامة غامضة وهو ينحني ليكمل رسمه..

لم يفهم نادر ما ينويه ولكن هذا الشخص أمامه قد أفلح في شغله عن ضيقه وحزنه السابقين..

نصف ساعة أخرى وعلا صياح فارس ليرفع نادر عينيه ولم تكد عيناه تقعان على تلك الرسمة حتى أظلمت عيناه وزفر غاضباً..

- هذه الرسمة فاشلة بالكامل.

قالها نادر محنقاً ليسمع صوت فارس المعاند:

- كلا.. هكذا تظهر أسنانك حين تضحك.. لقد رأيتك البارحة.

- إنه ليس حتى بشراً.. الوجه بأكمله أسنان وأنا أجمل وأوسم من ذلك.

- كلا.. كلا..كلا.. تعال لحجرتي ودعنا نقارنها وانظر.

- هل تهزأ بي؟!

صاح نادر مغتاظاً فيما ضحك فارس ولم يرد عليه.. لقد نجح في استفزازه بالكامل..

تنهد نادر محنقاً ويبدو أن فارس كان ذا معنويات عالية فاقت نادر أضعافاً مضاعفة ليقول فجأة بإذعان:



Scanned with CamScanner

- حسناً.. سأرسم واحدة أخرى.. وإن قلت إنها فاشلة فلن أتناول الأقراص في الغد.

- هل تهددني بصحتك؟!

صاح بها نادر مصدوماً فيما علت شفتي فارس ابتسامة كبيرة.. فنادر لم يرَ منه ذلك الجانب إطلاقاً.

وفي هذه المرة أخذ فارس ساعة بأكملها قبل أن يطرق الحاجز ليرفع نادر بصره ورأى بعيني فارس تردداً وتوتراً قليلين قبل أن يرفع الورقة ليلصقها بالحاجز..

وفي هذه المرة اهتز حاجبا نادر واحمر وجهه.. كان هو نفسه.. بهيئته.. بوسامته.. برجولته.. ولكن أين؟!.. تحت السماء المظلمة المليئة بالنجوم وقد تشابكت كفاه الممتدتان كمن يتوسل لشيء ما بل وعيناه تلتمعان بالدموع و.. (إنه موقف شاعري وعاطفي للغاية لا يتناسب مع شخصيته..)

- سأقتلك.. سأسحب الكراس منك.. سأحطم تلك الألوان.

قالها نادر فقد استفزه بالكامل وبالفعل غادر حجرته واتجه لحجرة فارس الذي ظل جالساً على مقعده بانتظار قدومه.. ولم يكد يفتح نادر الباب حتى التقت عيناه الزرقاوان المبتهجتان بعينيه العسليتين المحتدتين و..

أدرك نادر مدى غبائه!..



Scanned with CamScanner

لمَ هو في هذه الليلة يفقد أعصابه؟! ويستغله مراهق مثله؟!

ولكن وقبل أن يعود كان قد رأى اندفاعة فارس نحوه فتوترت ملامحه.. هل سيهاجمه؟!

هل عاد له عنفه؟!

كان سيتراجع ولكنَّ ثقلاً في قدميه منعه وفارس يقفز معانقاً له فجأة بفرحة غامرة صارخاً:

- لقد رأيتك.. كالبارحة تماماً..

وشد عليه أكثر متابعاً:

- إنه سداد الدين.

رفع نادر كفه ليبعده عنه ولكن شعوراً غريباً من الوهن أثقل جسده.. بل كاد يقع من وقفته فأسرع يستند على ركن الباب..

تراجع فارس للخلف ليرى تورم أنفه واحمراره بل شفتاه هما الأخريان متورمتان.. وعيناه قد غشاهما اهتياج واحمرار عنيفان كما لو أنه قطع عدداً من البصل.. أنفاسه بطيئة متعبة.. بل هو يجد صعوبة بالتنفس.

« أنت لست بخير. »

قالها فارس بقلق وخوف فيما رفع نادر كفه الأخرى ليغطي وجهه فأكثر مايكرهه أن يراه الناس بلحظات ضعفه..

والأسوأ من ذلك أن يكون مريضه..



Scanned with CamScanner

ثوانيَ فقط أخذ منه التفكير بهذه الأعراض ليدرك أنها حساسية الحمضيات.. هو لم يتناولها و..

« تبّـاً.. إنها تلك الحلويات بالتأكيد.. كيف لم أنتبه لنكهة الحمضيات بينها؟!.. لا بد أن إحداها اشتملت عليها. »

كان سيقع حين أسنده فارس فجأة وقد ملأ وجهه ارتباك شديد ليقول:

- هل.. هل أنادي أحداً؟!

ولكن نادر لم يجبه فقد تورم لسـانه وثقل هو الآخر، ليحط أخيراً بثقل جسـده على فارس الذي بالكاد أسـنده بل سـقط على ركبتيه لتغشى عيني فارس الدموع وتتسارع نبضاته هلعاً دون أن يدري ما عليه فعله..

فنادر على وشك فقدان الوعي وبين يدي مريض بالكاد يساعد نفسه فكيف ينقذه هو الآخر!؟..

***

شعر بنصل حاد يخترق ذراعه عقد له حاجبيه ولكن شفتيه لم تنطقا ولا يزال يسبح وسط ظلمة إثر وعيه الغائب..

نشيج خفيف مكتوم وكأن قطعة من القماش تمنع علُوَّه تسلل لأذنيه.

ذلك النشـيج البعيد عنه ألّم قلبه وشـعر به يؤذيه أكثر مما آذاه



Scanned with CamScanner

ثقل جسده ووهن عينيه اللتين لم تطيعاه ليرفع جفنيه..

« حمداً لله على سلامتك. »

انتفض نادر وهبّ جالساً إثر هذا الصوت المألوف لتتساقط كومة من المناشف الصغيرة المبللة على جانبي جسده بعد أن كانت تغطيه..

تلك الظلمة بالكاد انقشعت ليبصر ابتسامة أحمد وهو يربت على كتفه هامساً:

- عد للاستلقاء.. ما زال جسدك ضعيفاً ولم تستعد وعيك بالكامل.

اهتزت عيناه بتعب وأحمد يضغط كتفيه مرغماً له ليستلقي مجدداً..

رفع ساعده ليغطي به عينيه ووجهه.. ماذا حدث؟!.. لمَ هو هنا؟! ولمَ أحمد معه؟!.. لا يعلم.. وذاكرته غير قادرة على استعادة شيء..

أغمض عينيه محاولاً التقليل من تشتته ولكن ذلك النحيب الحزين لا يزال يواصل هز طبلة أذنه مزعجاً له..

« ستكون أفضل إن شاء الله خلال نصف ساعة فقط.. ومن حسن الحظ أن تحسسك لم يتفاقم إلى ذمة الحنجرة وإلا لكان الأمرُ خطيراً واحتجت لعلاج سريري مكثف بالمستشفى. »



Scanned with CamScanner

(حساسية الحمضيات).. نعم الآن تذكر لقد أُصيب بها.. وداهمته أعراضها بشكل مفاجئ ولكن..

- لمَ ما زلتُ أنام على الأرض يا متحجر القلب؟!.. الرحمة التي تتفاخر بها دوماً ألا تشملني الآن! كوني مريضك؟!

- حسناً.. لأن وزنك ثقيل.. وأنا لن أولم ظهري بحمل وغد مشوه مثلك!؟

- مشوه؟!!

تمتم بها نادر بصدمة وهو يُبعد ساعده عن عينيه فأكثر مايكرهه في هذا المرض هو ما يحدثه في وجهه من تورمات..

- ما زلت مهووساً بهيئتك الخارجية وأنت للتو أفقت!!..

همس بها أحمد مستنكراً اهتمامه بهيئته بدلاً من صحته، فيما رمقه نادر شزراً وهو يقول:

- أظنك في أسعد حالاتك أيها القبيح وأنت تقارن نفسك بي الآن..

- ليس كل من في العالم يعانون نرجسيتك.

قالها أحمد محنقاً فقد وصفه بالقبيح والأسوأ أنه حتى لم يشكره لإنقاذه له..

- وهذا ما ميّز العالم كونه لا يوجد فيه إلا واحد مني.

ابتسم نادر بعبثية فيما ابتسم أحمد تالياً فوقاحته نبأته بأنه قد أفاق جيداً..



Scanned with CamScanner

ولكن لم تلبث تلك الابتسامة بشفتي أحمد أن تلاشت.. وظهر ضيق بعينيه وهو يضرب كتفه بقبضته هامساً بغضب:

- هل كنت أحمق؟!.. أنت تعلم أنها تؤذيك فلم تناولتها؟!

تلك الضربة آلمته بالفعل ولكن ذاك التأثر بوجه أحمد جعله يصمت مرغماً وأحمد يضيف بنبرة مهتزة:

- لقد جعلت ليلتي عسيرة.. ليس أنا فقط بل وذاك الفتى.

شهق نادر بمجرد تذكره لفارس وأدار بصره في الحجرة ليُدرك أنه بحجرة فارس.. بل والأسوأ هو يذكر سقوطه أمام فارس..

وهذه المرة نهض بالفعل ليجلس وعيناه تبحثان عنه حين سمع همس أحمد: « إنه هناك.» وأشار بسبابته إلى زاوية صغيرة ما بين خزانة الملابس والحائط كان يحشر فارس جسده بها، وقد التف حوله غطاء سريره مواصلاً نشيجه الذي صحبه تمتمات غريبة..

- يا إلهي.. هل هو بخير؟

قالها نادر بقلق وهو يحاول النهوض ولكن لم يلبث أن سقط جالساً بتعب..

شعر بأحمد الذي شد على ذراعه فجأة لينتبه له فقال بمرارة:

- حين أتيت.. لقد كان حاله سيئاً للغاية.

- ماذا تقصد؟!

صاح بها نادر قلقاً وقد احتدت نظراته فيما تمتم أحمد بانفعال:



Scanned with CamScanner

- كُنتُ في المستشفى.. بنوبتي المسائية حين رن هاتفي لأجده أنت.. ولم أكد أرد حتى سمعتُ صوت بكائه وشهقاته وكل ماينطق به ثلاث كلمات: « أحمد.. نادر.. مات ».. لقد أفقدني صوابي.. وصرختُ بفزع سائلاً له عمّا حدث ولكن بمجرد سماعه صوتي أُخرس تماماً.. ومن الجيد سماعي لصوتك البعيد فقد كنت تكرر اسمي وتسعل بأنفاس لاهثة وعندها علمت أنك أُصبت بالحساسية وأنك من أوحيت إليه بفكرة الاتصال بي.

لم يكن قد أنهى كلامه حين تذكر نادر ذلك.. فلقد بذل جهداً كبيراً ليشير لفارس بأن يُغلق الباب وحين حاول إخراج هاتفه ليتصل بأحمد أظلم ما حوله فظل ينطق اسم « أحمد » وبعدها فقد وعيه..

ولكن يبدو أن فارس قد فهم ما أراد ونفذه بدلاً منه...

ارتخى جفنا نادر وانقبض قلبه فلا بد أنه أفزعه بفقدانه لوعيه أمامه..

تابع أحمد توضيح ما حدث وعيناه مسمرتان بإشفاق على المغطى هناك:

- حين هرعتُ إلى هنا وجدتك مرميّاً على الأرض والمناشف المبللة تغطيك.. أظنه كان يحسب أنك أُصبت بالحمى أو شيء من هذا فحاول التخفيف عنك.



Scanned with CamScanner

- هل.. هل تقبل وجودك؟!

سـؤال نادر حمل كل لهفته ولكن تقطيب أحمد لحاجبيه وعضه لشفته السفلى نبأاه بأنه يتألم لما رآه وسرعان ما نطق:

- أنا.. أنا لا أعلم ما نوع المرض الذي يُعاني منه!!.. ولم أفهمه حتى!!.. ولكنه أحزنني بحق فبمجرد دخولي واقترابي منك وقف أمام جسـدك مادّاً ذراعيه كي لا أقترب منك.. أنت.. أنت يا نادر لم تره.. كان يُحدق بي بعينين محمرتين من كثرة البكاء فقد كان مفزوعـاً عليك.. وحين أخبرته أنني لن أؤذيك وأنني أحمد الذي اتصـل به ابتعد.. ولكن بدا لي في حالة من التشتت والضياع فبمجرد أن انحنيت عليك حتى اندفع ليمسك بأحد ذراعيك وراح يسحبك بعيداً عني صارخاً: « لا.. لا.. لا.. لن تقتله.. لن تقتله.. لن تؤذيه!!»..

ثم رفع بصره لنادر متابعـاً بحيرة:

- لم أفهم ما يعني ولكني شعرت وكأنه يحاول حمايتك مني.

- تبّـاً.. لقد ظنك ذاك المجرم متنكراً.. وخشي أن تؤذيني.

كان نادر يقاوم نفسه الواهنة لينهض فهو يخشى ازدياد مرض فارس بأسـوأ من قبل.. ولكن أحمد أمسـك بذراعه متابعـاً بنبرة مريرة:

- حين تجاهلته واقتربتُ منك راح يصرخ ويبكي فاضطررتُ



Scanned with CamScanner

لإغلاق الباب لعلمي بأنك لا تُحب أن يعلم أحد بقدومي هنا.. وعندها راح يهزك بقوة محاولاً إيقاظك وحين فشل انهار باكياً فوقك حتى بُح صوته وهو يغطيك بجسده كي لا أؤذيك.

- هذا سيئ..

قالها نادر وهو يتمنى أن الأمور توقفت عند هذا الحد.. وشعور قوي من الذنب ألّمه لكونه سبب ذلك..

فيما اكتسى صوت أحمد بشعور من الذنب أقوى منه وهو يهمس له:

- لقد.. لقد كُنتُ سيئاً معه.. فحين رأيته متعلقاً بك وقلقاً عليك.. لم يكن أمامي فرصة لعلاجك إلا بأن قُلتُ له بأني مغادر وأنك إن أصابك سوء فسيكون هو المَلُوم.

اتسعت عينا نادر عن آخرهما فما قاله قادر على تحطيم فارس وإحياء شعوره القديم بكونه مذنباً لمقتل أخته لَمى..

ولكن وجه أحمد كان يدل دلالة قاطعة على أن فارس لم يترك له خياراً آخر وهو يختم حديثه بقوله:

- بعد ما هددته بالمغادرة انتفض جالساً وبدا الخوف في عينيه فنهض وابتعد عنك خطوات ولم يلبث أن عاد مجدداً وظل يفعل ذلك عدة مرات كالمجنون وهو متذبذب بين تصديقي وتكذيبي قبل أن أراه يركض ليسحب غطاء السرير والكراس ويحشر نفسه في تلك الزاوية لأبدأ في علاجك عندها.



Scanned with CamScanner

تغلب نادر على نفسه ليقف وقد أدرك أنه في أول ليلة من علاجه له قد جعلها ليلةً عصيبة عليه.. تحرك بخطواته نحو تلك الزاوية ليسمع همس أحمد من خلفه:

- هل سيكون بخير؟!

ومع صوته لاحظ نادر ارتجاف جسد فارس والتصاقه أكثر بالحائط.. فأشار بطرف عينه خلسةً لأحمد ليغادر الحجرة ويقف خلف الحاجز مراقباً لكليهما..

امتدت يد نادر لتلامس رأس فارس المغطى وهو يتمتم:

- فارس.. هذا أنا نادر.. أنا بخير وكل شيء على ما يرام.. ولا يوجد أحد غيري في الحجرة معك.

مع لمسه أدرك أن فارس معطٍ له ظهره ووجهه للحائط.. بل سمع همسات غريبة علَت فور سماعه لصوت نادر:

« أسف.. أسف.. أسف.. أسف.. أسف. »

ظل يكررها ببكاء كطفل مذنب يخشى العقاب.. وكأن ما أصاب نادر هو خطؤه.. وهذا فقط ما كان ينقص نادر ليثور بغضب:

« لمَ تعتذر؟!.. لم يكن خطأك. »

قالها وهو يسحبه من كتفيه نحوه ولم يصدر عن فارس أي اعتراض أو عنف فتشجع نادر ليكشف جانبي الغطاء عن وجهه ليظهر له احمراره وشحوبه..



Scanned with CamScanner

كان لا يزال يشهق لطول بكائه.. وشفتاه ترتجفان وأصابعه بين أسنانه.. بل وفوق أظافره بقع من الدماء لطول عضه لها باضطراب بين أسنانه..

سحب نادر يده لينظر لها بغضب وعصبية ولكن فارس جذبها بقوة منه وتراجع للخلف أكثر ملتصقاً بالحائط.

لم يفهم نادر سر فعله ذاك ولكنه لاحظ تجنب فارس النظر إليه..

ولكنه ليس عنيفاً معه.. ولم يدفعه..

- انظر إلي.

قالها نادر بهدوء ولكن فارس لم يُطعه فكررها عدة مرات وحين واصل عناده أمسك برأسه ليجعله ينظر إليه مرغماً..

ولم تكد ترتطم عيناه الزرقاوان الباهتتان بوجه نادر حتى تدفقت منهما الدموع وشهق عالياً..

- أخبرتك أنا بخير.

قالها نادر برفق محاولاً تهدئته..

- أسف.. أسف.. أسف.. أسف..

عاد يكررها ببكاء وشعور قاتل من الذنب يخنقه فيما انتبه نادر لقصاصات الورق الممزقة أسفل قدمي فارس.. إنها الرسومات الخاصة به.. هل ظنّ أنها سبب مرضه؟!



Scanned with CamScanner

- أخبرتك أنه ليس خطأك فتوقف عن الاعتذار.

قالها بلطف أشد هذه المرة..

نظر إليه فارس كطفل مذنب والدموع تتتابع من عينيه وهو يمسحها بعجل:

- كل من أقابله يتأذى.. أنا سيئ.. أنا كالسم.

امتقع وجه نادر فيما دفع فارس بكلماته المكسورة لتخرج مرغمة:

- حين أحببتُ مايا رحلت.. وحين تصالحتُ مع لَمى ماتت.. وحين لم يبقَ لوالديّ غيري آذيتهما.. و.. و.. أنت.. جعلتك تغضب وتستاء مني فمرضت.

وتناثرت دموعه على الغطاء وهتف ببكاء:

- الجميع.. الجميع بدوني أفضل حالاً.

نبرته المرتجفة كانت كفيلة بجعل نادر يقلق فما بال تلك الكلمات اليائسة!!

هل يوبخه؟!.. نعم عليه أن يوبخه فما قاله فظيع وقاتل..

ولكن..

« شكراً لأنك أنقذتني. »

تجمدت تلك الدموع بعيني فارس المتسعتين وكأنه لا يصدق ما سمعه من نادر الذي مدّ يده ليربت على رأسه متابعاً بابتسامة:



Scanned with CamScanner

- لقد أخبرني أحمد أنك اتصلت به فجاء لعلاجي.. شكراً لك.. لم أكن لأكون أفضل حالاً بدونك بعد عناية الله.

ارتفع حاجبا فارس فقد فعل ذلك حقّاً.. فيما مسح نادر على رأسه هامساً بنبرة متأثرة ممتنة:

- طوال حياتي لم يحاول حمايتي أحد.. ولكن صديقي الغبي يقول إنك حميتني منه.

اتسعت شفتا فارس بفرحة كادت تمزق قلبه الذي رفرف سعادةً لامتداحه له.. فيما علت شفتي نادر ابتسامة دافئة شابها ندم:

- أسف.. أنا حقّاً أسف.. كان ينبغي أن أهتم بعلاجك ولكني جعلتُ بدلاً من ذلك ليلتك عصيبة.

عيناه الحزينتان ضايقتا فارس ولكنه لم يشعر إلا بذراع نادر التي أحاطت كتفيه ليسحبه نحوه مكرراً أسفه.. ودون توقف..

تدفقت الدموع مجدداً من عيني فارس على نادر ولكنها سروراً لكون نادر بخير ولم يكرهه..

« إنه كالأطفال تماماً.. ولكنه جعل نادر يعتذر.. بل ويكرر اعتذاره!!.. هو حتى لم يسخر من بكائه أو يوبخه!! »

تمتم بها أحمد بشبه صدمة وهو يفرك عينيه غير مصدق وكأنه يشهد معجزة..

دقائق ووقف الاثنان ليبدو القليل من التعب على نادر فهو لم



Scanned with CamScanner

يستعد صحته جيداً بعد، فعلا فجأة صوت طرقات خفيفة على الحاجز جعل نادر يومئ برأسه فلا بد من أن أحمد قد أدرك تعبه.. فيما لا يزال ذلك الابتهاج يعلو وجه فارس وهو يشير للحاجز هامساً:

- هل هو ذاك الأحمد؟

- نعم.

أجابه نادر وهو يسحب حقيبة الإسعافات قبل أن تشده خطوات فارس الراكضة نحو الحاجز وهو يقول بامتنان:

- شكراً.. شكراً.. شكراً لأنك عالجته.

- ألا ينبغي أن أشكره أنا؟

قالها نادر وهو يضحك لانفعاله وتحمسه ليعبس فارس فيما تمتم أحمد من خلف الحاجز:

- وكأنك ستشكرني؟!

سحب نادر ذراع فارس ليجلسه ثم بدأ بلف اللصقات على جراح أصابعه وهو يقول ممازحاً:

- لقد قلت إن شكرك ثمين.. وإنك لم تقدمه لغيري أو لمايا.

- وهذا ما فعلته.. أنا أشكره لأنه أنت فقط.. لو كان غيرك لم أكن لاهتم.. ولكن أنا سعيد جدّاً لأنك بخير ولا أريدك أن تُصاب بأذىً.



Scanned with CamScanner

ارتخت ملامح نادر وبدا مصـــدوماً لقوله وازداد تأثره حين التفت فارس للحاجز ليتمتم بهدوء وأدب:

- أسف لأني كُنتُ سيئاً معك.. وشكراً لأنك ساعدته.

« ذلك أجمل شكر وأسف تلقيتهما في حياتي. »

هتف بها أحمد وعيناه تكادان تقتلان متحجر القلب الذي لم يمنحه مثله.. ولكن لحظة: ما كل ذلك التأثر في وجه نادر؟!!..

رآه يبتسم وهو يستمع لفارس الذي واصل ثرثرته مخبراً له بما حدث منذ فقدانه للوعي وحتى إفاقته..

تهدل جفنا أحمد وغشى عينيه حزن فتلك الابتسامة المستمتعة لا تُذكره إلا بنادر قبل دخوله السجن..

- كيف عرفت رمز القفل بهاتفي؟

سأل نادر باستغراب ليجيب فارس مفتخراً بنفسه:

- البارحة.. حين فتحته لي قد حفظته.

- يا لك من محتال.. لقد تظاهرت أمامي بأنك غير منتبه.. بل وثمانية أرقام أيَّ ذاكرة تملك؟!

شـقت وجه فارس ابتســامة متعجرفة لكونه خدعه فيما أغلق نادر الحقيبة بعد أن أنهى علاجه ليقول متبرماً:

- أنا أســوأ من جليس أطفال دون أجر.. لمَ عليّ في كل مرة علاج جراحك؟!!



Scanned with CamScanner

ثم تلقى فارس ضربة على رأسه جعلته يشهق ويضغط مكانها بكلتا كفيه فيما رفع نادر أحد حاجبيه قائلاً:

- هل تظنني نسيت؟!.. أين هيَ أسناني الضخمة؟!.. ثم ما بال ذاك الجو الغبي تحت النجوم وبعيون دامعة.. كان يفترض أن ترسم به فتاة وليس أنا؟!..

تحول أحمد لجدار إسمنتي غير مستوعب هذا التبدل السريع والمخيف، فيما علَت ضحكات فارس النقية دون أن يُجيبه فقد كان يستفزه فحسب بما رسمه..

وسرعان ما ارتفع رأس نادر لينظر له بنظرة فوقية متمتماً باستخفاف:

- ثمّ هل ظننت أن بضع رسومات منك قادرة على أذيتي؟.. ولا ألف من رسوماتك السخيفة قادرة على إيذائي فلا تغتر بنفسك.

- ليست سخيفة.

- بل سخيفة.. هيَ مجرد ألوان على ورق.

- ولو كانت.. إنها تسمى فنّاً.

- أيُّ فن يظهرني بشكل سيئ هو هراء.

- كلا.. أنت فقط عديم الذوق فقد كانت جميلة.

- وذوقك أنت هابط إلى تحت الصفر.



Scanned with CamScanner

- ما كان عليّ إنقاذك؟!.

تمتم بها فارس بعبوس وبشفتين ممتدتين غيظاً فيما تصلّب نادر وعلَت ضحكات أحمد فهذا الفتى يتجه تدريجيّاً نحو وقاحة نادر.

- هل أنت تمن عليّ الآن لأنك أنقذتني؟

صاح بها نادر غاضباً لينهض فارس ويبتعد عنه وهو يضحك مستفزّاً له..

وبحق كان نادر يتمنى أن يضربه ولكن حركته المتحمسة داخل الحجرة وصيحاته: « لقد أنقذتك »، « لقد أنقذتك »، « لقد أنقذتك » بدت له وكأنه يعالج بها نفسه من فشله في إنقاذ أخته قبل تسع سنوات..

رأى بعض الدموع تعلق بعينيه وهو يواصل تكرارها وكأنه يريد أن يُسمع فرحته للعالم كُله فابتسم نادر بدفء وتيقن أن فارس قد تجاوز ما حدث في هذه الليلة..

بل وأفاده أكثر الآن وكأنه داوى جرحاً مفتوحاً بقلبه..

ومن خلال حديث الاثنين عمّا حدث أثناء غيابه عن الوعي.. علِم نادر أن فارس قد تغلب على عقله المضطرب بالتدريج فاستطاع رؤية نادر لأنه وثق به واستطاع بتفاصيل صغيرة كصوته والساعة بيمناه ورسمه المتواصل أن يفصل بينه وبين المجرم.. ولكن عقله لم يتقبل أحمد..



Scanned with CamScanner

وما زال أثر الأقراص لم يظهر..

ولكن الجيد في الأمر أنه لم يؤذِ أحمد.. أو يعامله بعنف.. والأفضل أنه حين فطن لكونه معيقاً أمام علاجه أسرع لتغطية عينيه حتى لا يفقد اتزانه.. وهذا كان بالنسبةِ لنادر تطوراً ملحوظاً في علاجه ومشجعاً.

بل هو الآن وأمام عينيه وثق قليلاً بأحمد فصاح بأسفه لأنه أخطأ عليه بسبب مرضه.. وشكره لأنه عالجه..

- سأرسمك وأنت فاقد للوعي ووجهك به تورمات.

صاح فارس فجأة مقاطعاً شرود نادر وخطواته تسبق كلماته ليأخذ الكراس ولكن لم ينتبه لنادر الذي اختطفه قبله ورفعه للأعلى صائحاً بسخط:

- أنت تحلم.

حاول فارس أخذه منه ولكن قصره مقارنةً به أعاقه.. ولاحظ نادر ذلك ليضحك عليه ويقول ساخراً:

- كم أنت قصير..

قفز فارس محاولاً أخذ الكراس ولكن محاولاته كلها باءت بالفشل فنادر مستمتع بحق بإغاظته فيما انتبه الاثنان فجأة للنافذة التي أُغلقت ليعلو وجه نادر إحراج شديد فقد نسي أن أحمد يراقبه من خلف الحاجز.



Scanned with CamScanner

رمى بالكراس لفارس واستعاد طبيعته الباردة والجامدة ليأمره:

- نظف حجرتك.. وارفع هذه المناشف المبللة فبسببها سأضطر لتبديل ملابسي.. واكنس فوضى الأوراق الممزقة التي أحدثتها.

طريقته الجادة جعلت فارس يُسرع لتنفيذ ما أمر به دون نقاش.. وقبل أن يخرج رأى وقوف فارس ونظراته له الحزينة.. فتنهد بتعب قبل أن يمنحه هاتفه قائلاً:

- خذ احتفظ به لي.. والعب بتلك اللعبة لحين أُقابل رفيقي وأعود.

أومأ فارس بطاعة وهو يأخذ الهاتف بلهفة فيما غادر نادر الحجرة ووقف خلف بابها ثوانيَ غير مستعد لمقابلة أحمد بعد ما رآه منه ولكن بحق.. لمَ هو يهتم برأيه؟!

سحب خطواته ودفع الباب ليدخل و..

« ماذا تفعل؟! »

صاح بها نادر مذهولاً.. فقد كان أحمد مديراً ظهره له وبيده كوب ماء ينثر رذاذه في زوايا الحجرة..

تقدم نادر منه وقد اتسعت عيناه لمرأى شفتيه اللتين كانتا تتمتمان بقراءة معينة قبل أن يلتفت له أحمد قائلاً بخفوت:

- أرقي المكان.. لقد أخبرتك أنه مسكون.



Scanned with CamScanner

أظلم وجه نادر وشـعر بحرج شـديد فهو يهزأ به فيما ارتفعت ضحكات أحمد وهو يشير للحاجز متابعاً:

- أم عليّ أن أرشه هو؟!.. فأنا بالكاد عرفتك وأنت برفقته.

- ارقِ نفسك فالشيطان لا يسكن إلا رأسك.

نطق بها نادر وهو يسـحب الكوب من يده ليجرع محتواه قبل أن يرمي بنفسه على الأريكة في إرهاق واضح متمتماً:

- لقد أديت واجبك.. وعالجت مريضك.. هيا ارحل.

- أنا لم أنتهِ من علاجك بعد.

ارتفع حاجبا نادر وبدا مستغرباً فيما أخرج أحمد قرصاً من حقيبته ليمنحه له.. فالتقطه نادر سائلاً:

- لم أخذ مثله من قبل؟

- لأنني لم أكن طبيب في السـابق.. كنت فقط تأخذ ما يخفف عنك الأعراض وهذا سـ..

تجاهل نادر باقي حديثه وهو يبتلعه ثم استرخى على الأريكة ليرى عينيْ أحمد المسمرتين عليه:

- ماذا؟!

- هل حدث ذلك في السجن؟!

سأل أحمد بحزن وهو يشير لصدره لينتبه نادر لأزرار قميصه المفتوحة إلى النصف وقد كشفت بعض ندباته..



Scanned with CamScanner

توترت ملامحه وراح يغلقها قائلاً بغضب:

- هل كان هناك حاجة للكشف عنه؟!

- وكيف سأعلم إن كان أصابك طفح جلدي من الحساسية!!.. ثم لا تُغير الموضوع.. ألهذا ترفض مشاركة أحد لك حجرتك حتى لا يرى ندباتك؟!!..

والتقى حاجباه بشدة مغضباً ومتألماً:

«لقد زرتك كثيراً في السجن.. لمَ لم تخبرني بأنهم يؤذونك!!.. كُنتُ سأقدم شكوى؟!»

- كُنتَ مراهقاً وقتها ولن يصدقك أحد.. كما أن رئيس السجانين قد يؤذيك.. وإذا ما بلغ الخبر لوالديّ كانا سيتأذيان فقط ولن يكون بيدهما شيء ليفعلاه.

عض أحمد شفته السفلى بألم مرير فكل ما قاله صحيح ولكن.. هو حقّاً لا يستحق أن يمر بكل هذا؟!.. بل وكيف احتمله؟!

- أسف لأني لم أكن ذا نفع لك وقتها.

رمقه نادر بطرف عينه متعجباً منه لمَ يعتذر من أشياء فعلها آخرون له؟.. ولكن هل يدرك أن زياراته له ووجوده حوله دوماً قد ساعدته كثيراً!!..

وكأن أحمد قد انتبه لذلك، فقد قال فجأة:



Scanned with CamScanner

- مارأيك أن تقتسم راتبك معي؟! أو تحجز لي حجرة هنا فانا لا ألبث أن أجد نفسي عالقاً معك أينما تكون؟!

ابتسم نادر وتحدث بنبرة بطيئة خافتة:

- أجبني بصدق.. ذلك اليوم حين التقينا بالسوق.. هل كان مصادفة أم أنك تعمدت ذلك ككل مرة ولحقت بي محاولاً مراقبتي وردي لصوابي إذا ما تهور..

وثقل لسانه وتحرك جفناه عدة مرات ليرفع كفه ويقبض جانبي رأسه:

- أحمد.. لمَ سقف الحجرة يدور؟!

حافظ أحمد على ابتسامته وهو يراه يغالب نفسه للاحتفاظ بوعيه.. قبل أن تضيق عينا نادر ويتمتم محنقاً:

- ما ذاك القرص؟!

- سيجعلك ترتاح قليلاً.. فأنت مرهق للغاية وأعراض الحساسية لم تزل بالكامل.. ويبدو أنك قد أهملت صحتك ونومك خلال عنايتك بالفتى.

- تبّاً أحمد.. سأقتلك!.

قالها وهو يحاول النهوض ولكن الدوار ازداد وازداد ليرتخي جفناه فقال جازعاً:

- ليس عليّ تركه.. أنت لا تعلم شيئاً.. قد يؤذيه المـ..



Scanned with CamScanner

- أنا معه.. نم فقط فأنت لم تحظ بنوم كافٍ منذ وقت طويل.

مع آخر حروفه لاحظ عينيه اللتين أُغلقتا وجسده الذي استرخى فوق الأريكة ودقائق فقط ليعلو صوت أنفاسه..

فيما التفت أحمد للحاجز ليرى فارس الساكن فوق السرير يلعب بالهاتف.. عليْه فقط أن يهتم به حتى ينام وبعدها سيغادر.. فالتقط هاتفه وبدأ باختيار رقم نادر..

« مرحباً. »

قاطعت هذه الرسالة فارس لينتبه لاسم أحمد المدون ليبقى محدقاً باستغراب بالحاجز ثوانيَ قبل أن يرد..

« هل أنت أحمد الذي عالجت نادر؟! »

- نعم.. ولقد وصلني شكرك وأسفك.

- هل نادر بخير؟!.. هل سيأتي لحجرتي؟

- حسناً.. لقد جعلته ينام مرغماً لأنه مريض وهو غاضب جداً لأنه وعدك بالعودة.

تجهم وجه فارس وغلب عليه الاعتراض ليُكمل أحمد رسالته:

- حسناً سأوقظه ولكن مرضه سيزداد فقط.

ذُعر فارس ليكتب: « لا.. لا!.. سأنتظره غداً. »

« إنه متعلق بك بالفعل » تمتم بها أحمد وهو يحدق بنادر



Scanned with CamScanner

النائم.. ثم التفت ليرى ذاك الضيق بوجه فارس فكتب:

- المصحف والكتاب.. هل قرأتهما؟

- اللذين أحضرهما لي نادر؟!.. المصحف نعم أما الكتاب فلا.

« أيها الوغد » همس بها أحمد فنادر نسب شراء المصحف والكتاب لنفسه.. ثم اعتلى وجهه خبث وهو يكتب:

- فارس.. هل تريد رؤية صور لنادر؟

اعتدل فارس جالساً وبدا الحماس بعينيه وهو يومئ برأسه للحاجز دون أن يكتب..

وتتابعت الصور ليضحك فارس ويستمتع بحق بصور نادر في المدرسة بعمره نفسه.. بعضها بمفرده.. والبعض الآخر برفقة أحمد.. وبعض مقاطع الفيديو لهما معاً..

- أنت صديقه بالفعل؟

- بالطبع ومنذ المرحلة الابتدائية.

- أسف لأني لم أصدقك.

- لا بأس.. ما رأيك أن نلعب لعبة؟.. الكتاب الذي عندك اقرأه واختبرني فيه وأنا أعدك سأجيب جميع الأسئلة.

- وإن خسرت أنت فماذا ستعطيني بالمقابل؟!

قفزت ابتسامة باهتة لشفتي أحمد فنادر قد سرب له بعض



Scanned with CamScanner

صفاته.. ثم كتب:

- أيَّ ما تريد.

برقت عينا فارس بحماس كبير وسحب الكتاب ليقضيا تلك الليلة متبادلين الرسائل ويبدو أن فاتورة شخصٍ ما كانت في صعود..

***

كانت الخامسة والنصف فجراً حين أفاق نادر من نومه لينتفض جالساً.. تطلع فيما حوله ولم يكن هناك غيره..

- ذلك الوغد الوضيع القذر.

تمتم بها وهو يدفع الغطاء عن جسده ليسقط أرضاً والتفت للحاجز ليرى فارس منبطحاً على سريره نائماً ورأسه فوق الكتاب وما زالت أصابعه تعانق هاتفه..

- أحمد أنت ميت..

قالها متوعداً وأعماقه تغلي فقد كان يريد رؤية أثر الأقراص على فارس.. ونومه بذاك الشكل جعله يُدرك أنه قد داهمه خمولها وتعبها أثناء قراءته للكتاب.

انتبه لورقة مطوية فوق مكتبه ليسحبها ليجد خط أحمد فوقها:

(هل نمت جيداً؟!..

هل أنت غاضب؟!



Scanned with CamScanner

حسناً.. قبل أن تُفكر بالانتقام.. لقد التقطت لك صورة وأنت فاقد للوعي..

بظنك ما حجم الضـــرر الذي ســتلحقه بوالديك إذا ما رأيا وجهك المتورم؟! »)

- سحقـــاً.

صـاح بها نادر فقد حاصـره أحمد بالفعل بل ووجد ما يبتزه به لما تبقى من حياته..

(أظنك استسلمت الآن عن التفكير بالانتقام..

هـاي أيهـا الغبي تنـاول وجبـاتـك؟! ولا تُفزع الفتى مجدداً، فصحته تعتمد على صحتك أيضـاً.. كما أن تفاقم الحساسية سببه أنك لم تكن بصحة جيدة..

ولعلمك فقط فقد أخبرني الفتى أنك وعدته بأنك ستخرجه..

وأنا أُقسم..

أُقسم إن لم تشركني معك وتكشف عن خطتك فسأرسل هذه الصورة لوالديك..

إنها المرةُ الأولى التي أكتب فيها خطاباً.. لذا لا أعلم بمَ يجب أن أنهيه!!)

- بموتك أيها الوغد.

هتف بها نادر وذلك الخطاب يُسحق بين أصابعه..



Scanned with CamScanner

فقد كانت لديه خطة لإخراج فارس.. ولكن لو تدخل أحمد فسيجبره على تغييرها بالكامل..

تناهى لسمعه بغتة صوت خطوات في الخارج، فالتفت للحاجز ليرى أسفل باب حجرة فارس ظلاً غريباً..

اتسعت عينا نادر لما فكّر به.. واندفع ليخرج من باب الحجرة المشتركة الذي كان مفتوحاً على مصراعيه.. ولكن لم يكد يصل للممر حتى رآه فارغاً..

انتبه للمؤشر فوق المصعد الذي بدأ بالتناقص من الرقم سبعة إلى الدور الأرضي..

« ذلك المجرم.. لقد كان هنا. »

هتف بها وهو يكبح نفسه عن اللحاق به عبر درجات السلم.. فستكون مجرد محاولة فاشلة منه فالمصعد أسرع ولن يلحق به..

تحرك ليقف أمام باب حجرة فارس وصدق حدسه كان هناك محاولة عنيفة لفتح باب حجرته ولكن لعلّ إفاقته جعلت المجرم يفشل..

تفقد نادر بنطاله على عجل ليجد مفاتيح الحجرة ما زالت معه..

وانقبض قلبه واعتلى وجهه الهم فماذا لو لم يفق؟!

ماذا كان سيفعل بفارس؟!



Scanned with CamScanner

وإلى أي حد سيتسبب بتردي مرضه وعنفه هذه المرة؟!

***



Scanned with CamScanner

# الفصل الثاني عشر

٨ أغسطس

شـــهران مرا منذ بدأ نادر علاج فارس بالأقراص.. وبقي مثلها لينتهي علاجه اليومي ثم يشـــرع بتنفيذ وعده له بإخراجه من المستشفى، ولكن ذينك الشهرين لم يمرا بتلك السهولة بالنسبة للاثنين..

فبمجرد اكتشاف فارس للأعراض الجانبية للدواء حتى أُضيف لمسألة إصابته لجسده بالخمول والتعب رفضه لتناوله..

ففي اليوم الخامس من علاجه أُصـــيب بانقباضـــات لا إرادية لعضلاته صعبت عليه إمساك أقلام التلوين والرسم بها، وصحب ذلك حركات لا إرادية متكررة أصابت ساقيه اللتين كانتا تتحركان بشكل مفاجئ أو شفتيه اللتين تهتزان رغماً عنه.. والأسوأ وجهه الذي كان يحدث به بعض الحركات والتعابير اللاإرادية والتي أصـــابته بالاســـتياء والحرج إلى الحد الذي يجعله يلازم ســـريره طوال الليلة كي لايرى نادر حركاته الغريبة والمحرجة..

وقد بيّن له نادر كونه المعالج المســـئول عنه أن تلك الأعراض شيء طبيعي وعليه احتمالها ولكن ظل فارس على موقفه من عدم تقبلها وختم يومه الخامس عشـــر برفض تناول الأقراص مما



Scanned with CamScanner

اضـطر نادر لدخول حجرته وإجباره عليها بحقنه بمحتويات الدواء في الظهر متجاهلاً ألمه وصراخه..

ذلك التصـرف العنيف من نادر جعل فارس يتجاهله ليومين كاملين ولكن نادر لم يكترث فحين وضـع في رأسـه هدف علاجه لن يسمح لأيٍّ كان بإعاقة هدفه كما أنه لن يتنازل خشية غضبه أو استيائه فهو يعمل ذلك لمصلحته أولاً وآخراً..

وأفلح تصـرف نادر ففي باقي الأيام تناول فارس الأقراص خشـية أن يكرر نادر فعله ذاك وكصـلح من نادر سـمح له بالقدوم عدة مرات لحجرته..

وفي أول الشهر الثاني من العلاج تحقق ما كان نادر يخشاه حين ظهر أحـد أعراض الـدواء السـيئة لترتفع درجـة حرارة فـارس ارتفاعـاً مهولاً كاد يفقده حياته.. لولا لطف الله.. ثم انتباه نادر الذي أسرع لتخفيفها حتى أنه اضطر لوضعه بحوض الاستحمام الممتلئ بـالمياه البـاردة رغم صـرخـاتـه المعترضـة الواهنة والضعيفة..

وها قد حلّت الليلة الأولى من الشـهر الثالث للعلاج وأقصـى ما يخشـاه نادر أن تفت تلك الأعراض الفظيعة من عزيمة فارس ويتنازل عن رغبته بالشفاء أو الخروج..

***



Scanned with CamScanner

٩ أغسطس

« نصف ساعة وستجد سيارات الشرطة تقف أمام منزلك. »

رسالة موجزة حملت تهديداً صريحاً فوق شاشة هاتف نادر قبل أن يضغط إبهامه زر إرسالها لزيد..

- ولنرَ الآن أيها الوغد كيف ستتصرف؟!

تمتم بها نادر وهو يبتسم ابتسامة خبيثة فقد مرّ منذُ بدء علاجه لفارس شهران لم يَرِدْهُ خلالهما أي معلومة ولو واحدة ذات قيمة من زيد بل ولم يرد على رسائله الأخيرة..

(كيف يجرؤ على تجاهلي!!)..

رددتها أعماقه حنقاً ويبدو أن غيظه من تجاهل زيد له كان أكثر من كونه بسبب المعلومات التي تأخر بإحضارها..

تطلع نادر ببعض التعاطف إلى فارس الذي كان يجلس على المقعد أمام منضدته الملتصقة بالحاجز وقد بان بوجهه التعب والضيق ففي الليلة الماضية كاد ارتفاع حرارة جسده ينافس بشدته تلك الليلة التي كادت تقتله الحمى فيها من شدتها..

تنهد نادر بتعب قبل أن يضغط المايك ليُلقي بأكثر الكلمات التي يكره فارس سماعها:

- فارس.. بعد أن تتناول طعامك.. تناول الأقراص.

نظر فارس للحاجز بعيون مرتجة معترضة قبل أن ينحني على



Scanned with CamScanner

الكراس ليخط عليه بعشـوائية دون هدف.. هو فقط يتجاهل نادر لأنه لا يريد تناولها.. كما أنه لو طلب منه أن يتهاون معه ولو للبلة واحدة فسيرفض كباقي الليالي.. لذا فقد استمر في تجاهله..

- فارس.. لقد مر شهران وبقي فقط أقل منهما.. إن كنت تريد الخروج فعليك أن تصبر.

ضغطت أصابعه على القلم حتى كاد يكسره.. لمَ يضغط عليه دومـاً بمسـألة الخروج!!.. هو يريد أن يخرج حقّـاً.. ولكن.. لا يريد تلك الأعراض فحتى رؤيته لنادر أصبحت مشوشة ودائماً ما تؤلمه عيناه..

لقد حُرم حتى من مرافقته له..

« سـأسـمحُ لك كما سـمحتُ لك قبل يومين بالقدوم لحجرتي والتجول في الممر و.. »

ولكن كل هذه المحفزات يبدو أنها لم تعد ذات نفع فقد انحنى أكثر مخفيـاً عينيه على نادر واللتين غشاهما البلل..

« شرائح برقر.. »

لا رد..

احتقن وجه نادر غضـبـاً وبقي يغالب غضـبه ثوانيَ قبل أن يقول:

« سأعطيك الهاتف وراسل ذلك الوغد أحمد. »



Scanned with CamScanner

رفع فارس وجهه لتظهر بهجته وحماسه فمنذ ذلك اليوم لم يمنحه نادر الهاتف أبداً ودون أن يذكر له السبب..

ولكن سرعان ما تحطمت بهجته وارتجفت شفتاه ببؤس.. فما الفائدة من الهاتف؟ فبمجرد تناوله للأقراص ستتسبب بانقباض عضلاته ولن يستطيع التحكم بالهاتف ولا إرسال الرسائل.. بل ومع الرؤية المشوشة لن يستمتع باستخدامه للهاتف!..

تلك الأقراص حرمته من الكثير..

وعندها.. عاد يَحني رأسه أكثر متجاهلاً نادر..

ومتجاهلاً الطعام..

والأقراص..

ويبدو أن نادر أدرك فشل حيلته الأخيرة فتنهد بملل..

وتحمل لثوانٍ قبل أن تشتد ملامحه فقد استنفد كل المحفزات ثم وقف و..

« حسناً.. أنا قادم. »

فزع كبير تفجر في وجه فارس وهو يرفع رأسه بسرعة بل نهض ليسقط المقعد من خلفه وتراجع خوفاً من أن يكرر نادر ما فعله سابقاً معه عن طريق إجباره على تناول الدواء بغرس نصل حقنة في ظهره..

وظل مرعوباً ومتوتراً ثوانيَ قبل أن يتحرك ليجلس أمام مائدة الطعام ويتناوله مرغماً والدموع تخط على وجنتيه..



Scanned with CamScanner

كان مديراً ظهره له ولكن نادر لاحظ اهتزاز كتفيه.. « إنه يبكي.. » تمتم بها في نفسه ولن يلومه فهو الآن واقع تحت ضغط هائل ويفعل شيئاً لا يريده ومجبراً أيضاً..

« عمل جيد. »

تمتم بها نادر مبتسماً.. وهو يراقب بحذر ودقة مسح فارس لوجهه المحمر قبل أن يدير مقعده نحو الحاجز ليبتلع الأقراص أمامه ثم ارتشف رشفات من قارورة مياهه..

ارتفع رنين هاتف نادر بغتة فالتفت نحوه ليرى اسم زيد المدون على شاشته فابتسم بانتصار لعدم اكتمال نصف الساعة فقد نجح تهديده..

أسرع يغلق المايك حتى لا يسمع فارس مكالمته فيما ألصق الهاتف بأذنه قائلاً بسخرية:

- سحقاً.. كان التقرير في طريقه إلى المحقق الآن لولا اتصالك.. كم هذا محبط.

- يا رجل.. ولو من أجل ذلك الرغيف الذي سرقته ورميت به لك في زنزانتك الانفرادية عاملني كرفيق ودعني أعش حياتي دون رؤية شبحك المقيت حولي.

- ذلك الرغيف لم أطلبه منك.. وأخفقت فيما طلبته منك فأي امتنان تنتظره مني؟



Scanned with CamScanner

- لماذا لا تملك إلا رقمي من بين رفاق زنزانتنا الأربعة؟!

- لأنك الوحيد الذي يمكنني أن أمارس الضغط عليه..

قالها صادقاً ليتجهم وجه زيد وينفث أنفاساً حارقة..

- والآن.. ما كل هذا التأخير؟! لقد مر ما يقرب عشرة أيام على آخر مهلة منحتها لك؟

- هذا بسبب أنني حرصت على جعل المعلومات الأخيرة كاملة ومفيدة حتى لا تحتاجني مجدداً ولنقطع حبل تواصلنا.. وننهي هذه العلاقة المشـ..

- تبّاً.. كف عن ثرثرتك الفارغة.. ثم ما بال هذه الليلة العاطفية!!.. أنت تصرخ بالانفصال عني.. وآخرون يتجاهلونني بالكليّة.

تمتم بها بانزعاج وهو يحدق بفارس الذي ألقى بنفسه على السرير حاشراً وجهه في الوسادة محاولاً النوم قبل مداهمة الأعراض له..

وفجأة سمع همهمة غريبة من الهاتف جعلت حاجبيه ينعقدان فهو ليس صوت زيد قبل أن يكتسي صوت زيد بضحكة متهكمة خافتة ثم أجاب:

- حسناً.. حسناً.. لا تغضب.. من خلال بحثي وجدت أن السيد راكان عبد السلام وزوجته انتقلا للعيش في بريطانيا بعد



Scanned with CamScanner

مقتل طفلتهما لَمى.. والمهم في الأمر أن زوجته السيدة فاتن قد كان لها زوج يسبق راكان اسمه أمجد بسّام ثروت.

- سحقاً.. هو أخ لفاضل؟

صاح نادر مذهولاً فهو لم يتوقع ذلك إطلاقاً..

- نعم.. وأمجد هذا لديه ابنة اسمها مايا أمجد بسّام ثروت.

- إذاً فمايا أخت لفارس غير شقيقة؟!

- هذا ما اعتقدته.. وتلك الصورة التي أرسلتها لي تطابقها تماماً ولكنها تبدو بالرسم أصغرَ سناً فبحثت عن صور شخصية قديمة لها وتيقنتُ بأنها هيَ نفسها تلك الفتاة.

ظل نادر صامتاً وهو يربط بين المعلومات الجديدة والسابقة.. قبل أن يسأل زيد فجأة باهتمام:

- لماذا يمنح بسّام ثروت أمواله لفارس بدلاً من حفيدته؟!

- هذا ما استنكرتهُ أنا أيضاً.. لا أعلم صلة فارس بجد أخته مايا!!.. ولكن قد يفيدك ما سأخبرك به الآن.. فأمجد في سن الثامنة عشرة غادر منزل والده بل طُرد منه بعد أن صرح برغبته بخطبة فاتن بالرغم من رفض والده..

- سن الثامنة عشرة؟!.. إنه نفسه السن الذي سيمنح فيه بسّام ثروته لفارس!!

تمتم بها نادر مستنكراً وكأنه قد خطر له خاطر لم يتقبله عقله بعد.. فيما تابع زيد دون أن يفهم ما يرمي إليه:



Scanned with CamScanner

- لقد سمعت أن أمجد قد قضى وقتاً عصيباً من أجل الحصول على المال بعد الرفاهية التي عاشها بمنزل والده حتى أنه لم يستطع إتمام دراسته الجامعية فترك تعليمه وتزوج من فاتن.. ومن ثم انضم لعصابة طائشة عاشت لعدة سنوات على سرقة أموال والده.. ويبدو أن والده قد نفد صبره فقدم بلاغاً عنه ورمى به في السجن ليؤدبه ولكن الشاب مات إثر وباء معدٍ في السجن.

- تبّاً.. هل ذلك العجوز يُريد أن يُكفر عن خطئه بحق ابنه بمنح فارس في سن الثامنة عشرة كل أمواله؟!

- ولكنه ليس حفيده؟!

- لم يكن بسّام ليمنح فارس أمواله لو لم يكن حفيده..؟!

ثم صمت ثوانيَ مفكراً قبل أن يسرع لسؤاله:

- هل يوجد بالسجل تاريخ مولد فارس؟! وتاريخ زواج فاتن براكان؟!

سمع تقليب زيد لبعض الأوراق قبل أن ينطق بذهول:

- أنت محق.. تاريخ ولادة فارس يسبق زواج فاتن من راكان بشهر..

ابتسم نادر لتيقنه من صحة تخمينه.. ولكن.. لمَ نسب راكان فارس إلى نفسه؟!!



Scanned with CamScanner

وكيف تقبل بسام نسبة حفيده إلى عائلة غير عائلته؟!

الكثير والكثير من الأسئلة عادت تعصف برأس نادر دون إجابة..

ولكن أهمها الآن وأكثرها.. هل يعلم فارس؟!

والتفت لينظر لفارس الذي غطى نفسه بالغطاء ويبدو أن تلك الأعراض قد بدأت معه ليتمتم بإشفاق:

- الفتى لا أظنه يعلم بأمر والده الحقيقي بل وذاك الرجل فاضل لعلّ فارس ناداه بعمه لأن مايا أخته كانت تناديه بذلك.

- كُنتُ سأتحقق أكثر ولكنك لم تتميز بالصبر وأخذت تهددني بالشرطة..

ثم احتد صوته:

- بربك نادر ألا يكفيك ابتزازاً لي؟!

انتبه نادر من شروده لسؤال زيد الضجر وكاد يرد حين سمع همهمة مجدداً تبعها صياح زيد بضجر كالمرغم:

- نادر.. اسمع.. فاضل الذي سألتني عنه لديه حارسان أحدهما اسمه إياد وقد قُتل قبل أيام.. كن حذراً فما تقحم نفسك فيه خطير للغاية.

- كُنتُ أعلم أيها التعس أن مثل هذه المعلومات لم تكن لتحصل عليها من جهازك الإلكتروني.. وما كنت لتحذرني أصلاً..



Scanned with CamScanner

ثم تغيرت نبرته وهو يسأل:

- هل حاتم معك الآن؟

سمع شهقة مرعوبة من زيد فيما علا صوت شخص آخر قائلاً بمرح:

- مرحبًا يا زعيـــم.

ازداد انعقاد حاجبي نادر لصوت حاتم فأسوأ ما قد يحدث هو أن يتدخل حاتم فهو ليس حذراً كزيد.. فيما اندفع حاتم يسـأله متفاخراً بنفسه:

- ما رأيك يا زعيم بكمّ المعلومات التي أحضرتها لك؟!

- سـأقتلك لو فطن شـخص واحد من رجال فاضـل إلى أنك تتقصى عنه.

علَت ضحكاته العابثة قبل أن ينطق:

- ليس عليك أن تقلق.. لقد كُنتُ ذكيًا للغاية وارتديت زي شرطة وأنا أتجول وأسأل عما تريده.

- أيها الغبي المعتوه.. أخبر زيد أنه سيتحمل المسئولية كاملة.

صرخ زيد مستنكراً مذعوراً:

- وما شـأني أنا؟!.. لقد كان موجوداً حين هاتفتني والتقط الاسم وذهب بإرادته دون استشارتي.

- وبقيت صامتاً كالأحمق دون أن تخبرني.



Scanned with CamScanner

حمل صوت زيد نبرة مرتجفة متهدجة وهو يجيب:

- أردتُ فقط جعل المعلومات مستوفاة كاملة لهذا صمت حين علمت أنه يبحث لأنني إن أخبرتك ستتهمني بعدم حفظ سرك وستبلغ عني.. ولأني أيضاً أريد الخلاص منك.

- لا تبكِ كالفتيات.. كم أنت مثير للاشمئزاز.

تلك العبارة كان سينطقها نادر ولكن حاتم سبقه بنطقها وهو يلتقط الهاتف ليُكمل:

- يا زعيم.. ألم تشتق إلي؟!..

- لو كان لدي قلب يشتاق لمثلك لقتلته مسبقاً.

ترددت ضحكات حاتم قبل أن يسمعه يصرخ:

- تميم.. أسرع إنه الزعيم.. هو يعنفني ويشتمني كالسابق.

- سحقاً حاتم.

صرخ بها نادر وهو يسمع صدى خطوات ثقيلة تقترب من الهاتف قبل أن يتحدث صاحبها بصوته الضخم:

- زعيم.. عنفني أنا أيضاً.

تعالت ضحكاتهم حتى أن نادر ابتسم رغماً عنه قبل أن يسمع صوت تميم قائلاً بعتب:

- لماذا منعت زيد من أن يعطيني رقم هاتفك؟! ولماذا ترفض مقابلتنا؟!.. لقد خرجت من السجن قبلنا وقد مرت ثماني



Scanned with CamScanner

سنوات.. أنا أريد لقاءك.

كلماته.. ضحكاتهم.. أصواتهم.. شجارهم.. ذكرته بالسنة ونصف السنة التي قضاها معهم في زنزانة واحدة..

واستعاد فجأة روح تلك الأيام ليجيب ساخراً:

- لقد أصبحت الآن أخصائيّاً نفسيّاً بأحد أرقى المستشفيات.. ولا ينبغي لعضو نافع في المجتمع مثلي مرافقة مجرمين مثلكم.

شهق تميم فيما دك زيد بقبضته شيئاً ما والوحيد الذي نطق بتهكمه نفسه حاتم:

- حقّاً؟!.. وكأن جرائمنا تفوق جريمتك شناعةً.. أنا لستُ سوى مخادع أخدع النساء المسنات وأعيش على ما يمنحنني من أموالهن.. وزيد مجرد سارق يعبث على جهاز لوحي.. أما تميم الغبي فقد وُجد في المكان الخاطئ في وقت خاطئ ليُحمل مع مروجي مخدرات.. وأنت يا زعيم كدتَ تزهق نفساً.. تقتل بشراً.. والآن تتفاخر علينا بكونك نافعاً في المجتمع!

زادت ابتسامة نادر اتساعاً وهو يجيبه:

- في السجن حيث ليس إلا المجرمون كُنتُ الزعيم عليكم بما اقترفته من سوء.. والآن خارج السجن حيث الأخيار أنا الأفضل بينكم أيضاً.. فهل تنكر ذلك؟!



Scanned with CamScanner

ضحك تميم فيما صمت زيد ونطق حاتم غاضباً:

- أنت تجد رداً دوماً.

وثوانٍ من الصمت قبل أن يقول نادر بهدوء:

- هل جميعكم بخير؟

صمت حلّ على الثلاثة قبل أن يعلو وجوههم التأثر.. ذلك السؤال أسعد قلوبهم وكأنهم لمسوا اهتماماً منه بهم.. فراح الواحد تلو الآخر يحكي له ما حدث بعد خروجهم من السجن وهو يستمع لهم في صمت فقد كانوا يوماً ما كل ما يملك..

- زعيم أريد رؤية هذا الفتى الذي تتقصى عنه؟! هل يملك ورثاً كبيراً؟!.. أشركنا معك.. فأنا أريد شراء سيارة جديدة.

قالها حاتم بحماس ليعبس نادر فروحهم الإجرامية قد استيقظت وهم يريدون الاستيلاء على أموال الفتى..

- زعيم وأنا رهن إشارتك.

صرخ بها تميم ليبعد نادر الهاتف عن أذنه فقد كاد يصيبه بالصمم فيما سمع سباب زيد الساخط وأنه لا شأن له بهم إلا إن منحه نادر مالاً مجزياً..

وارتفع بغتة صوت رعد صارخ فانتبه نادر لحجرة فارس التي كانت تلتمع بأضواء برق ما بين لحظة وأخرى فأسرع ليضغط الزر مغلقاً النافذة، ثم دقق النظر به ليراه يرتجف من أسفل الغطاء..



Scanned with CamScanner

هي تذكره بتلك الليلة العصيبة.. ليلة مقتل أخته..

سمع عبر الهاتف صياح الثلاثة وحديثهم المتداخل ومع ذلك..

- وداعاً.

نطقها ببرود وهو يغلق الخط فقد حصل على المعلومات وانتهى الأمر..

تلك المعلومات كانت أكثر من كافية بالنسبة له ولكنها لم تزده إلا قلقاً فبأي شخص من أسرة فارس قد يتصل بعد إخراجه..

فوالده ليس والده الحقيقي..

وأمه له معها قصة لا يعرفها ولا يستطيع أن يثق بها..

ومايا ابنة أمجد، وجدها بسّام قد منح أخاها الصغير أمواله بدلاً منها وهذا قد يثير الضغينة في نفسها وقد يكون هذا سبب زيارتها لعمها فاضل..

زفر محنقاً قبل أن يقف أمام الحاجز لينظر لفارس المسجى بالغطاء.. وظل متردداً ثوانيَ صارع فيها نفسه قبل أن يسحب كيساً من فوق الطاولة فمن الأفضل عدم تركه بمفرده..

تحرك مغادراً حجرته ثم أقفلها جيداً ليتجه لحجرة فارس ثم وقف أمام بابها مطولاً وعقله يفكر فمنذ تلك الليلة لم يجرؤ أحد على الاقتراب من حجرة فارس..



Scanned with CamScanner

فقط عندما أصيب بمرض الحساسية تجرأ المجرم واقترب من فارس..

وفي نوبته بالتحديد..

« ذلك ليس مصادفة. »

تمتم بها نادر بثقة.. ولعلّ أفضل ماتلقاه من إصابته بالحساسية تنازل ياسر له عن النوبة المسائية لما تبقى من أشهر تكفيراً عن خطئه بحقه، ولكن ذلك لم يشفِ غليله منه.. «الوغد».. تمتم بها وكفاه تدفعان باب حجرة فارس ليدخل.. وأغلق الباب خلفه و..

ابتسم مرغماً وهو يراه يرفع طرف الغطاء ليظهر وجهه المحمر المشرق سعادةً لقدوم نادر إلى حجرته، ومع ذلك ظل مختبئاً أسفل الغطاء ونادر يتحرك ليغلق ستائر النافذة، ثم سحب مقعداً وجعله في مواجهة سريره ومد بالكيس قائلاً:

- هل تريد منها؟

وعلى الرغم من محاولة فارس الاستمرار بتجاهله لأنه أجبره على تناول الأقراص إلا أنه لم يقاوم رغبته بالجلوس وأخذ الكيس منه..

وبمجرد فتحه له حتى اتسعت عيناه سعادةً لمرأى قطع الحلوى والشوكولا.. فآخر مرة قد حصل عليها في منزله قبل تسع سنوات.



Scanned with CamScanner

راح يجربها الواحدة تلو الأخرى بنهم أمام نادر الذي لم يعد يدري ما الذي لن يسعده!!.. فهو يفاجئه دوماً بفرحته بمثل هذه الأشياء الصغيرة..

امتدت يد نادر ليأخذ واحدة ولكنه فوجئ بإبعاد فارس للكيس بعيداً عنه..

- هاي.. لا تكن بخيلاً فأنا من أحضرتها لك.

- لا.

قالها بعناد وهو يسحب نفسه للطرف الآخر من السرير.

- يا لك من طفل أناني.. عليك أن تتشارك أشياءك مع الآخرين كي يتقبلوك.

تمتم بها وهو يغالب نفسه.. (عليه أن يعلمه ولكنه هو نفسه لا يفعل ذلك.)

- ليس حين تضرهم.

تمتم بها فارس والشوكولا تلطخ شفتيه ثم التفت مضيفاً بحدة:

- أحمد أخبرني أنك مرضت ذلك اليوم لأنك تناولت منها.

ارتفع أحد حاجبي نادر فهو يحاول حمايته إذاً.. وجد نفسه يضحك لتفكيره فيما ابتسم فارس وهو يواصل أكلها و.. دوى رعد قوي جعله يصرخ ويسقطها وهو يقفز إلى طرف السرير



Scanned with CamScanner

المجاور لنادر.

كانت كفاه ترتجفان وعيناه متسعتين ووجهه اعتلاه فزع كبير وهو يتكوم على نفسه أكثر في جلسته.

« أنا.. أنا خائف. »

تمتم بها وهو ينظر لنادر الذي ظل هادئاً قبل أن يسأله:

- خائف من ماذا؟!

مسح فارس شفتيه وعاد يلملم الحلويات ليعيدها للكيس ونادر يكرر سؤاله:

- فارس.. خائف من ماذا؟!

بدا وكأنه يغالب نفسه وهو يرتب تلك الفوضى ثم اتكأ بظهره على قائم السرير من الخلف وسحب ركبتيه ليضمهما إلى صدره وهو ينظر له بطرف عينه المحمر مجيباً:

- خائف من ذلك الرجل.. لقد مر أكثر من شهرين دون أن يأتي لحجرتي أو يجعلني أرى الصور أو.. أو..

ولمس جانبه الأيسر وقد تفجر قلق كبير بعينيه « أو يضربني. »

شحب وجه نادر وأطلق ما فكر فيه في صورة سؤال مستهجن:

- هل له وقت محدد يأتيك فيه؟

- كل عشرة أيام مرة.



Scanned with CamScanner

قالها فارس وهو يزيد من ضـم ركبتيه قبل أن يعلو رعد آخر جعله يشهق ويغوص برأسه بين ركبتيه..

فيما انقبضـت أصـابع نادر وعلا وجهه غضـب هادر.. فأي إجرام أشد من إجرام أن يعلم الضحية متى سيأتي المجرم لإيذائه دون أن يكون بيده شيء لردعه..

بل ولتكرار هذا العذاب لتسع سنوات أصبح فارس يعدُّ الأيام ويعلم متى سيأتي لزيارته وإيذائه..

رفع فارس فجأة رأسـه وأشـار للنافذة وتمتم ووجهه يشـحب خوفاً:

- يأتي في الأغلب حين يكون الجو عاصفاً.

والتفت نحوه « لهذا أنا سعيد لأنك هنا معي الآن. »

قالها وابتسـم وعيناه الزرقاوان الممتنتان تجوبان في عيني نادر اللتين اسـتحالتا كتلاً من حمم حارقة.. فبغض فارس وخوفه من الجو العاصـف لا يرتبطان فقط بمقتل أخته بل وذاك الوغد يحيي تلك الجريمة ويذكره بها في مثل هذه الأجواء متعمداً..

عاد فارس يلتهم من الكيس وكأن شيئاً من الراحة والأمان عاد إليه بوجود نادر ولكن لم يلبث أن عبس حين سحب نادر من تلك الحلويات فصرخ:

- ستؤذيك.



Scanned with CamScanner

- أنت هنا.. إن آذتني فاتصل بذلك الوغد.

تمتم نادر وهو يقذف بها في فمه فيما لا يزال وجه فارس يعلوه القلق فزفر قائلاً:

- ليس هيَ ما يؤذيني.. لقد اشتريتها بنفسي وقد قرأت محتواها.. لا يوجد بها أي نكهة للحمضيات.

واستغرب كيف أقنعت كلماته فارس الذي ضحك سعادةً وزال قلقه ليضع الكيس بينهما ثم قال:

- حسناً.. خذ منها إذاً.

ظل نادر يتأمله ثوانيَ قبل أن يقول بحذر:

- أخبرني عن والديك.. عن مايا.. عن جدك.

ابتسم فارس وهو يومئ برأسه وكأن سؤاله قد أسعده وانطلق متحدثاً بحماس:

- أبي شخص طيب للغاية يحب الأكل كثيراً ومايا صارمة ودائماً ما تنتهره على ذلك.. وأبي يأخذ أحياناً حلوى ويخبئها في مكتبه ثم يعطيني منها وهيَ توبخه.. أخذني مرة مع مايا للجبال وهو من اصطحبني للمدرسة أول مرة مع مايا وعلمني صيد الأسماك و.. و..

وتراوح حديثه المحب ما بين والده ومايا قبل أن يقاطعه نادر:

- وأمك؟!



Scanned with CamScanner

حلّ الصـــمت ووجه فارس يعلوه الضـيق وبعض الانزعاج وكأنه لا يريد التذكر و..

- جدي لأبي ميت.. وجدي لأمي ميت فمن كنت تقصـــد بسؤالك؟!

علم نادر أنه يتهرب من الحديث عن أمه بســؤاله المفاجئ فحرك نادر رأسه متفهماً قبل أن يقول بهدوء:

- جدك؟! بسّام ثروت؟

تباعد حاجبا فارس وظل مذهولاً للحظة قبل أن يتحدث:

- هو ليس جدي؟!.. هو جد أختي مايا وأنا فقط ناديته جدي لأنه جد مايا.. وذلك الرجل فاضـل.. هو ليس عمي.. ولكن مُنذُ كُنتُ صغيراً كان كثيراً ما يزور منزلنا من أجل مايا لذا ناديته بعمي مثلها.

صُـــدم نادر وانفرجت شـفتاه فعلى الرغم من شـكه بذلك.. ولكن تيقنه الآن من أن فارس لا يعلم أنهم أسـرته الحقيقية، بل وحديثه حول والده راكان بكل ذاك الحب الصادق..

كيف ستكون صدمته لو علم أنه ليس والده الحقيقي؟!

وأن والده مجرم قضى نحبه في السجن؟!

أطل من عيني نادر إشفاق كبير فإلى أي حد قد عبثوا بحياة هذا الفتى..

- نادر..



Scanned with CamScanner

انتبه من شروده على مناداة فارس وضحكه وهو يصيح:

- أربعَ مرات ناديتك.. والخامسة لو لم تجب كنت سأصفعك.

- هذا لحسن حظك فلو فعلتها لكُسرت يدك.

تمتم بها نادر مهدداً ولكن لم يبدُ على فارس الخوف وهو يقول متحدياً:

- كُنتُ ألعب مع مايا ننظر بعضنا لبعض ومن يرمش أولاً يصفعه الآخر.

- اختك ذات أفكار مجنونة عنيفة.

تمتم بها نادر متقززاً فيما علت ضحكات فارس وهو يسأله:

- هل نلعبها؟!

- حين كنت تلعبها مع مايا من كان يتلقى الصفعات؟

- أنا.

قالها فارس بحزن ليضحك نادر وهو يستعد قائلاً:

- ويبدو أن حاضرك سيئ كماضيك.. لا بأس.. فلنبدأ إذاً.

لمَ هو يفعل ذلك؟!.. لا يعلم.. لمَ هو يجيب طلباته الغريبة؟!.. أيضاً لا يعلم.. ولكن الحقيقة هو مستمتع.. مستمتع بالفعل برفقته ومغالبة جنونه الطفولي أحياناً.. وحديثه وتصرفاته كالكبار في أحيانٍ أخرى..



Scanned with CamScanner

وهذا ما حدث حين مرت خمسُ دقائق وفارس يفرك وجنته اليمنى وابتسامة باهتة ترتجف فوق شفتيه قائلاً:

- عليّ أن أتحمل كالكبار.

ظل يرددها وعيناه تغالبان مياههما قبل أن يلكم بضعف كتف نادر صارخاً بألم:

- إنها تؤلم.. تؤلم.. تؤلم!

تراجع نادر للخلف وظل يضحك وهو يقول:

- إنها صفعة واحدة فقط وأنت من أصررت على تلقيها رغم رفضي ثم إنك لم تعد صغيراً.. فهكذا يلعب البالغون وعليك حين تقول كلمة أن تتحمل مسئوليتها.

- ولكني مريضك.. كان عليك أن تخففها قليلاً.

- بحق.. هذه أخف صفعة فعلتها في حياتي.

شحب وجه فارس وبدا عليه الخوف فإذا كانت هذه أخفها فكيف إذاً أشدها!!

- حسناً.. لقد زالت العاصفة ولدي بعض العمل سـ..

كان ينهض حين شعر بكف فارس تتعلق بذراعه لينظر له مندهشاً فيما تمتم فارس فجأة ببؤس:

- هل.. هل سأتحسن حقّاً؟!

- كل شخص يتلقى العلاج سيتحسن بإذن الله ولكن إن بقيت



Scanned with CamScanner

خائفاً من أن العلاج لن ينفع مع مرضك فسترفض الأقراص مثل الليلة وما سبقها من ليالٍ لذا فلتتوقف عن خوفك.

ترك فارس ذراعه فيما عاد نادر ليجلس حين لحظ أنه يعاني أكثر مما اعتقد فقد نطق فجأة بنبرة مرتجفة:

- أنا خائف.. خائف أيضاً من الخروج.

- لماذا؟! أليس هذا ما رغبتَ به طوال ثمانِي سنوات!!

- خائف عند خروجي أن لا تتقبلني أسرتي.. أن يبغضوني.. أن يرفضوني لأني مريض وأكون كالعبء عليهم.

اتسعت عينا نادر لتفكير فارس فقد بدا له متزناً بل وتفكيره بالمستقبل يتناسب مع عمره.. ولكن إن استمر هكذا فقد يدمر معنويات نفسه..

وقبل أن يمنعه من المواصلة كان قد قال وجفناه يرتخيان حزناً:

- خائف أيضاً أنه عند خروجي وتقبل أسرتي لي أن تتركني.

وأدار عينيه اللامعتين وقد احمرت وجنتاه وهو يسأله متوسلاً:

- هل.. هل تكون طبيبي الخاص؟

لم ينطق نادر واستعجمت عليه الكلمات ففي حياته لم يتخيل أن يتلقى مثل هذا الطلب.. ومضت تلك الليلة دون أن يجيب.. فقط أخبره أنه سيتلقى رده وقراره حين يخرج من المستشفى..



Scanned with CamScanner

فقارس لم يعلم أيضاً ماضي نادر والذي لو علمه شخص واحد محب لفارس من أسرته فلن يسمح له حتى بالاقتراب منه.

ولكنه لم يضيع ذلك الطلب هباءً فقد اشترط للرد عليه التزام فارس بالدواء لما تبقى من الليالي دون نقاش..

ويبدو أن هذه الليلة قد تبعها الكثير من ليالي السمر الممتعة..

***

٢١ سبتمبر

تحركت زوايا شفتي نادر بابتسامة واسعة وهو يقرأ عبر شاشة حاسوبه الشخصي ذلك التفاعل المتحمس من البرفسور حول نتائج علاج فارس أتبعه بتوسله اليائس له أن يكشف له عن هويته وهوية مريضه كي يشرف على العلاج بنفسه.. وتذمر عن كون أستاذ نادر الجامعي شديد التحفظ حول أي معلومات عنه إلا أن وعده له بأن يذكر اسمه يوماً ما بإشرافه على العلاج يحفزه للاستمرار بمساعدته..

« يسعدني أن أكون درساً جيداً لمحب تميز وظهور مثلك. » تمتم بها بوقاحة وهو يغلق الحاسوب كي ينقل ذاك الخبر لفارس.

***

« لا أقراص الليلة. »

هل ما يسمعه صحيح؟!..



Scanned with CamScanner

سقط الكتاب من بين يدي فارس وقفز من أمام النافذة ليلتصق بالحاجز وقد حمل وجهه تعبيراً غير مصدق انتقل لنادر الذي كان يقف بمواجهته من الجانب الآخر والذي ضحك من تعابيره المندهشة..

« نعم لا أقراص الليلة. »

كان سيصرخ سعادةً ولكن لحظة: هو ليس متيقناً تماماً.. فلم تكتمل الأربعة الأشهر ونادر ليس من النوع المتساهل معه..

فتح شفتيه سينطق ولكنه يخشى أن يغير نادر رأيه.. ولكن لم يلبث أن ضغط على نفسه ليسأل بوجل:

- إنه اليوم الثالث عشر من الشهر الرابع.. ليس وكأني أريد تناولها ولكن لمَ فجـ..

كلماته المتوترة المتعثرة قوطعت من نادر حين قال موضحاً:

- لقد ظهر أثرها عليك.. وإذا ما استمررت أكثر فقد يدمنها جسدك.. ولذا سيكون تناولها كل عدة أيام مرةً واحدةً.. وبعدها كل أسبوع مرة إلى أن نوقفها تماماً.

هنا أُضيء المؤشر الأخضر لفارس ليصرخ سعادةً ويقفز.. لقد حصل أخيراً على ليلة سينفذ فيها كل رغباته بعد زمن طويل من الحرمان..

ملأت السعادة قلبه وبان الحماس بذراعيه الممتدتين للأعلى قبل أن يركض ليقف أمام الحاجز باسطاً كفه اليمنى وراح يعد



Scanned with CamScanner

أصابعه تتاليا وهو يقول بوسع فمه:

- الليلة.. الليلة ستأخذني لحجرتك.. وسأتذوق تلك القهوة التي تأتي بها إلى حجرتي دون أن تسمح لي بالشرب منها.. وأريد عشاء برقر.. وهاتفك ستعطيني إياه وسأرسل لأحمد.

كان يتحدث في الوقت الذي راح فيه وجه نادر يمتقع ويظلم تدريجيًا ويبدو أنه مع الأخيرة لم يحتمل أكثر ليتمتم:

- لقد أخطأت.. يوجد أقراص لليلة.

هذه العبارة اللئيمة حطمت تلك الفرحة بأكملها لتهتز شفتا فارس ويشحب وجهه فأسرع يقول:

- كُنتُ أمزح.. أمزح.

لم يذهب ذلك الانزعاج من وجه فارس.. فحتى لو كان يمزح فليس عليه أن يكون بهذا اللؤم القاتل للمتعة والفرح!!.

- حسنًا.. كل ما طلبته سأنفذه.

تانك العينان الحزينتان ما زالتا كما هما وشفتاه تتمتمان بأسىً:

- كُنتُ سأطلب منك أن نأخذ صورة معًا في الهاتف.. ولكن.. ولكن..

- قلتُ لك.. لا بأس.. لا بأس.

تمتم نادر بسرعة فصرخ فارس بسعادةٍ..

ولكن لحظة!.. ما كان طلبه الأخير!.. تبًا ليس وكأنه سيفعل



Scanned with CamScanner

ذلك معه..

وأراد أن ينطق برفضه ولكن فارس واصل صيحاته السعيدة وهو ينطلق لخزانته ليستحم ويتهيأ للتصوير..

وفي أعماقه شعر نادر أن فارس بحزنه المبالغ فيه كان يخدعه فقط للحصول على هذا الطلب بالذات..

تأمل وجه فارس وهو ما بين ثوان وأخرى ينظر للحاجز مبتسماً له.. كانت خصلات شعره ملتصقة بوجهه إثر تعرقه الزائد نتيجة الأقراص.. بل ولا يزال يظهر عليه بعض خمولها وتعبها..

- ستزول خلال الأيام القادمة إن شاء الله.

همس بها نادر وهو يأخذ هاتفه وأجرى عدة اتصالات ثم أغلقه قائلاً:

- بعد أن نجري هذا الاختبار يمكنك ممارسة متعك ولهوك كما تشاء.

عشرَ دقائق أخذ من فارس الاستحمام، خرج مرتدياً رداء رياضياً أصفر بقلنسوة قد تدلى خيطاها الأزرقان فوق صدره ومن أسفله بنطال جينز.. فيما ارتفعت أصابعه ترتب فوضى شعره الفاحم ليشكله بشكل جميل ومناسب للتصوير..

وكان بخضم شغله حين ارتطمت عيناه بمرأى نادر في حجرته يحمل وسادتين وضعهما أسفل غطائه مشكلاً لهما بهيئة شخص



Scanned with CamScanner

نائم.

تراجع فارس للخلف وبدا الاستهجان في عينيه.. فإن كانت لعبة جديدة فهو لا يريد لعبها.. فيما انتبه نادر لخروجه ليتمتم بهدوء:

- هل انتهيت؟!

لم يجب فارس ولاحظ نادر تراجعه وتحديقه بالسرير.. ما الذي يفكر به؟! هو لا يعلم.. ولكنه يبدو خائفاً..

- ما بك؟!

- لسنا صغاراً للعبها.. ثم إنها للفتيات.. وأنا لستُ فتاة..

وعبس بوجهه:

- وأنت أكبر من أن تلعب سخافة مثلها.. أو تصدقها.

مجدداً لم يفهم ما فكر به ولكنه شعر بأن تفكيره يحمل شيئاً يشين لكبريائه فأظلم وجهه واتجه نحوه:

- أيُّ سخف تفكر به الآن؟!!

نظرات نادر المحتدة وذراعاه المعقودتان أمام صدره جعلته يرتبك وهو يسأله:

- أليست تلك اللعبة القديمة؟!.. كانت تلعبها مايا معي أنا ولَمى.. نضع شيئاً أسفل الغطاء وننتظر إن كان سيأتي ذاك الذي تسميه.. لا أعلم ما هو!!.. الذي يضغط على الناس وقت نومهم



Scanned with CamScanner

ويخنقهم.. اسمه.. اسمه.. آه نعم.. الجاثوم.

ارتسمت نصف ابتسامة باهتة على شفتي نادر وشعر بقشعريرة.. فأيُّ لعبةٍ هذه؟!!.. تلك المجنونة أخته هيَ من اخترعتها بالتأكيد!!.. بل.. بل.. كيف كان يحدثه عن كونها لطيفة؟!

- أنت لم تكن تقصد تلك اللعبة؟

سأل فارس بسرور حين رأى ملامحه المتجهمة ليستقبل عنقه ذراع نادر الذي خنقه وكفه التي بعثرت شعره وهو يقول:

- سخيفة!!.. وللفتيات أيضاً!!.. كدت تخدعني أيها المحتال.. أنت خائف فقط.

ضحك فارس حرجاً فهو خائف بالفعل ثم حاول إبعاد ذراع نادر عنه فقد رتب شعره للتو ولكن لمحت عيناه بالأسفل تلك الفوضى التي لم ينتبه لها سابقاً..

ويبدو أن نادر أدرك ذلك ليبتعد عنه ثم قال مستعجلاً:

- هيا.. علينا أن نغادر الحجرة.

استغرب فارس وهو يتبعه متفادياً أكوام القمامة المنتثرة في حجرته..

ودقائق فقط وكان فارس يجلس على مقعد أمام الحاجز في الحجرة المشتركة فيما أغلق نادر زر المايك وقد اكتسى وجهه



Scanned with CamScanner

بجدية واهتمام شديدين جعلا فارس يلوذ بالصمت وهو يراقبه..

ثوانٍ ونطق نادر بحزم:

- لا تتكلم مهما حدث.

أومأ فارس برأسه وهو يفرك عينيه فما زالتا تؤلمانه بعض الشيء.. وفجأة انتبه لدخول رجل مسن لحجرته!..

كل ذرة من تركيز أودعها في نظراته وهو يراه يدخل بهدوء للحجرة وشفتاه تتمتمان بسباب خافت ضد نادر الذي أجبره على دخول حجرة هذا المريض العنيف وتنظيفها في مثل هذا الوقت.. كان يكنس بحذر متجنباً الاقتراب من السرير خشية إيقاظ فارس النائم..

خمسُ دقائق وكان الرجل خارج الحجرة فالتفت فارس بعينيه الزرقاوين الممتلئتين حيرة لينظر لنادر المبتسم دون أن يفهم سبب فعله هذا..

وانتبه فجأة لإشارة من نادر جعلته يعود بنظره نحو حجرته مجدداً ليرى امرأة في أواخر الأربعين بدا أنها المسئولة عن تنظيف الملابس.. كانت تقف أمام الباب مترددة وقد ملأ وجهها فزع عنيف من النائم هناك..

وبعد تردد دخلت والتصقت بالجدار لتسير إلى جواره محاولة التقاط سلة الغسيل قبل أن يفطن فارس لدخولها..



Scanned with CamScanner

- تبّـاً.

نطق بها فارس فجأة وقد احمرت وجنتاه وحنى رأسه..

- ما الأمر؟!.. هل تشعر بشيء غريب؟!

حمل تساؤل نادر كل قلقه وانزعاجه فأومأ فارس برأسه نافياً قبل أن يرفع له عينين ملؤهما تأنيب الضمير وهو يجيبه:

- هذه المرأة.. قبل عدة أشهر.. بل سنة وأكثر ضربتها بالمقعد لهذا هيَ خائفة مني.

كتم نادر ضحكته والاثنان يعودان بنظراتهما للمرأة التي بمجرد حملها للسلة اندفعت خارج الحجرة راكضة حتى أنها تركت الباب خلفها مفتوحاً..

- لقد ظنتها المجرم.. أنا.. أنا لم أقصد إيذاءها.. هل عليّ الاعتذار منها؟

وصمت ورمش بعينيه عدة مرات وتلك الابتسامة الغامضة على شفتي نادر تتسع.. وتتسع.. فاحمرّ وجه فارس صدمةً واتسعت شفتاه وكأنه أدرك شيئاً للتو.. ولا إراديّاً اندفع معانقاً لنادر دون صوت.. فقط دموعه من تحدثت ونشيجه الخافت..

ردة الفعل هذه لم يتوقعها نادر أبداً وهو يحاول حفظ توازنه.. وشفتاه تنطقان:

- لم أكن أظنك بطيء التفكير هكذا!!.. ظننتك منذ اللحظة



Scanned with CamScanner

الأولى ستلحظ رؤيتك لهما وأن عقلك لم يوهمك بكونهما المجرم..

فقط ظل يبكي سعادةً وذراعاه تعتصران نادر فهو لم يشعر بشعور سيئ لرؤيتهما..

لم يخف..

لم يقلق..

كان كشخص طبيعي..

بل وكما كان في طفولته..

- حمداً لله.. حمداً لله.

راح يرددها قبل أن يصيح شاكراً لنادر الذي كانت فرحته لا تقل عنه وهو يعيده للخلف قائلاً:

- ستستمر على الدواء..

حرك رأسه بالإيجاب وما زالت الدموع تغطي وجهه..

قطع احتفالهما الصغير طرقات مفاجئة على باب الحجرة المشتركة مما جعل نادر يدفع فارس نحو حجرته ويغلق عليه الباب ثم قال بهدوء:

- ادخل.

دخل أحد عاملي المستشفى وبيده عبوة مياه من الحجم الكبير قائلاً:



Scanned with CamScanner

- لقد تم طلب مياه من أجل آلة قهوتكم.

أشـار له نادر ليضـعها على المنضـدة جوار آلة القهوة ثم أخذ الفارغة وغادر.. ولم يكد يغادر حتى انتبه نادر لباب حجرته الموارب والذي كان يتلصـص منه فارس قبل أن يخرج رأسـه صائحاً بقوة:

- لقد رأيته هو أيضاً.

ارتبك نادر وأسرع يغلق الباب حتى لا يسمع الرجل صيحته، فيما تبدل حال فارس ليدور في الحجرة وهو يضحك..

ثم انطلق نحو حجرة نادر مجدداً لينظر من نافذته للأسـفل مركزاً على الناس هل يسـتطيع رؤيتهم أم لا؟! ويصـرخ بالوقت نفسه..

« ذلك المس من الجنون قد أصابه مجدداً. »

هتف بها نادر محنقاً فكيف سيتعامل معه الآن!!..

- نـــاااادر.. تعال.. رجل المكنسة ركب في سيارة أجرة وهو مغادر.. وحامل المياه إنه يخرج الآن ناقلاً العبوات الفارغة لتلك الشاحنة.

تنهد نادر بتعب.. (ألم يكن أفضـل حالاً مع الأقراص؟!).. ولكن هو لا يريد كسر سعادته تلك بعد أيام العلاج الطويلة.

وجد نفسه ينحني إلى جواره ليشير إلى سيارة قائلاً:



Scanned with CamScanner

- تلك سيارتي هناك.. ستكون وسيلة تنقلنا وس..

بتر عبارته ولحظ نظرات فارس التي يناوبها بين السيارة وبينه وقد حملت أسفاً وإشفاقاً كبيرين..

فهم نادر سر نظراته ليتلقى فارس ضربة خفيفة على رأسه ونادر يقول مغضباً:

- لستُ فقيراً إلى هذا الحد المثير للشفقة.

- أنا.. أنا لم أقل شيئاً.

هتف ويده تضغط مكان الضربة وشفتاه تمتدان انزعاجاً..

- عيناك اللتان كادتا تبكيان نطقتا الكثير والآن اسمع لقد نفذت وعدي وأتيت لحجرتي والآن ستعود لحجرتك و..

- لا.. لا.. لا.. ليس قبل أن تنفذ بقية وعودك.

- أنا لم أنطق شيئاً بعد.

- أنت تتهرب من التصوير.

ابتسامة باهتة قفزت لشفتي نادر فهذا الفتى بدأ يفهمه أيضاً..

وأمام عينيه راح فارس يتجول في حجرته متجاهلاً له.. لامساً هذا وذاك.. بل وامتدت يده لخزانة نادر ليُقلب ملابسه وقد اعتلى وجهه انبهار ممتزج بالغيرة.. فملابسه ذات ذوق رفيع يتغلب على منظر سيارته مئات المرات..

- هل يمكنني تجربة هذا؟!



Scanned with CamScanner

تمتم بها وهو يشير لمعطف أزرق ذي حياكة ونسيج راقيين يشابه ما كان يرتديه والده راكان..

- لا.. بالطبع.

رد بحدة وهو يتجه ليأخذ هاتفه من على المنضدة قبل أن يختطفه فارس ولكن لم يكد يلتفت للخلف حتى رآه يضحك والمعطف يصل لمنتصف ساقيه وكفاه تدفعان كميه الواسعين المكويين بعناية للخلف ليصلا إلى مرفقيه مقلداً الجانحين.. بل وراح يَثني ياقته غير مدرك كيف يُعدلها فقد احتكت لطولها بأعلى عنقه وآذته..

وبحق لم يكن عليه أن يلتفت ليرى ذاك البركان المحتدمة أعماقه اشتعالاً والذي يوشك على الانفجار..

وانفجر صدقاً وساقاه تتسارعان نحوه صارخاً:

- سأقتلك.. سأقتلك يا فتى الكهف.

بدا الخوف على فارس وبدلاً من نزع المعطف راح يركض من زاوية لأخرى قافزاً فوق السرير والطاولات..

وعلا رنين هاتف نادر بغتة وبالقوة منع نفسه من اللحاق بفارس وقتله وهو يرى اسم المدير المدون على شاشته..

أشار لفارس بحدة أن يصمت.. ودائماً تلك اللهجة الجادة منه تجعل فارس يُذعن له فيما استمع نادر للمدير للحظات قبل



Scanned with CamScanner

أن يقول:

- حسناً.. أنا بانتظارك.

وأغلق الهاتف ليتبدل حاله ويعلوه التوتر وهو يقول لفارس آمراً:

- عليك العودة لحجرتك.

توتره وارتباكه انتقلا لفارس فنزع المعطف واتجه راكضاً للخارج فيما راح نادر يرتب فوضى الحجرة المشتركة قبل أن يرى ذاك الحزن الذي غطى وجه فارس وهو يدخل حجرته ويغلق بابها ليرمي بنفسه فوق السرير في إحباط شديد.

دقائق فقط وكان المدير يجلس في الحجرة مع نادر وعيناه تتأملان بلا رغبة كوب القهوة الموضوع فوق المنضدة أمامه والذي قدمه له نادر، ثم انتقل بنظراته لفارس الذي ظل ملازماً لسريره فنطق نادر بشيء من الحذر:

- ما الموضوع المهم الذي قلت إنك ستتحدث معي بشأنه؟!

تنهد المدير وبدا أنه يكره ما سيقول:

- لقد أفرغوا له حجرة بالمصحة العقلية سينتقل إليها.

شحب وجه نادر وانقبض قلبه ولم يفلح في إخفاء استنكاره وهو يرد عليه:

- ولكن بقي شهر ونصف الشهر على انتهاء الأشهر الستة لمَ



Scanned with CamScanner

هو مستعجل هكذا؟!

هز المدير كتفيه بقلة حيلة وهو يجيبه:

- لقد أخبرني عمه أن نمضي خلال هذه الأيام الخمسة القادمة في إجراءات إخراجه ومن ثم سينقله لمنزله لمدة عشرة أيام يعاينه فيها طبيب المصحة العقلية قبل أن ينقله إليها رسمياً، وبعد أحد عشر يوماً ستكون جلسة محكمة مهمة للوصاية عليه وقال إنه بحاجة لعدة أطباء وليس طبيباً واحداً للشهادة بعدم أهلية هذا الفتى لتولي أمور نفسه ليكون عمه رسمياً هو الوصي عليه.

ثم وقف قائلاً:

- يقول إن عليك أن لا تنسى وعدك فأنت أحد هؤلاء الشهود.

ألجمت الصدمة لسان نادر ففارس يحتاج لنصف شهر آخر ليتيقن من اتزانه قبل تهريبه واتسعت عيناه وعقله يجري عملية حسابية لذلك العدد من الأيام الذي صرح به المدير، إنها ستة وعشرون يوماً فقط تفصل فارس عن بلوغه الثامنة عشرة واستحقاقه لورث جده..

ضغط هائل شعر به وهو ينظر لفارس الذي راح يعبث بقلنسوة قميصه الأصفر يغطي بها رأسه وشعره، ووجهه يحمل ابتسامة مستمتعة بريئة..

- أخبره أنني سأكون عند حسن ظنه.



Scanned with CamScanner

قالها وقد استعاد طبيعته الباردة ليبتسم المدير ويربت على كتفه قائلاً:

- المتبقي خمسة أيام فقط أعانك الله عليها ولقد اهتممت به جيداً.

ثم بدا عليه الضيق وهو يغادر قائلاً:

- سيفقد المستشفى أحد مصادر دخله العالية وهذه كارثة.

أظلم وجه نادر واحتدت نظراته فهذا جلّ مايشغل باله!!.. فقدان المال!!..

ولكن ماذا لو فقد فارس عقله في تلك المصحة العقلية؟!.. ألا يهتمون؟!

ألا يرون أن مرضه لا يستدعي نقله لمصحة عقلية؟!

بل لمَ يريد عمه نقله لمنزله أولاً!! هل يريد تحطيمه والتيقن من كونه يفقد اتزانه ويعامل الناس بعنف ظنّاً أنهم المجرم قبل أن تُعقد محاكمته!!..

- سأخرجه.. سأخرجه.

قالها نادر وهو يلتقط هاتفه، فحتى لو اضطر للاستعانة بأصدقائه المجرمين سيخرجه وقبل اكتمال الأيام الخمسة..

التقط كوب القهوة الذي صنعه مسبقاً للمدير وراح يجرع منه في ارتباك وتوتر وعقله يفكر بخطة جيدة لإخراجه و..



Scanned with CamScanner

دقائق فقط وشعر بأن عقله يدور..

- هل أنا مضغوط إلى هذا الحد؟!

تمتم بها وهو يجلس على الأريكة للتخفيف من ذلك الدوار ولكن اهتزت الرؤية من أمامه وسقط الكوب من كفه لتتناثر أجزاؤه في أركان الحجرة..

ذُهل نادر مما حدث.. وما يحدث له..

وانتبه فجأة.. ذلك ليس طبيعيًا على الإطلاق..

لا بد أنه من المياه التي أحضرها الرجل والتي استخدمها في صناعة القهوة فهو بالفعل يشعر بالخدر يسري في كل جسده بل هو على وشك فقدان وعيه..

انقبض قلبه وشحب وجهه فلا بد من أن ذلك الرجل قد سئم من محاولة الوصول لفارس وفشله المتكرر ولذا اضطر لتخديره..

تحامل نادر على نفسه بصعوبة فلو اقترب ذلك الرجل من فارس فسيدمر كل ما بناه..

سيتسبب في انتكاسته..

سار ليقف أمام زر المايك ويضغطه مناديًا:

- فارس.

التفت فارس نحو الحاجز وقد علَت شفتيه ابتسامة متحمسة



Scanned with CamScanner

فلعلّ نادر سينفذ باقي الوعود ولكنه فوجئ بصوت نادر المرهق وهو يقول آمراً له:

- خذ.. خذ ألوانك الشمعية واضغطها في فتحة مقبض الباب.

طلب غريب!!.. والأغرب صوت نادر المتعب!! ولم يملك فارس نفسه ليهتف قلقاً:

- نادر.. أنت لست بخير.. هل أُصبت بالحساسية؟!.. أنا سآتي إليك.

كان سيتحرك حين سمع نادر يصرخ غاضباً:

- بابك مقفل.. لقد أقفلته حتى لا يدخل المدير عليك.. والآن خذ الأقلام واضغطها في فتحة الباب.

- لماذا؟!

تمتم بها منزعجاً فهو لا يريد خسارة أقلامه كما لو أنه أتلف الباب لن يستطيع الخروج ولن يكون بمقدور نادر الدخول عنده.

- فارس.. افعل ذلك.. رجاءً.

نطق نادر عبارته كالمتوسل حقّاً ليفزع فارس فذلك ليس نادر الذي يعرفه.. ولكن في الوقت ذاته أدرك أن هناك شيئاً مهمّاً وإلا لم يكن نادر لينطق برجائه بل وبصوته المتعب.

أسرع فارس ينفذ ما قاله ليحشر ثلاثة من الألوان التي تكسرت تتالياً في تلك الفتحة ونادر يراقبه من الحاجز قبل أن يقول:



Scanned with CamScanner

- اسحب الخزانة وضعها خلف الباب.

غادر اللون وجه فارس وارتجفت شفتاه وكأنه أدرك ما يهدف نادر إليه، ودون تردد راح يدفع الخزانة وقد كانت ثقيلة حتى أنه شعر برغبة بالبكاء مع ضعف جسده ونادر يهتف به:

- لا تكن ضعيفاً.. نعم.. ألصقها بالباب.

راح فارس يلهث وقبض على صدره في ألم فصحته ليست جيدة كما أن حبسه بحجرة واحدة قد أفقد عضلاته القوة ولكن نادر لم يكفه ما فعل ليهتف وصوته يخفت تدريجيّاً:

- اضغط بسريرك على الخزانة كي يثبتها.

حدق فارس بعيون تلتمع إلى الحاجز فصوت نادر ليس بخير إطلاقاً.. ولكن تكرار نادر لطلبه جعله يسحب السرير وصدره يئن وأنفاسه تتلاحق وثبته أخيراً به..

وعلَت شفتي نادر ابتسامة خفيفة.. وإن كان لا يعلم هل سيفيد ما فعله فارس أم لا؟!

خانته قدماه ليسقط على الأرض ويشهق إثر ارتطام وجهه بالأرضية.. وذلك الصوت المتألم وصل لسمع فارس الذي بكى خوفاً وهو يصرخ:

- هل هو عندك؟! هل سيؤذيك؟!

ولكن نادر لم يستطع حتى النطق أو تهدئته، وأقسمت كل ذرة



Scanned with CamScanner

من كيانه إن جاء ليل الغد فإن فارس لن يبيت بهذا المستشفى..

كان وعيه يتلاشى حين شعر بخطوات شخصٍ ما وأغمض عينيه وذلك الشخص يبحث في جيوبه عن مفتاح حجرة فارس دون أن يملك نادر قوة لمنعه..

وفقد الوعي..

***



Scanned with CamScanner

# الفصل الثالث عشر

- الساعة الواحدة فجراً -

كان الفزع يسكن ملامح فارس مع اختفاء صوت نادر، وتضاعف ذلك القلق آلاف المرات في أعماقه، وشفتاه تناديان باسمه عدة مرات، أسرع ليقف أمام الحاجز علّ أذنيه لم تسمعا همسه الضعيف والمتعب..

ولكن لا صوت!..

تلَفَّت فيما حوله وانتابته نوبة هلع فظيعة وهو لا يدري ما عليه أن يفعل!.. فالباب مغلق ونادر ألزمه بإغلاقه أكثر بالخزانة والسرير..

ولكن..

ما الذي يحدث عند نادر؟!

وهل هو بخير؟!

كان في خضم تساؤلاته المضطربة حين تناهى لسمعه صوت شيءٍ ما يدخل بثقب الباب..

ابتسم لا شعوريّاً.. لعلّه نادر وقد عاد ليفتح الباب..

لكن الباب قد أُتلف بالأقلام ونادر يعلم ذلك؟!



Scanned with CamScanner

شهق فارس وتيقن قلبه المتسارعة نبضاته أنه ذلك الرجل وقد عاد إليه.. ليمسكه.. ليقيده.. ليضربه.. وليجبره على رؤية صور جثة أخته لَمى الممزقة..

استعادة ذاكرته لتلك الصور جعلت أنفاسه تضيق وراح جسده يرتجف وهو يعود للخلف حتى ارتطم بالحائط خلفه..

انزلق جسده ليحط جالساً وقبض على ركبتيه وأخفى رأسه بينهما وشفتاه تكرران:

- لا.. لا.. لا.. لا.. لا.. لا.. لا..

ظل يكررها ومحاولات ذلك الرجل التي زادت عنفاً - لفتح الباب - تزيد من ارتجافات جسده..

مر خمسُ دقائق.. وعشر.. وعشرون.. وتلك المحاولات تسكن مرة ولا تلبث أن تعود..

وبمرور أكثر من نصف ساعة سكنت تلك المحاولات مما رفع أمل فارس بأن الرجل قد استسلم أخيراً أمام فتحة المقبض التالفة التي لم تستجب له..

رفع فارس رأسه وتطلع ببعض التفاؤل حين صدح في الحجرة فجأة صوت قبضة ثائرة دكت الحاجز وجعلت فارس يشحب خوفاً ويقفز فزعاً ليبتعد للاتجاه البعيد عنه..

عيناه ظلتا مسمرتين بخوف على الحاجز وفي نفسه تيقن أن الرجل يبادله النظرات من الطرف الآخر ولكن بعينين تكادان



Scanned with CamScanner

تشـتعلان حقداً وغضـباً أمام كل ذلك الأثاث الضـاغط على الباب..

- اللعنةُ عليك.

بكت عينا فارس والرجل ينطق شـاتماً له والذي تعرف فارس صوته على الفور.

- أبعدها.. أبعدها عن طريقي وإلا لو دخلت بنفسـي لمزقت جسدك كله.

لم ينطق فارس.. فقط راح صـدره يعلو ويهبط ووجهه تغطيه الدموع..

- أبعدهاااا.

صرخ الرجل فانتفض فارس وتحرك..

تحرك ليبعدها..

هو خائف.. خائف منه.. ويكاد الخوف يقتله.

هو لا يسـتطيع القتال أو الدفاع عن نفسـه حين يأتيه بصـورته الحقيقية أو يسمع صوته الغليظ..

فقط حين يكون متنكراً بهيئة أخرى يسـتطيع مغالبة نفسـه ومهاجمته..

ذلك الذعر والخوف شـلّا كيانه بأكمله حتى أنه بالكاد حرك قدميه المرتجفتين ليُمسك بالسرير محاولاً سحبه..



Scanned with CamScanner

سيفتح له.. سيكون ضحيته.. سيضربه ويؤذيه ثم يرحل كعادته.. فتعود له الليالي الجميلة الماتعة كالسابق مع نادر..

ولكن..

اتسعت عيناه فجأة عن آخرهما وارتفع حاجباه: ماذا لو ضربه؟!

ماذا لو ظهرت كدمات فوق جسده؟؟

هل سيدفعه نادر بعيداً عنه كما فعل في السابق!!

هل سيغضب منه؟!

بل.. بل نادر من أمره بإغلاق الباب بهذه الطريقة؟!.. ماذا لو فتحه بنفسه للمجرم كيف سينظر نادر له؟!

سيغضب منه وقد.. وقد يتركه..

شهق بهلع وكفاه تتخليان عن قائم السرير وتراجع للخلف والرجل يصرخ به:

- أبعدها أيها الحثالة.. أبعدها!!

- لا.

رد فارس وهو يتراجع ليلتصق بالحائط البعيد عنه..

نعم لن يستجيب له.. لن يطيعه.. لن يخاطر بخسارة نادر..

- أيها الوغد اللعين!!



Scanned with CamScanner

صرخ الرجل وهو يغادر الحجرة المشتركة ليعود للباب لبدء بكتفه محاولاً فتحه فيما أغلق فارس عينيه..

لن يضعف.. لن يكون جباناً..

فنادر قبل اختفاء صوته آخر ما قاله له لا يزال عالقاً بأذنيه: « لا تكن ضعيفاً. »

بل ولا يزال يذكر تلك المرة حين التبس الأمر عليه وظن أن نادر المجرم فطلب منه أن يقتله، فكان رد نادر المستخف به المستهجن لضعفه:

« كم أنت جبان! »

نعم لن يكون جباناً.. بل هو حقّاً ليس جباناً ولن يكون عاجزاً أمام هذا المجرم كالسابق..

وارتفع فجأة صوت قرقعة مخيفة، صرخ على إثرها فارس فزعاً والباب يكاد يكسر..

ذلك الرجل مصمم على الدخول إليه.. على إيذائه..

ولكن هذه المرة بطريقة أسوأ وأشد من سابقاتها فهو يكاد يفقد نفسه وتماسكه..

نهض فارس من مكانه وضغط بجسده على الخزانة كي تزيد من ثبات الباب، ويبدو أن ذلك الرجل قد انتبه فقد آلمه كتفه أكثر من محاولة كسر الباب ولاحظ أنه قد أصبح أشد قوةً وثقلاً..



Scanned with CamScanner

شـيء من الراحة تسـلل لقلب فارس حين سكن المكان ولم يعد يسمع أي صوت.

(هل رحل؟!)

تمتم بها وهو يتخلى عن الخزانة ليلتفت فيما حوله.. وقبل أن تعلو شفتيه ابتسامة خفيفة كان قد ارتفع صوت الرجل من المايك صارخاً بثورة:

- أيها القذر الجبان.. سـأقتلك هذه المرة.. سـأجعل كليتك اليسرى حطاماً ولن أتوقف حتى تفقد وعيك.

سقط فارس أرضاً وتحشرجت أنفاسه وضاع كل تماسكه والرجل يواصل حديثه:

- هل تظن نفسـك الوحيد غير السـعيد برؤيتي؟! أنا أيضـاً أبغضـك ولا أحتمل رؤيتك؟!.. ارتباط مصـيري بك ولتسـع سـنوات!.. هل تظن هذا يسـعدني؟!.. تقييدك لحريتي وارتباط جنيي للأموال بوصـولك لسـن الثامنة عشـرة هل تظن هذا ليس مرهقاً لي أيضاً!!.. اللعنة عليك وعلى عمك القذر.

لم يفهم فارس كلمة مما قالها.. فقط كل ما انتبه له.. أن ذلك الرجل يتحدث إليه ويخاطبه..

رفع يده ليمسـك بقلبه الذي كاد يخرج من عنف نبضـاته المرتعبة..



Scanned with CamScanner

ومر وقت دون أن يسمع فارس صوتاً من الرجل أو يحاول فتح الباب..

ولم تطعه قدماه بحمل جسده إلى مكان أبعد، فجر نفسه ليحشرها بتلك الزاوية وكفه تلتقط في طريقها ذلك المصحف..

لم أخذه؟!.. لا يعلم.. ولكن كفيه اللتين ظلتا تحتضنانه بينهما وشفتيه اللتين راحتا تدعوان أن يذهب الرجل نبأته بأنه دوماً هناك باب يجب أن يطرق قبل كل الأبواب وهو باب الله المفتوح دوماً..

شعور من الراحة والأمان سكن قلبه والساعة تمر دون أي حركة جديدة من الرجل..

« نادر » نطقت بها شفتاه بغتة وعيناه تعودان للحاجز..

هو حقّاً خائف من أن يؤذيه المجرم.

ومع التفاتته لحظ فجوة مائدة الطعام المفتوحة والتي كانت بخط أفقي عريض ويكفي لدخول ذراع شخص منها..

تفجرت الدموع أنهاراً من عيني فارس وتساقطت لتغرق قميصه وارتجفت شفتاه وذراع الرجل تدخل منها حاملة عصاً وضعها باحترافية بين فجوة الخزانة والباب محاولاً دفع الخزانة بعيداً عن الباب..

تلك الذراع راحت تدفع وتدفع وقد برزت عضلاتها من شدة الدفع..



Scanned with CamScanner

والتقطت أذنا فارس صوت تحرك الخزانة، ودون أن يدري كيف، نهض وركض مسرعاً ليدفعها مجدداً إلى الحد الذي علقت معه العصا بين الباب والخزانة ولم يستطع الرجل التحكم بعصاه وسحبها..

علت زمجرته الغاضبة وشتائمه العصبية وهو يحاول سحبها وقبل أن يدرك كان قد شعر بشيء يُغرس في ذراعه.. شهق ألماً وأسنان فارس تُغرس أكثر وأكثر في ذراعه..

أدخل ذراعه الأخرى وحاول دفع رأسه بعيداً ولكن يبدو أن فارس فقد نفسه واستولى عليه بعضُ حقده وبغضه، فتلك اليد هي التي قتلت أخته وعاثت في جسدها الفساد..

سالت دماء الرجل وشعر فارس بالدم بين شفتيه و..

تراخت أسنانه بغتة بعد أن تسللت ذراع الرجل الأخرى إلى خصلات شعره السوداء لتجذبها بعنف..

ولم يكتفِ الرجل بل سحب رأس فارس من شعره ليدكه بالحائط بعنف وقوة مما جعل بصر فارس يزيغ وشفتيه تئنّانِ ألماً..

- هل ظننت أنك ستتغلب علي؟!

نطق الرجل وكفه الأخرى المصابة تمتد لتمسك عنق فارس وتشد عليه كيوم مقتل أخته لمى وتحطيمه لعنقها..



Scanned with CamScanner

- دعني.. دعني إنه يؤلم!

صاح بها باكياً وكفاه تسقطان إلى جوار جسده مستسلماً للرجل الذي زاد من خنقه حتى أنه عاد ليدك رأسه بالحائط صارخاً:

- وهذا ما أريده.. إيلامك... فإن عدت لمنزل ذلك العجوز البخيل وعاينك طبيب المصحة العقلية ووجد بك بعض التعافي فلن يتركني ولن يمنحني أموالي.

كل تلك التمتمات لم يعِ فارس منها شيئاً وألمه يزداد وصوت بكائه وتوسلاته يعلو كي يتركه..

- لولا ذلك الجشع نادر المحب لاستمرار وظيفته لكنت انتهيت منك مبكراً.. ولكنه ظل كالشوكة وقد رغبت بإزالته بـ...

ابتلع باقي حروفه وصرخ ألماً وتراخت كفاه من على شعر فارس وعنقه والدم يتدفق من ثقب مفتوح بذراعه..

تلك الدماء غطت قميص فارس الأصفر وهو يتراجع للخلف ممسكاً بقلم فضي بين أصابع كفه..

وبالحقيقة لم يكن قلماً.. ولم يدرِ فارس نفسه ما الذي حدث؟!.. كان يصارع ألمه حين ذكره الرجل بنادر وتذكر عندها المعطف الذي ارتداه..

كان في جيبه قلم فضي جميل أعجبه وفي وقت مكالمة نادر



Scanned with CamScanner

للمدير نقله فارس لجيب بنطاله خفيةً.. ومع ذكر الرجل لنادر تذكر القلم فأخرجه وفتح غطاءه بيد واحدة، ليبرز جزؤه الحاد، فضرب به ذراع الرجل..

ولكن..

ذلك لم يكن قلماً؟!

كان مدية حادة وقادرة على القتل والاختراق بسهولة..

أسقط فارس المدية وابتعد حبواً عن فجوة الطعام وما زال يسمع صرخات الرجل وجرحه يثعبُ دماً..

- أيها الوغد سأقتلك.. سأدفنك حيّاً..

صرخ مهدداً وهو يسحب ذراعه نازعاً سترته ليلفها على جرحه..

و..

- من أين حصلت على هذا السكين؟!

صاح الرجل مندهشاً مفزوعاً ولا يزال يئن فيما تلألأت الدموع على صفحة وجه فارس الشاحب قبل أن يرفع كفه ليضغط رأسه والأخرى تمس عنقه هامساً بضعف:

- يؤلم.. يؤلم.. نادر يؤلم!

بدا ببكائه وهمساته كالمستغيث بنادر الذي دوماً ما يعالج جراحه..



Scanned with CamScanner

- هل حصلت عليه منه؟! من نادر؟!

سؤال الرجل أوقف أنين فارس وجعل عينيه تتسعان إلى آخرهما خوفاً من أن الرجل سيتجه بالأذى لنادر!.. فأنزل كفيه عن عنقه ورأسه، وراح يتلفت كالمجنون قبل أن تتسمر عيناه على المقعد..

خاف وانقبض قلبه فما هو مقدم عليه سيؤلمه كمرة سابقة ولكن لا حل آخر لديه..

انتفض من ألمه وسحب المقعد وراح يضرب به الحائط..

وفي موقع معين بالضبط..

- هيا.. هيا.. هيا..

راح يصرخ بها فارس فيما انعقد حاجبا الرجل دون أن يفهم ما الذي يفعله..

وانطلق فجأة..

انطلق جهاز الإنذار مدوياً في المستشفى بأكمله..

وشحب وجه الرجل وقفز هارباً..

فيما علا صراخ فارس وسقط أرضاً وكفاه تغطيان أذنيه..

كان مؤلماً.. مؤلماً إلى حد مهول مما جعل عينيه تتسعان وعقله يضطرب.. ففتىً مثله قضى ثماني سنوات دون ضجيج فمثل هذا الصوت مؤذٍ وموتر لأعصابه.. وقد حدث ذلك سابقاً وعلى الرغم من إطفائهم له لم يهدأ فارس إلا بالحقن..

***



Scanned with CamScanner

- الثالثة فجراً -

« طبيب نادر »

« طبيب نادر »

« نادر »

ظلت تلك الكلمات تتردد بأصوات غريبة وأنف نادر يشم رائحة كيميائية نفاذة جعلت وعيه الغائب يعود مرغماً وشهقت شفتاه نفساً عالياً وعيناه تفتحان بالكامل..

راح صدره يعلو ويهبط بقوة ولم يستوعب ما هو فيه بعد، وألم ارتطام وجهه بالأرضية يداهمه..

كان نصفه العلوي متكئاً على ركبة شخصٍ ما حملت كفه عبوة المادة التي استخدمها لإفاقته بينما انحنى إلى جواره عامل من المستشفى يقول:

- من الجيد انطلاق جهاز الإنذار وإلا لكان الفتى قتل نفسه وطبيبه فاقد الوعي.

- الغريب بالأمر فقدانه لوعيه.

تمتم بها سالم وعيناه تحدقان بنادر أسفل منه وحاجباه ينعقدان أكثر وأكثر..

- هل تعاني من مرضٍ ما؟

سأل سالم باهتمام فإن كان نادر يعاني من مرض يفقده وعيه فلن يستطيع البقاء كطبيب لفارس..



Scanned with CamScanner

« فارس. »

صرخ بها نادر فجأة وهو يدفع سالم بخشونة بعيداً عنه ويسقطه أرضـــاً، بل وقفز واقفاً متجاهلاً لكل ذاك الخدر الذي لا يزال يعصف بجسده وعيناه تتجهان تلقائيّاً للنظر للحاجز..

وهناك وأمام عينيه رأى سبعة من الأشخاص في حجرة فارس.. كانوا يغطون الرؤية عنه.. فاندفع راكضـــاً إلى حيث حجرته وهو يتمنى أنه لم يصـــب بســـوء.. علا لهثه وهو يُبصـــر في طريقه الباب المكســـور والخزانة المدفوعة بعيداً والســـرير الذي عاد لمكانه..

وانقبض قلبه فزعـاً وعيناه تلمحان تلك الدماء المغطية للأرضية.. هل آذاه إلى هذا الحد؟!.. أبغض ضعفه واستسلامه للمخدر وعدم حرصه وحذره بشكل أشد..

وتحرك ليقف أمام السرير شاحب الوجه متسع العينين وأربعة من الرجال يثبتون جسد فارس على السرير..

بل جذب أحدهم بعنف ذراعه المغطية لأذنه - رغم صـيحاته المتوسلة - ليقيدها بالرباط المطاطي في زاوية السرير وحذا البقية حذوه موثقين أطرافه الأربعة كاشـفين بذلك أذنيه اللتين زاد الصوت من تحسسهما وألمهما وجعله يصرخ ويتلوى باكيـاً..

فيما سـحب رجل خامس ياقة قميصـه الأصـفر ليغرس نصل حقنة مهدئ في كتفه..



Scanned with CamScanner

وليظهر في الوقت نفسه لنادر ذلك الأثر بعنقه والذي جعل قلبه يخفق بقوة فقد وصـل له المجرم إذاً بل وآذى عنقه وهو مرمي كالجثة في الجانب الآخر لا يملك حولاً ولا قوة..

« مُزعج.. يؤوؤلم!.. »

كلماته المستغيثة أيقظت نادر من لجة صدمته وبركان غضبه ليستعيد رباطة جأشه ويعود له تماسكه وهو يسرع فجأة ليغطي أذني فارس بكلتا كفيه وشفتاه تنطقان أمره:

- أسرع وأغلق جهاز الإنذار.

تراجع الرجل للخلف قبل أن يهرع لينفذ ما قاله فيما صاح نادر بباقي الرجال محنقاً:

- لقد حقنتموه بمهدئ.. ماذا تنتظرون بعد؟!!.. اتركوه.

ابتعدت أيدي الرجال الأربعة عن أطرافه الموثقة وبقي فارس للحظات يصارع فوق سريره ونادر يشدد من الضغط على أذنيه قبل أن يهدأ جسده ويفتح عينيه لتلتقيا بعيني نادر المتسعتين صدمةً..

لم يكن نادر منتبهاً لنظراته المتعلقة به وعيناه تجوبان قميص فارس الملوث بالدماء وتفجر القلق في نفسه وهو يبحث عن مكان الجرح قبل أن يرفع بصره لينظر لشفتيه اللتين علتهما بعض الدماء بل وأسنانه و..



Scanned with CamScanner

- أيُّ جنون فعله بك؟!..

تمتمت بها شفتاه من وسط أضراسه التي كادت تطحن بعضها بعضاً.. والتقت عيناه بعيني فارس الزرقاوين الواهنتين..

تانك العينان اللتان على وشك أن تُغلقا ويتلاشى وعي صاحبهما حكتا لنادر الكثير والكثير..

بثتاه شكواهما ورعبهما ولم يستطع فارس تحريك شفتيه المتقوسين ليخبره أن رأسه وعنقه ما زالا يؤلمانه..

فقط نقلت تانك العينان شيئاً واحداً وذراعا صاحبهما تمتدان نحو نادر ولكن القيد منعهما حتى من الارتفاع.

ارتخت أجفان نادر.. فما الذي يفكر به هذا المجنون في هذا الوقت؟!.. كاد يُقتل!!.. وهو الآن فقط يهم بعناقه معبراً عن فرحته كونه بخير..

لمَ هو هكذا؟!.. ولمَ يثير شعور بالذنب أعمق داخله؟!..

- لا بأس.. نم فقط وكل شيء سيكون بخير إن شاء الله.

تمتم بها نادر وكأن زمام الأمور قد انتقل إليه ليمسكه هو الآن.. ومريحاً ومهدئاً لتينك العينين الزرقاوين اللتين راحتا تختفيان تحت جفنيهما الثقيلين ورأس صاحبهما يميل لليمين غارقاً في سبات عميق.

لم يبعد نادر كفيه حتى توقف جهاز الإنذار فاستقام واقفاً قبل



Scanned with CamScanner

أن يشـير لأحد الرجال بالبقاء معه فيما أشـار للبقية بالمغادرة ما عدا سالم الذي ظل واقفاً يراقب.

راح الرجل يخرج ملابس نظيفة لفارس بأمر من نادر فيما فتش نادر عن مصـدر الدماء في جسـد فارس.. أي ضـربات.. كدمات.. ولكن لا شيء.

فقط اثر بعنقه.. ولحظ تورماً بسـيطاً في رأسـه فأشـار لسـالم بإحضار كمادات باردة.

ارتفع حاجبا سالم وأشار لنفسه سائلاً:

- أنا؟!

- نعم أنت.. أم ستبقى كالمتفرج بلا فائدة؟!

رمش سـالم بعينيه.. كيف يجرؤ؟!.. ولكن لـدقة الموقف ولمركز المريض المهم أسرع ينفذ ما طلبه..

ولم يكد يغادر حتى عقد نادر حاجبيه وراح يبحث في الحجرة محاولاً فهم ما حدث..

وسبب هذه الدماء الملوثة لفارس دون جرح يذكر بجسده!!

ثوانٍ فقط وأبصـر غطاء قلمه الفضـي اللامع فأسـرع لالتقاطه وبحثت عيناه عن الجزء الباقي ليجد المدية المرمية في مكان بعيد قليلاً..

رأى الدماء تعلوها.. ولم يصدق تخمينه بأن فارس قد استغفله



Scanned with CamScanner

وأخذها من معطفه كما فعل حين حفظ رمز قفل هاتفه..

ولكن ذلك لم يغضبه بل ابتسم لمشاكسته التي يبدو أنها قد أفادته.. رأى الدماء أمام فجوة الطعام والعصا الساقطة..

لحظات فقط وارتسم المشهد وكأنه يحدث أمامه، أسرع لينظر لشفتي فارس وأسنانه السليمة متيقناً بأن الدماء كانت دماء الرجل وليست دماء فارس المولع بالعض فزادت ابتسامته المنتشية..

- لم تكن سهلاً معه أبداً.

تمتم بها مذهولاً فقد أثار إعجابه بالفعل بشجاعته وعدم استسلامه..

وفي نفسه تساءل عن كيف استطاع التحكم بنفسه، وأحسن التصرف باستخدام المدية بل وآذى بها الرجل أذىً كبيراً فدماؤه تغرق الأرضية..

جذب عينيه ذلك المصحف القابع في الزاوية فاتجه نحوه ليعيده فوق الطاولة..

شيءٌ ما جعله يشك بأن فارس كان يقرؤه ولعله هو ما منحه الهدوء بل ووجهه إلى كيف يتصرف.

« هل أستبدلها الآن؟! »

قطع تفكيره سؤال الرجل وهو يحمل ملابس مرضية نظيفة فأومأ نادر برأسه « نعم » بل وانتبه لتلك القيود المطاطية ليزيحها



Scanned with CamScanner

عن أطرافه قبل أن يعدل جسد فارس ليمنحه نومة مريحة.

شـــيء من الألم اعتصـــر قلبه والرداء الأصـفر الذي اختاره للتصـوير ينزع عنه.. كل تلك المشـاريع التي صـاح بها لتنفذ له في هذه الليلة تحطمت..

ارتاح من الأقراص ولكن لم يرتح من الأســوأ ولعلّ مقابلته للرجل قد حطمت ليالي الأشــهر الثلاثة ونصــف الشــهر التي قاساها مع العلاج.

عض على شــفته الســفلى حتى أدماها فالرجل لم يؤذِ فارس فقط بل وتجرأ عليه هو الآخر واستغفله..

- أُقسم أنك ستندم ألف مرة.

نعم.. فهو ليس ممن يتلاعـب بـه أحـد.. وفقـدانـه للوعي وشعوره به وهو يبحث عن المفاتيح في جيوبه.. أيُّ إهانة أشد من هذه؟!!

تقافزت شــياطين الغضــب من عينيه وهو يســاعد الرجل في تنظيف وجه فارس بقماش مبلل من الدماء و..

« لقد أحضرتها »

انتبه نادر من مصـارعة بركان غضـبه ليلتفت لسـالم الذي رفع ذراعيه بكمادتين من المياه الباردة متابعاً:

- كيف ستستخدم..



Scanned with CamScanner

لم يتم عبارته وشهق فزعاً حين أمسك نادر أحد ذراعيه بقوة ودفع كمه كاشفاً عن ساعده قبل أن ينتقل للآخر متفحصاً له بعنف وكأنه يبحث عن شيءٍ ما..

- لقد تجاوزت حدك.. ما الذي تفعله؟

صاح سالم وهو يسحب ذراعيه بعيداً ليستفيق نادر ويحرك رأسه وقد علا وجهه الإحباط، ثم حك أنفه الذي سال منه خيط من الدماء - بسبب ارتطام وجهه بالأرضية - بإهمال متجاهلاً الاعتذار لسالم.

- ما الذي كنت تبحث عنه في ذراعي؟!

هتف سالم وكفا نادر تسحبان الكمادات منه واتجه لفارس مجدداً.

- تبّاً.. أنت لست طبيعيّاً.. لماذا فقدت وعيك؟!.. ثم لماذا لا تتحدث؟!.. وعن ماذا كنت تبحث في ذراع..

- أُصبت بالدوار بسبب طعام لدي منه حساسية شديدة.. كُنتُ مهملاً.. ولا أتحدث لأني غاضب من نفسي لفقداني الوعي وكاد الفتى يقتل نفسه..

سيل من الحديث البارد الهادئ تمتم به نادر وهو يضيف:

- وذراعك!.. ظننتك كأناس أعرفهم من إحدى العصابات يضعون الوشوم و..



Scanned with CamScanner

- عصابات؟!

قاطعه سالم مستنكراً « ولماذا تعرف عصابات؟! ابتعد عنهم هذا سيسيء لمركزك وللمستشفى ككل. »

انعقد حاجبا نادر أكثر وأكثر.. وظنه به خاب فعلاً فهو ليس ذاك المجرم.. أو أن نفسه الغاضبة تبحث فقط عن شخص لتفرغ فيه ثورتها..

ولكنه ليس نادماً فقد أخرج بذلك سالم من دائرة شكوكه..

فيما تحدث سالم فجأة باهتمام:

- لا عليك بشأن ما حدث فكلنا نخطئ وبذلك وإخلاصك في الأيام الماضية يغطيان ما حدث اليوم كما أن الفتى بخير وهذا ما نحتاج إليه فلا تكترث.. فقط انتبه أكثر لنفسك بأن لا يتكرر فقدانك للوعي.. ومن الجيد أن المدير الآن في منزله.

أومأ له نادر وتمتم شاكراً وهو يرى الاثنين يخرجان، لتعلو شفتيه ابتسامة عصبية ووضع الكمادات على المنضدة والتقط هاتفه وأول ما نطق به..

« حاتم هل تريد أن تلهو؟! »

ضحكات عابثة انطلقت من الجانب الآخر وصاحبها يصيح موافقاً.

***



Scanned with CamScanner

٢٢ سبتمبر - الثامنة مساءً -

حرك جفنيه المثقلين بصعوبة، ورمش بهما عدة مرات وعيناه تجوبان سقف الحجرة..

أراد النهوض!.. تحريك ذراعيه!.. ساقيه!.. لكن المهدئ لا يزال يعبث بكل جسده..

أغمض عينيه بقوة إثر صداع كاد يفتك برأسه فأداره للجانب الأيمن لتصدمه كمادة من المياه الباردة سقطت إلى جوار وسادته..

شيء جديد!..

لا بد أنه نادر..

توسعت شفتاه فرحةً ونظر نحو الحاجز و..

ارتفع حاجباه صدمةً للشخص الجالس أمام منضدته..

شخص يشاركه حجرته..

ولأول مرة..

انقبض قلب فارس فزعاً وحاول النهوض ولكن لم يطعه جسده..

انكمش على نفسه وسحب الغطاء ليغطيه فإن كان ذلك الرجل مجدداً فهو فقط ينتظر إفاقته ليسقيه من كأس عذابه..

ظل يحدق به من أسفل الغطاء بخوف ولا يزال جرس جهاز



Scanned with CamScanner

الإنذار يزعج أذنيه اللتين لم تنسياه بعد..

حاسب محمول؟!..

لمَ الرجل لديه حاسب محمول؟!.. ولمَ رأسه فوق لوحة مفاتيحه و.. هاتفه مجاور له على المنضدة!!

بل وذراعه اليمنى ممدودة فوق المنضدة وجزء من خصلات شعره الكستنائية يغطيها وصوت شخيره..

« إنه نائم. »

تمتم فارس بها مذهولاً وعيناه تبصران تلك الساعة في اليمنى ليرتجف قلبه سعادة وحماساً.. (إنه نادر.. وأيضاً نائم.. وفي حجرته).

ضحك ضحكة خفيفة وأزال الغطاء واستدار بجسده الخامل نحوه..

وظل لعشر دقائق يتأمله بابتسامة وصمت قبل أن يشعر بتحرر جسده لينهض..

نزل بهدوء وسار على أطراف أصابعه ليقف جواره ثم انحنى ينظر لوجهه.. إنه هو نفسه نادر، يشخر بصوت عالٍ.. وينام بعمق وقد بدا عليه الإرهاق..

انتبه لأنفه المحمر وشعر ذراعيه المنتصب..

« برد.. يشعر بالبرد. »



Scanned with CamScanner

بدا الأمر كالمصيبة له، فتلفت فيما حوله ماذا قد يفعل!! ولم يلبث أن سحب غطاء سريره ليغطيه به مع رأسه بالكامل.

ضحك بخفة لمنظره ووقف إلى جواره ينظر للحجرة النظيفة حتى الدماء لم يكن لها أي أثر.. و..

دخل فجأة من فجوة الحائط ذلك اللوح يحمل شتى الأطعمة..

كان جائعاً وأراد الأكل ولكن قدميه لم تتحركا وصراع البارحة في ذاك المكان يرعب قلبه.

تردد وقتاً قبل أن يتنازل عنه ليسحب مقعداً ويلصقه في الحاجز مقابلاً لنادر النائم وقد ملأت السعادة قلبه فقد كان خائفاً من أن الرجل آذاه..

ونقل بصره بين نادر والهاتف ثوانيَ ولم يقاوم رغبته ليسحبه ويبدأ العبث فيه.

ساعتان مرتا قبل أن يتنحنح نادر وهو يشعر بثقل شيء ما على رأسه فرفعه ليسقط الغطاء وتلتقي عيناه الناعستان بتينك العينين الزرقاوين اللتين ملؤهما بهجة وشفتاه المبتسمان تنطقان:

- لقد نمت في حجرتي!

هو لم يرد النوم.. كان يعمل ويحدد لرفاقه المواقع ويرسم خطته حين غفا..

- أنت بخير؟!



Scanned with CamScanner

تمتم بها نادر وهو يتراجع بظهره للخلف خشية عنف فارس وانتكاسته بعد ما حدث.. ولكن تينك العينين لم تحملا أي عدائية وهو يومئ بنعم.

« كنت رائعاً. »

ارتفع حاجبا فارس قبل أن تشق وجهه ابتسامة كبيرة فنادر يمتدحه ولأول مرة منذ لقائهما..

– لقد قاومته بشدة.. ودافعت عن نفسك.. لقد أثرت إعجابي بحق.

رقص قلب فارس طرباً وتهلل وجهه سعادة..

– ولكن ألست غاضباً من أجل القلم؟!

– لا.

نطق نادر وهو ينهض ليسقط الغطاء للأسفل فيما أخرج فارس ذراعه الأخرى الحاملة للهاتف من خلف ظهره قائلاً بتفاؤل:

– ولا هذا؟!

استحال وجه نادر أحمرَ من شدة الغضب وهو يختطفه من يده لينظر لشحن بطاريته الذي كاد ينفد.. ورصيده الهابط و..

عشرات الصور التي التقطها فارس لنفسه ولنادر النائم.. مرات بمفرده.. ومرات بعضهما مع بعض..

والأسوأ أنها مرسلة لأحمد..



Scanned with CamScanner

و..

- أنت ميت.. كلاكما ميتان.

صـاح بها حرجاً وقبضـته ترتفع لتضـرب رأس فارس الذي أسرع يغطي رأسه في خوف.. ومرت ثوانٍ ولم يشعر فارس بشيء.

رفع بصـره ليرى تلك الذراع معلقة في الهواء وعيني نادر مركزتين بضـيق على الكدمة برأسـه فقد كان الذنب ذنبه لأنه لم يستطع حمايته جيداً.

- لم تعد تؤلمني.

قال فارس بابتسامة وكأنه أدرك ما يفكر به.

تحرك نادر ليغلق الحاسـوب ويرتب أغراضـه وفارس يقول بإحباط:

- كُنتُ أريده هو ولكنك كنت نائماً فوقه.

عسليتاه اللتان تحولتا لكتل من النار جعلتا فارس يحمد الله أنه لم يمسه.

- أنا جائع.

تمتم بها فارس فجأة وعيناه محدقتان بتلك الأطعمة ليقول نادر ببرود:

- ومن يمنعك؟!.. أنت هنا والطعام هناك.

قالها والتفت للساعة المشيرة للعاشرة مساءً، بقي فقط نصف



Scanned with CamScanner

ســـاعة على موعد إخراجه لفارس، لم يظن أنه سـينام لثلاث ساعات متتالية دون أن يشعر..

حقد على أحمد الذي رفض ســت خطط من خططه قبل أن يقبل بالأخيرة.

نظر للحاجز بقلق..

كان حقن فارس بالمهدئ عند الثالثة فجراً.. وقد بقي معه في حجرته يرافقه خشيةً من عودة المجرم لأن باب الحجرة مكسور..

ولا يريد أيضـاً أن يقابل أحداً.. فقد كاد يفضح نفسه عند سالم حين فقد أعصابه وراح يبحث عن أي أثر بذراعيه..

لذا ماذا لو صـادف المجرم قبل إخراجه لفارس ففقد تماسكه وافتضـح أمره؟..هو بالتأكيد قد يقتله وعندها ستفشـل خطته ولن يخرج فارس وسيؤذي والديه مجدداً بسجنه كما تأذيا من قبل.

ولكن.. في وقت نومه هل من الممكن أنه قد انتبه أحد لعلاقته بفـارس!! خاصـــةً جلوس فـارس إلى جواره وهو نـائم دون أن يعامله بعنف.

تحرك نادر ليغادر الحجرة ليتيقن إن كان أحد يراقبه بالحجرة المشتركة..

- هل تتناول الطعام معي؟

توقف نادر لينظر لفارس الذي ملأ عينيه الخوف وهو يحدق



Scanned with CamScanner

بفجوة الطعام ليدرك لماذا لم يقترب منها!..

- حسناً.. فقط ثوانٍ وسأعود.

دون وعي نطقتها شفتاه ليصرخ فارس سعادةً فهو لم يشارك أحداً الطعام منذ سجنه بالمستشفى، فيما حرك نادر رأسه فهو حقّاً لم يعد يعرف نفسه..

ثوانٍ وكان في الحجرة المشتركة الخالية والتي يبدو أن لا أحد قد دخلها أبداً بعده..

عقد حاجبيه وتضاعف شكه ألف مرة..

ولكن نفض عنه ذاك الجنون فما هو مقدم عليه يحتاج كل تماسكه.

دقائق وكان يتشارك مع فارس الطعام والذي توسعت عيناه وشفتاه سروراً لشرائح البرقر الكثيرة والمشروبات الجديدة عليه..

و.. و..

راح يلتهم منها مظهراً امتنانه لنادر ولقد تحقق كل ما عدته أصابعه سابقاً.. التصوير والمراسلة والهاتف وحجرة نادر وأخيراً شرائح البرقر.

فيما كان نادر يفقد شهيته بالتدريج وفمه يمضغ الطعام وعيناه تحدقان بكمّ الرسائل بين فارس وأحمد على عكس المرة



Scanned with CamScanner

الماضية حين نهض ليجد فارس قد مسحها.

إذاً أحمد من أوحى له بفكرة تصويره نائماً.. بل وهو من طلب منه سابقاً أن يتصورا معاً.. إنه يسخر منه بالكامل.

وانعقد حاجباه بشدة وهو يقرأ ما قصه فارس عليه عن دخول الرجل حجرته وكيف دافع عن نفسه وأنه كان يخشى غضب نادر منه لو لم يدافع عن نفسه..

بل و.. جهاز الإنذار هو من أطلقه لأن الرجل كان يسعى لإيذاء نادر و..

رفع نادر عينيه لينظر إليه بصمت وحيرة.. لمَ هو متعلق به إلى هذا الحد؟!.. وأدرك فارس نظراته ليتوقف عن الالتهام ناظراً إليه باستفهام..

- هل تريد الخروج الآن؟

- إلى حجرتك؟

سأل فارس ليقول نادر بابتسامة:

- لا.. إلى خارج هذا المستشفى بأكمله.. إلى العالم.

تصلبت كفا فارس فوق الشريحة ولمعت عيناه بالدموع وهو يومئ برأسه بشدة بالإيجاب فيما ازدادت ابتسامة نادر اتساعاً وهو يحرك سبابته نحوه متمتماً:

- ستطبق وتطيع كل كلمة.. وأي تراخٍ أو تخاذل منك سـ..



Scanned with CamScanner

اشتدت ملامح فارس لنبرته الجادة ونادر يضيف محذراً:

- سيرمى بي في السجن!

انقبض قلب فارس وقفز فزع شـديد لوجهه فيما برقت عينا نادر بخبث فإن كان متعلقاً به ويحبه إلى هذا الحد فسـيسـعى لحمايته بالتأكيد وستنجح الخطة.

***

- العاشرة و٤٥ دقيقة م -

تعالت صرخات فارس ترج كل ممرات المستشفى وعجلات محفة المستشفى الحاملة له تدور بسرعة كبيرة، ومن حوله تدافع أطباء وممرضون ونادر يصرخ بهم:

- ابتعدوا.. ابتعدوا عن طريقنا.

ازداد وجه مدير المسـتشـفى شـحوباً وهو يركض إلى جواره بجسده المكتنز وقد لهثت أنفاسه وهو يقول:

- هل.. هل أنت متيقن أنه التهاب الزائدة الدودية؟

صرخ نادر وقد حمل وجهه غضباً كبيراً:

- لقد جئت بنفسـك إلى حجرته ورأيت تألمه بل وضـغطت بنفسك موضعها..

صـمت ليلهث بدوره وهم يدخلون السـرير للمصـعد فيما ظل فارس يتلوى وصرخاته لا تتوقف وكفاه تعتصران بطنه..



Scanned with CamScanner

- أرجو أن لا تنفجر وإلا لخسر حياته.

تمتم نادر متحدثاً لنفسه ليستحيل وجه المدير أحمرَ من شدة التوتر والفزع..

- لقد أُصبتُ بها سابقاً وأنا متيقن أنها في آخر مراحلها..

نادر بنبرة مهتزة قلقة جعلت المدير يخرج هاتفه قائلاً بارتباك:

- علينا أن نخبر عمه فهو الوصي عليه.

- ألم تتصل به بعد؟!

صرخ نادر بنبرة عاتبة ليسرع المدير باتصاله..

وفي الوقت ذاته فُتحت أبواب المصعد ليخرج نادر برفقة رجلين يدفعون السرير.

قابلهم ضجيج المرضى والمراجعين والأطباء في ذلك الطابق فخفت فجأة صراخ فارس.. ذلك الضجيج أزعجه وكاد يفقد نفسه لولا تلك اليد التي قبضت سرّاً على ذراعه وهو يكرر:

- تحمل.. تحمل قليلاً.. كل شيء سيكون على ما يرام.

عادت تلك الصرخات مجدداً من فم فارس وهو يغمض عينيه فقد كانت الأنوار شديدة مقارنةً بأنوار حجرته..

ومن خلفهم ظهر سالم راكضاً هو الآخر وصارخاً:

- لقد اتصلت بسيارة الإسعاف وهي قادمة خلال أقل من



Scanned with CamScanner

ثلاث دقـ..

- إنهم في الخارج.. يجب شكرهم على سرعتهم.

رد نادر مبتسماً فيما بهتت عينا سالم وهو يبصر السيارة التي توقفت في الخارج من خلال أبواب المستشفى الزجاجية..

فتحت إحدى العاملات لهم الباب ليخرجوه ولم يكادوا يقفون أمام السيارة حتى دفع أحد المسعفين بابها الخلفي وقفز في خفة للخارج ليساعد نادر بنقل جسد فارس إلى سرير الإسعاف المجهز.

أحاط بهم المدير وسالم وجمع من الأطباء فيما راح يثبت الرجل جسد فارس بالأربطة وقد غطى نصف وجهه السفلي كمامة خضراء وبمجرد انتهائه رفع عينيه لتلتقيا بتينك العسليتين وقبل أن يبدر عنه شيء كان قد دفعه نادر نحو السيارة صارخاً:

- أسرع.. أسرع.. لا وقت لدينا.

فهم على الفور مراده وأطبق شفتيه عن شتيمة وهو يدخل السرير لسيارة الإسعاف وكاد يغلق بابها ولكن..

- نادر اذهب معه.

صاح المدير لاهثاً فقد وصل للتو ولكن نادر راح يتحرك باتجاه معاكس قائلاً بحدة:

- كلا.. سألحق بهم بسيارتي، فإجراء العملية وتنويمه



Scanned with CamScanner

سيأخذان وقتاً طويلاً وقد أحتاجها أثناء مرافقتي له.

ودون أن ينتظر رد المدير اتجه لسيارته ساحباً سالم في طريقه:

- ستذهب معي.

أراد أن يعترض.. أن يخبره أنه لا يزال لديه أعمال لم ينجزها ولكن ذراع نادر الجارة له لم تمنحه الفرصه وهو يسحبه خلفه.

شغل سيارته وارتمى سالم إلى جواره ثم أوقفها خلف سيارة الإسعاف التي راحت تغلق أبوابها لتصطدم عسليتاه بعيني فارس الزرقاوين المحدقتين به وقد علاهما خوف شديد لكونه بمفرده دونه فانطلق صوته الهامس شاتماً أحمد.

وأغلقت الأبواب وتحرك ذلك المسعف ليضع سماعات رأس سميكة على أذني فارس دون أن يتكلم، ثم نزع الأربطة المحيطة بجسده فيما سحب فارس قناع العينين ليغطي به عينيه كما طلب منه نادر لتغيب عنه الرؤية والسمع في وقت واحد واحتضن جسده بخوف فوق السرير المهتز إثر تحرك السيارة..

***



Scanned with CamScanner

# الفصل الرابع عشر

« أتصـــدق؟!.. إنـه العمـل الخيري الأول الـذي أقوم بـه في حياتي.»

تمتم حـاتم ذاهلاً دون أن يســتقبل ردّاً من زيـد الـذي توارى جسده خلف مقعد السائق..

« بحق؟!.. لماذا ينقذه؟!.. هو لن يستفيد شيئـاً بمساعدته!!.. ولا نحن أيضـاً!!.»

وتأمل الراقد أمامه مضيفـاً: « ألا يثير الأمر فضولك؟! »

ومجدداً لم يتلقَّ أي رد من زيد فتطاول حاتم برأسه لرؤية وجه فارس جيداً ولكن كفيه المشدودتين على شفتيه كي لا يصدر عنه صوت وقناع العينين الملتف على نصف وجهه العلوي زادت من إحباطه..

بل ظل جسـده يرتجف فوق السـرير إثر سير سـيارة الإسـعاف المنطلقة بسـرعة هائلة ودوي صـفارة إنذارها يفسـح لها المجال وسط الزحام.

قاوم حاتم رغبته باسـتفزاز المتكوم هناك ونفسـه تتسـاءل عن نوع مرضه الذي يعانيه والذي لن يفهمه أبداً..



Scanned with CamScanner

فيما أجابه زيد فجأة وكفاه تشتدان على مقود السيارة:

- لقد رأيتكم أثناء نقله للسيارة.

وصـمت لثوانٍ قبل أن يُكمل: « إنه بمثل عمر الزعيم وعمرنا حين دخلنا السجن. »

- نعم.. ولكن هل تظن هذا سـبباً كافياً ليجعل الزعيم يمنحه من وقته الثمين ويضـع خطة لتهريبه؟.. بجدية إنه أشـدُّ بخلاً على وقته قبل ماله.

بقي الاثنان أسيري دهشتهما وحيرتهما ثوانيَ قبل أن ينتبه زيد من مرآته الداخلية لحركة خلفية ليصرخ:

- حاتم أيها المعتوه.. لا تفعلها.. لا تفعلـها.. سيقتلك نادر، سيشرح جسدك.

أزاح حاتم الكمامة الخضـراء ليظهر صـوته واضـحاً واعتصـر قطعة القماش المليئة بسائل المخدر قائلاً بعبثية:

- توقف عن كونك مملّاً.. فلن يكون اختطافنا كاملاً إن لم نفعلها..

- بل توقف أنت عن طيشـك.. فقد كان أمر نادر جليّاً بأن لا نستخدمه إطلاقاً.

- ولكن الخطة الأولى مسـلية أكثر.. كان يجب أن يركب السـيارة بعد أن يمنحه الزعيم قرصـاً يمزق معدته ألماً وبمجرد



Scanned with CamScanner

ركوبه أستخدم أنا المخدر حتى أُنهي ألمه..

وامتدت شفتاه سخطاً فأخيراً حلمه بكونه مسعفاً قد تحقق.. ولو لدقائق معدودة.. ولكن هذين المملين يصران على قتل الدور الذي يعيشه الآن..

- لماذا؟!.. لماذا غير الزعيم رأيه؟!.. وغير خطته أيضاً؟!

- لعلّه لم يرد للصبي أن يعاني الألم.

نطقها زيد بتلقائية ليشهق حاتم غير مصدق فآخر شيء قد يفكر به نادر هو ألم شخص أخر بل ومريض أيضاً.

انعقد حاجبا حاتم أكثر وأكثر وكأنه حصل على سبب آخر لاستخدام المخدر فدفع بالقماش باتجاه فارس ليصرخ زيد مذعوراً:

- أنت.. ألا تشبع من استفزاز الزعيم؟!.. وتباً أنت تشتتني عن قيادة السيارة.

- أريد أن أتيقن إذا ما كان ما بخاطري صحيحاً.

- افعلها وسأوقف السيارة وأنت تعلم أنه خلفنا وانظر عندها كيف سيجعل عقلك الأحمق لا تزوره خواطر لعام قادم بأكمله.

- سحقـــــاً أنت ممل للغاية زيد.. ثم لو أوقفت السيارة فستفشل العملية بأكملها.. وقد يُقبض علينا.

- نعم ستفشل ولكنه سيعلم عندها أن لا دخل لي ولا مسئولية



Scanned with CamScanner

بما تفعله.. وقد يرأف قلبه بي ولا يشركني معك.. أما مسألة القبض علينا فهي المشكوكة أكثر من كونه سيقتلك.

رمى حاتم قطعة القماش على امتداد يده لإحدى زوايا السيارة وشفتاه تنطقان خيبةً:

- الزعيم.. كان يقصد ذلك حين وضعك معي بدلاً من تميم.. لأنك جبان وغبي.

تنهد زيد براحة فإذا ما تستر على خطأ حاتم فنادر بحق لن يتردد بأن يُبلغ عنه..

وكادت عيناه تبكيان لمَ سره السيئ والذي لم يكسب منه ذاك المال الوفير يملكه شخص مبتز كنادر!!.. بحق هو نادم ألف مرة على دخول منزل تلك المرأة والسرقة منه.

ومن خلفهما وعلى بعد مترين فقط.. تكررت شهقات سالم وهو يتشبث بمقعده أكثر وكادت عيناه تخرجان من محجريهما فزعاً وهو يصرخ:

- نادر.. خفف.. خفف السرعة.

- كلا.. هو مريضنا المهم.. ويجب أن نكون إلى جواره حال وصول سيارة الإسعاف للمستشفى.

صرخ نادر بدوره وهو يتجاوز سيارتين ليصيح سالم بنبرة مرتجفة:



Scanned with CamScanner

- إنها سيارة إسعاف لذا يفسح الجميع لها المجال للمرور ويزداد ابتعادها عنـ..

- لا عليك سألحق بها.

- تبّـاً نادر ليس هذا ما يقلقني.. ثم ما الفائدة لو وصلنا لنكون جيرانه على أسرة أخرى؟!..

وتهدج صوته لمرأى شاحنة مقبلة نحوهما..« تبّاً.. نادر.. أنت بسرعتك هذه ستقتلنـ »...

وفجأة..

ابتلع باقي عبارته وصرخ فزعاً وجسده يندفع للأمام ليرتطم بزجاج السيارة الأمامي ويُشج رأسه وتسيل منه الدماء إثر ضغط نادر لمكابح السيارة بشكل مفاجئ متجنباً الارتطام بالشاحنة التي قطعت خط سيرهما..

ولم يكترث نادر لتأوهات سالم ولا صراخه فقد فتح باب سيارته وقفز خارجاً بجسد سليم فقد كان يربط حزام أمانه مسبقاً على عكس سالم..

وبدوره قفز صاحب الشاحنة خارجاً لتلتقي تلك الأعين الأربع المتقدة شرّاً معاً وبدأ نادر بالشجار:

- أقسم.. أقسم لو مسها سوء فأنت ميت وسأدعسك ببقاياها.

اقترب ذلك الجسد الضخم منه وعاينها بدوره قبل أن يهتف صادقاً:

- كلا.. أنا متيقن أنها لم تمسها.



Scanned with CamScanner

ظل نادر لدقائق يتفحص مقدمة سيارته قبل أن يلتفت للرجل و..

ارتخت ملامحه للحظة وهو ينظر لجسده الذي فاقه طولاً والشارب الذي غطى شفتيه وعرض منكبيه الذين امتلأا بعضلات ضخمة..

« تبًا.. ما هذا الجسد العملاق؟!.. بل وتتجرأ لتفوقني طولاً.. ماذا تتناول في وجباتك لتكون بهذه الضخامة؟!.. أيها الوغد لقد كبِرت فعلاً! »

« أيها الزعيم أنت أوسم من السابق بكثير بل وكما تعاهدنا سابقاً قد اعتنيت بجسدك وربيت بعض العضلات أيضاً.. لقد افتقدتك كثيراً أرجوك اسمح لي بمعانقتك قبل تعنيفي. »

هل دار هذا الحديث بينهما؟! بالطبع لا.. فقط أعينهما نطقته قبل أن يندفع نادر ليشد على قميص تميم صارخاً بثورة:

- ماذا يوجد داخل رأسك أيها الحثالة؟! كتلة من الشحم!!.. ألم ترَ سيارتي!؟.. ألم تنتبه لمعاكستك الخط العام؟!.. و..

كان نادر يواصل صراخه في الوقت الذي تابعت فيه عينا سالم المتسعتان سيارة الإسعاف الذاهبة ومد يده نحوها والتي تلطخت ببعض دماء رأسه..

- نادر.. نادر.. سيارة الإسعاف.



Scanned with CamScanner

صـــاح بها هلعـًا ولكن لم يلبث أن قفز فزع أشـد لوجهه حين رأى نادر والضخم يسقطان أرضـًا يتعاركان دون اهتمام به..

و..

غابت سيارة الإسعاف وسط الزحام..

بل وعلا فجأة صـوت صـفارة إنذار الشـرطة التي توقفت أمام الشاحنة واندفع منها شرطيان يحاولان فك العراك..

وأدرك عندها سالم أنه لا أمل لهما قريبـًا باللحاق بمريضهما..

وليحمه الله من ويلات المدير وجام غضبه.

***

في بقعة مظلمة لم تصـــل إليها أنوار الطرقات ولا ضـــجيج المدينة ولا صـــخب السـيارات وقف أحمد وقد أكل القلق كل تماســكه فها هو يتحرك جيئة وذهابـًا إلى جوار سـيارته المركونة وسط الظلمة والبرد القارس.

- لماذا؟!.. لماذا تأخرا؟!

تمتم بها قلقـًا وهو يتلفت بكل الاتجاهات علّها تظهر..

وظهرت فجأة..

ظهرت سيارة الإسعاف التي أُوقفت صفارة إنذارها منذ وقت طويل، ليركض أحمد نحوها وبالكاد أوقفها زيد حتى لا ترتطم به.



Scanned with CamScanner

تحرك أحمد ليفتح أبوابها الخلفية سريعاً لترتطم عيناه بمرأى فارس المنكمش على نفسه فتنهد براحة لنجاح الخطة..

- هل هو بخير؟!

سأل أحمد بانفعال ليجيبه حاتم بوجه عابس:

- بالتأكيد بخير وبكامل جسده دون أن يفقد ذراعاً أو قدماً.. وحتى دون أن نخدره.

قال الأخيرة بكل مشاعره المحبطة ولم يفهم أحمد سر غضبه فقد كان مجرد سؤال واحد يكفي أن يجيبه بـ« نعم »..

تجاهله أحمد تماماً وهو يمد يده لتلمس كف فارس..

انتفض فارس وشهق فزعاً وبدا عليه الخوف لملمس راحة يده الباردة، وكاد يفقد نفسه ولكن تلك اليد شدت على كفه أكثر لتمنحه بإبهامها ثلاث ضغطات متتالية جعلت فارس يهمس فرحاً:

- أحمد.

ابتسم أحمد وارتاحت نفسه لتعرف فارس عليه كالخطة التي رسمها لهم نادر، فيما ظل حاتم يرقبهما ببعض الغباء والبلاهة لتلك التصرفات السخيفة وبحق..

- سحقاً.. فليخبرني أحد ما مرضه!!

- اششششش.



Scanned with CamScanner

انطلقت بصوت زيد وأحمد في آن واحد لتُخرس حاتم.. ولكن كاد يشير للسماعة على رأس فارس.. (ألا يدرك الغبيان أنه لم يسمعْه ولن يسمعه؟!!)

ولم يعلق، فقط زفر محنقاً في الوقت الذي نهض فيه فارس جالساً بمساعدة أحمد ثم دعمه ليقف.

قفز أحمد خارج السيارة ولكن ارتفاعها قد يؤذي فارس لعدم رؤيته لخطواته فاضطر ليسنده وهو ينزل.

ولم يكد يلامس فارس بقدميه الحافيتين تربة الأرض المبللة حتى اقشعر جسده.. وتلاعبت الرياح الهائجة بملابسه وخصلات شعره السوداء فضحك بملء فمه ورفع ذراعه للأمام لتتلقى راحة كفه بعضَ نفحات الهواء الباردة..

لم يسمع صوت هديرها ولكنه تخيله..

ولم يمنع نفسه من أن ينحني للأرض ليمسح بكفه تربة الأرض التي حُرم منها لثمانِي سنوات تباعاً ونطق:

- كان هنا مطر.. أنا أُحبُ رائحة التربة الممتزجة بقطرات المطر.

وتوسع أنفه وهو يستنشق نفساً عميقاً ملأ به صدره..

سعادة لا محدودة ملأت قلبه وهو فاقد النظر فاقد السمع..

فماذا لو اجتمعت حواسه كلها؟!!..



Scanned with CamScanner

وكـاد يقفز فرحـةً لولا تلـك الضـغطات التي عـادت لكفه المتسـخة وأحمد يضربها بخفة كي لا توسخ التربة ملابس فارس أو سيارته.

وهناك شـخص وسط سيارة الإسعاف كاد يصاب بالجنون.. (لمَ يلمس التربة هل هو مختل؟!)

فيما لازمت شفتي أحمد ابتسامة مشفقة لرؤية سعادته وأحاط بكتفيه ودفعه بخفة نحو سـيارته ليتحرك معه وقبل مغادرتهما رفع رأسه للاثنين متمتماً بتحذير:

– هذا الفتى يتبعه مجرم.. من الأفضـل لكما المغادرة بسـرعة قبل أن يلحق بكما ويؤذيكما.

– مجـرم؟؟

نطق بها حاتم وزيد بدهشـة في آنٍ واحد.. من يعني؟!.. هل هو يعنيهما أو يعني نادر أو عن ماذا يتحدث بالضبط؟!

– غادرا الآن.. فهو قاتل وقد آذى هذا الفتى لذا نادر أخرجه ليبعده عنه.

آآه.. إذاً فهو يحذرهما.. صـمتا ثوانيَ قبل أن ينفجرا ضـحكاً معاً..

– هل هو خريج سجون مثلاً؟

سـأل حاتم وما زالت ضـحكاته تتردد فانعقد حاجبا أحمد



Scanned with CamScanner

وتمتم:

- لا أظن.. ولكـ..

- إذاً ما زال مجرماً مبتدئاً.. لا عليك.. لدينا الكثير مما سيثير حماسه.

قالها حاتم ساخراً فيما لوح زيد بكفه لأحمد المندهش كي يرحل قبل أن يُفرغ حاتم إحباطه السابق فيه.

استجاب أحمد له ووقف بفارس أمام سيارته ودفعه إلى مقعد الراكب لتعلو تعابير فارس الدهشة وهو يشعر بأحمد يثبت حزام الأمان حوله..

و.. لقد عرفها.. إنها سيارة.. هو داخل سيارة وبلغت سعادته أقصاها وكاد يخلف ما اتفق عليه مع نادر ويبعد السماعة والقناع ولكن..

« إن ارتكبت أي خطأ ولو صغيراً فسأدخل السجن. »

تلك العبارة التي رمتها له ذاكرته جعلت كفيه تتصلبان فهو لا يريد أن يتأذى نادر، فعبس بوجهه قليلاً قبل أن تعلو شفتيه ابتسامة ونافذة السيارة تُفتح ليشعر بالهواء المندفع نحوه إثر تحرك السيارة..

أخرج ذراعه وضحك وصرخ سعادةً ليتبعه أحمد ضاحكاً هو الآخر.



Scanned with CamScanner

***

- بعد مرور خمس ساعات.. ٣ فجراً -

« أنتم أيضاً لم تجدوه؟!! »

زلزلت تلك العبارة جدران الحجرة المشتركة بالطابق السابع من مستشفى الصحة النفسية وبصوت فاضل الغاضب المكلوم.

تسحنح المدير حرجاً وتوتراً، وزفر سالم تعباً ولفافة بيضاء تحيط برأسه فيما عدل نادر ملابسه الرثة من أثر عراك تميم وعيناه ترمقان حارس فاضل ما بين لحظة وأخرى.

وكاد فاضل يبكي جزعاً وقبضته تدك مكتب نادر صارخاً:

- خمسُ ساعات مرت منذ مغادرته للمستشفى ولم يجد أحد له أثراً.. حتى رئيس المحققين ورجاله لم يجدوه.

مع صرخاته ارتجف جسد مدير المستشفى المكتنز والتفت ليفرغ توتره في نادر:

- كُنتَ تلحقُ به.. كيف فقدت عقلك لتتشابك مع سائق شاحنة؟!.. بل والأسوأ احتجزتكما الشرطة لثلاثِ ساعات ختمتماها بالتصافي والتنازل عن الأضرار!!.. ألم يكن من الأفضل لو تنازلت مسبقاً ولحقت بسيارة الإسعاف بدلاً من ذلك؟!!.

رسم نادر الخوف والضيق على كل ملامحه وهو يتمتم:

- لقد فقدتُ أعصابي.. لم أكن أظن أنني سأتعارك معه.



Scanned with CamScanner

ثم التفت مشيراً بسبابته لسالم الصامت وصاح محنقاً:

- ثم لم توبخني بمفردي؟!.. كان سالم معي ورأى كل شيء بنفسه.

شحب وجه سالم وسط نظرات فاضل والمدير اللائمة ليصرخ:

- لقد حاولت ولكن دون فائدة.. ولم يفك شجارهما إلا الشرطة.. كما أني كُنتُ مصاباً.

توجهت الأنظار مجدداً لنادر ليقول فاضل بحقد متأجج:

- بالتأكيد ستفقد نفسك.. مجرم مثلك ماكان عليّ الثقةُ به.

انعقد حاجبا نادر غضباً فيما شهق المدير وسالم وعيونهما معلقة به بصدمة لوصفه بمجرم، ولكن نظراتهما المستهجنة تلك لم تهز ذرة من كيانه فقد كان شبه متيقن أنهما لا يعلمان ماضيه بل صرخ المدير فجأة مذعوراً:

- اللعنة.. ألف لعنة.. لو كُنتُ أعلم أنه مجرم سابق لما قبلتُ به كطبيب للفتى.. بل وذلك سيسيء لسمعة مستشفانا.

فيما نطق سالم بدوره بصدمة:

- كيف؟!.. كيف هو مجرم؟!

واتجه بنظراته اللائمة لفاضل صارخاً: « كُنتَ تعلم أنه مجرم وائتمنته على قريبك؟!! »



Scanned with CamScanner

(لماذا تحول اللوم والتقريع نحوه فجأة؟!..) ارتجف جسد فاضل مدركاً أن لسانه قد هذى بشيء لم يكن عليه قوله أو كشفه أمامهما..

ولكن نادر التقط الخيوط من أيديهم ليهتف:

- أنا شخص جيد.. وقد رأيتم بأنفسكم لقد اهتممتُ بالفتى.

والتفت لفاضل مستطرداً: « بل واستعددت لتنفيذ كل طلباتك.»

- وكان من ضمن طلباتي أيها القذر محافظتك على هذا الفتى ولكنك خيبت ظني ورحت تتعارك بدلاً من اللحاق به..

« توقفوا عن إلقاء اللوم بعضكم على بعض ولنفكر جيداً وإلا فلن نجد الفتى أبداً. »

صدحت هذه العبارة بصوت ياسر الذي دخل وسط شجارهم ليتخذ له مقعداً قريباً من نادر وقد احمر أنفه من شدة البرد بالخارج ليُكمل بحدة ويأس:

- لقد بحثتُ بكل مكان ولكن لا أثر للفتى.

سقط فاضل جالساً على مقعده وقد توسعت عيناه لفقدانه فارس بعد الاحتفاظ به لتسع سنوات.. لقد ضاع جهده.. وحلمه.. وأمله.. وماله.. والذي لم يعد يفصل بينه وبينه سوى أقل من شهر!؟



Scanned with CamScanner

أي حظ أسود وقاتم يعيشه الآن؟!

تكلم سالم بدوره وقد أخذ كلمات ياسر السابقة كبادرة للتفاهم:

- أخبرتكم: الفتى عنيف للغاية وغير متقبل للناس ولذا يستحيل أن يتحرك دون أن يُحدث شغباً هنا أو هناك ولن يلبث أن يتم الإبلاغ عنه.

تكلم نادر بدوره وهو يجوب عيون الجميع وكأنه لم يوصف قبل قليل بالمجرم:

- بل ومع مرضه العضال لن يستطيع التوافق مع أحد حتى ولو حاول.. وهروبه من بين أيدينا كان خطأً جسيماً منه فلن يلبث أن يعود مكسوراً صاغراً.

أومأ سالم برأسه مؤيداً له وهو يتابع بدلاً منه:

- بل وحين عودتنا من مركز الشرطة للمستشفى وجدنا طبيباً أخبرنا أنه دخل فتىً بمثل مواصفاته للمستشفى ووجدنا مراجعَيْن آخرين أحدهما أخبرنا أنه رآه يركض في ساحة المستشفى والآخر أخبرنا أنه اتجه لسلالم المستشفى الخلفية بمفرده دون أن يرافقه أحد.

صاح فاضل محنقاً:

- لماذا إذاً لم نجده بالمستشفى؟!.. لماذا لم تسجل كاميرا



Scanned with CamScanner

مراقبة المستشفى أي صورة له!! ثم هؤلاء الشهود الثلاثة لمَ لم يجدهم غيرك أنت ونادر؟!.. فرئيس المحققين ورجاله لم يجدوا شاهداً بالمستشفى بأكمله.

أسرع نادر يُجيب:

- إنهما مراجعان وقد يكونان غادرا بوقت قدوم الشرطة.. أما الطبيب فقد تكون انتهت نوبته ولكن خذونا مجدداً أنا وسالم وسنحدد من وسطهم في الغد أي طبيب وسيشهد..

- وماذا لو شهد؟!.. لو قال إن الفتى غادر من السلالم الخارجية!!..سحقاً.. لقد قُضي الأمر.. لقد هرب الفتى وعلينا البحث عنه في الخارج.

غطى فاضل عينيه بكفه بعد كلماته اليائسة وقد ملأ وجهه همّ عظيم فيما قال نادر فجأة:

- أبلغ عنه.. انشر صوراً له.. في التلفاز، في كل مراكز الشرطة.. ومريض مثله سيسهل معرفته ففوضاه ستجلب الناس إليه ولن يترددوا بالإبلاغ عنه..

وصمت واتسعت عيناه بصدمة فيما ارتفع حاجباه بغير تصديق وهو يُبصر نظرة الفزع بعيني فاضل..

كانت مجرد عبارة ألقاها ليقطع شكه الضعيف بأن من المحتمل أن فارس لا يعلم عنه أحد بأنه حي ومسجون..



Scanned with CamScanner

ولكن تلك النظرة الجازعة في عيني فاضل أخبرته بأنه لن ينشر صوَره أبداً لأنه خائف من أن يُفضح..

فيما أخذ البقية كلمات نادر بجدية ليقول المدير بانفعال:

- هذا صحيح.. ولكن هل يملك أحد صورة له؟!

وراح يتلفت في تلك الحجرة قائلاً بندم:

- لقد منعت يا فاضل وجود كاميرات المراقبة وتصويره حتى أنك منعت دخول أحد إلى حجرته لأنه قريبك ولأنه لو تم نشر مقطع له فقد يسيء لسمعة عائلتكم الشهيرة.

لم يظهر على وجه فاضل أي ندم إطلاقاً بل وبحدة قال:

- لا يمكنني المجازفة بفضح عائلتنا.

شهق نادر وكأن ما قاله فاضل صدَمه وقال بتغاب:

- ولكنه لا يحمل اسم عائلتكم.. إنه فارس راكان عبد السلام.. انشره بهذا الاسم ولن يتلوث اسم أسرتـ..

- اخرس.

صرخ بها فاضل بثورة وهو يقفز واقفاً ليصدم الجميع..

ارتد نادر للخلف وقال:

- هل فيما قلته خطأ؟! يمكنك أن لا تفعل ذلك إنه مجرد اقتراح لا أكثر.



Scanned with CamScanner

– ذلك الاسم أيها المجرم.. اسم وهمي غير حقيقي.. والفتى ينتمي لعائلتي وهويته الجديدة معي بل وراكان عبد السلام نفسه المتبني له قد تنازل بوصاية الفتى لي رسمياً لذا قبل المستشفى بوجوده.. إنه من عائلتي و..

– إذاً أبلغ عنه باسم عائلتك وأرحنا.

قالها المدير غاضباً وساخطاً.. فهو لا يريد الإبلاغ عنه لا باسم راكان ولا باسم والده الحقيقي؟!!.. شيء من الانزعاج ظهر بوجه المدير ولم يعد يفهم الواقف أمامه..

فيما لم يلحظ أحد تلك الابتسامة المنتشية التي ملأت وجه نادر فقد حصل على ما يريد..

فاضل يخشى لو أعلن عن فارس أن يكتشف شخصٌ ما حقيقة أنه حي..

أنه يعيش.. يتنفس.. بل وحقيقة أن فاضل يخبئه..

ولكن من هذا الشخص الذي يخشاه فاضل؟!

هل هو راكان الذي يرفض فاضل نشر بلاغ عن فارس باسمه؟!

أو والدة فارس؟!

أو مايا التي يصيح فارس دوماً بحبها له؟!

شيء من الراحة والاطمئنان ملأ كيان نادر فسيكون تنقله بفارس ميسراً إن لم يبلغ عنه عمه..



Scanned with CamScanner

- اتصل براكان وأخبره بأنك ستنشر اسم فارس الذي تبناه باسمه فهذا سيقلل من حرج عائلتكم الشهيرة.. كما أن راكان يعيش ببريطانيا كما أخبرتنا سابقاً وقد أولاك وصاية الفتى ولن يهتم بنشر اسمه في وطننا ما دام لن يسيء له في بريطانيا.

قول مغاير لما قاله المدير تماماً نطق به سالم ليحل هذه المعضلة..

ازداد وجه فاضل عبوساً وشحوباً ولم يجد رداً ليسكت فضولهما..

- إن مر يومان دون أن يظهر أثر للفتى أو يُبلغ عنه أحد فسنبلغ عندها عنه بل وسندرج ببلاغنا أنه نتيجة إهمالكم قد فر المريض.

تمتم بها حارس فاضل منقذاً له من تلك الأعين المرتابة، ليصفر وجه المدير ويشهق سالم رعباً فذلك قد يدمر سمعة مستشفاهم بل والمرضى قد يتم إخراجهم من قبل عائلاتهم لو علموا أن مريضاً نجح بالهرب من هذا المستشفى الذائع الصيت.

« وأبلغ أيضاً عن أن الفتى كان يتعرض للضرب داخل المستشفى. »

شهق المدير وسالم لقول نادر المفاجئ ولم يعلم الاثنان هل يستنكران خيانته لهم!! أو تعرض مريضهم للضرب!! فيما انعقد حاجبا فاضل وهو يتفحص وجه نادر المبتسم والذي تابع:



Scanned with CamScanner

- حين جئتُ أول مرة كان جسد الفتى تملؤه الكدمات وعندها علمت أنه يتعرض للعنف الجسدي.

صاح المدير مفزوعاً:

- يستحيل أن يحدث ذلك في مستشفاي.. نحن لا نضرب المرضى ولا نعنفهم.. ثم كيف لمجرم مثلك أن يتهم مستشفانا بالإهمال؟!.

فيما أسرع سالم يقول:

- لعلها من إيذائه لنفسه فظننت أنه يتعرض للضرب.

حرك نادر سبابته قائلاً بثقة:

- كوني مجرماً هذا ما جعلني أعلم أنه تعرض للضرب من شخصٍ ما.

شحب وجه الاثنين والتفتا لفاضل الذي حافظ على برود أعصابه ليسأل نادر مباشرة:

- ولماذا لم تُبلغ سابقاً عن أنه كان يتعرض للضرب؟!

فرك نادر كفيه بعضهما ببعض وأظهر بعض التوتر وهو يقول:

- كُنتُ خائفاً.. خائفاً لأني لا أعلم من هو الذي يضربه!!.. ومن الذي أرسله؟!.. وأسف لأني شككتُ بك سابقاً فحين قدمتُ إليك وأخبرتني أن أشهد بعدم أهلية الفتى لتأخذ ورث جده ظننتُ..



Scanned with CamScanner

« سحقـــاً. »

صرخ بها المدير ووقف ليهتز جسده المكتنز وقد عقد حاجبيه عصبيةً ليشتم مجدداً ويصرخ:

- أيها الحقير.. كنت تحبسـه في مسـتشـفاي من أجل الورث وليس لحقيقة أنه آذى أطفالك.. كنت فقط تريد شـهادتنا بعدم أهليته لتستولي على أمواله التي قلت مسبقاً إنه يملكها.

وقف سالم بدوره إلى جوار المدير قائلاً:

- أيها المدير من الأفضـل أن نقطع صـلتنا بهم ونمسـح كل ملفات الفتى وحتى لو أبلغوا عنه سننكر وجوده بمستشفانا.

- وهذا ما كُنتُ سـأفعله.. فهذه القضـية تتعدى قدرتنا وتسـيء بشتى الوسائل لمستشفانا الذي بنيناه بأيدينا.

وقف فاضل بدوره صارخاً:

- وكأنكم سـتكونون قادرين على ذلك.. لا تزال لدي أوراق دخول فارس للمستشفى.

صاح المدير:

- سنقول إنه بقي لشهر وغادر وسنجهز أوراق خروجه.. نحن لا شـأن لنا بك ولا بقريبك المريض ذاك.. ابحث عنه.. وليمت بأي مكان فهو لا يهمنا.

- بعد أن سرقتم أموالي تتنصلون من مسئوليته!!

- نحن لم نسرق منك شيئاً فما أعطيتنا بإرادتك..



Scanned with CamScanner

كانا يتجادلان وسط ابتسامة ونظرات مستمتعة خبيثة من نادر الذي راح ينقل بصره بينهما وقد ذكره ذلك بالسجن وبرفاقه الأربعة حين يبذرون الشقاق بين صفوف المساجين..

- هل ستشهد لي؟

انتبه نادر فجأة من شروده لصوت فاضل الموجه له ليتردد لحظة قبل أن يقول:

- نعم سأفعل..

رماه المدير وسالم بنظرات قاتلة ولكن سرعان ما تابع:

- ولكن هما يعلمان الآن أنني مجرم وإذا ما تم الطعن فيّ كوني مجرماً سابقاً لم يمر على سابقته عشر سنوات كاملة فالمحكمة سترفض شهادتي.

ضحك سالم لهذا الخيط الذي أنقذهم به والذي تشبث به المدير فوراً ليصرخ:

- نعم بالتأكيد سنفعل..

ازداد وجه فاضل شحوباً، وعيونه اتساعاً، فلأول مرة ومُنذُ ثماني سنوات يحدث شرخ بينه وبين المستشفى..

أمواله التي خسرها عليهم لثماني سنوات..

مجاملته لهم ومجاملتهم له..

سنوات الانتظار الطويلة..



Scanned with CamScanner

احمرت عيناه ونبض عرق جبينه وأدرك حارسه أن ضغطه قد ارتفع ليضغط كتفيه معيداً له للجلوس..

« للفتى مساعد. »

انتقلت الأبصار بالكامل لياسر الذي مسح أنفه والذي كان صامتاً طوال الوقت ليقول بهدوء:

- حين كُنتُ أبحث بالخارج وأسأل أخبرني أحدهم أنه رأى سيارة إسعاف أخرى كانت قادمة للمستشفى ولكن سيارة الإسعاف الأولى أشار قائدها بيده لهم ليذهبوا لأنه سبقهم.. وهذا أثار حيرتي.. وشككت بأن يكون هناك مساعد له في سيارة الإسعاف.

صمت الجميع ذاهلين ما عدا نادر الذي اصفر وجهه وازداد اصفراره حين قال سالم:

- هذا صحيح.. وقدومها السريع كان غريباً بل أنا بنفسي رأيت سيارة الإسعاف الأخرى ومغادرتها.

- أنا.. أنا اتصلتُ بهم قبلك يا سالم.

تكلم نادر وهو يناوب بصره بينهم وإن ظهر توتر حقيقي بعينيه.

- وأنا أيضاً اتصلتُ بهم ولعل هذا ما جعل الأمر يختلط عليهم.



Scanned with CamScanner

قالها المدير هو الآخر ليهدأ الجميع بل وتنفس نادر الصعداء..

ولكن لم يلبث ياسر أن قال:

- ولكن هذا لا ينفي أن للفتى مساعداً فطوال بقائي لثماني سنوات أرافقه لم يستطع الفتى التحرك خارج حجرته ولا مقابلة الناس فما الذي استجد ليكون بكل هذه الجرأة، بل والأسوأ هل كان يخدعنا حين تظاهر بإصابته بالزائدة الدودية؟!!

اشتدت قبضة نادر وانعقد حاجباه ليقول:

- الفتى ليس بهذا الذكاء.

ابتسم ياسر وهو يقول:

- وهذا ما فكرتُ به.. من أوحى له بفعل ذلك؟ فلو كان حقّاً يعاني من المرض فهل كان سيبتعد إنشاً واحداً بعيداً عن مكان علاجه وهو يتلوى ألماً؟!

تساؤلاته المنطقية أثارت حيرة الجميع بل وشكهم فعيناه كانتا مسلطتين طوال حديثه على نادر.. نادر وحده..

فهو من أبلغ الجميع بكونه مصاباً بالتهاب الزائدة الدودية..

ابتلع نادر ريقه وقبل أن ينطق مدافعاً عن نفسه كان قد صاح سالم محنقاً:

- عن أي هراء تتحدث؟!.. نادر كان بصحبتي طوال الوقت وأنا شاهد على ذلك ولم نفترق أبداً.. ولو كان لديه مساعد فهو



Scanned with CamScanner

قد يكون من الخارج وليس من مستشفانا.. ثم أي مصلحة قد يجنيها من تهريب الفتى؟!!

أُلجمت الألسن فشهادة سالم واضحة للغاية ولكن نطق نادر فجأة وقد خرج بالكامل من تمثيليته المملة ليستعيد بروده وعيناه تظلمان وتظلمان وهو ينتبه للذكاء المفاجئ للماثل أمامه وقال:

- ولمَ لا تكون يا ياسر أنت من ساعده؟!.. فقد تغيبت البارحة عن نوبتك وطوال فوضوية ما نحن فيه لم تأتِ بل ولم تقدم عذراً لغيابك.

شهق فاضل وعيناه مسمرتان على ياسر بصدمة وحمل وجهه تعبيراً غريباً، فيما شحبت أوجه البقية وكان أكثرهم شحوباً وجه ياسر الذي قذف نادر الكرة لمرماه وأصاب هدفاً..

استعجمت عليه الكلمات وأدار عينيه الباهتتين لينظر لفاضل الذي صاح مذعوراً:

- هل فعلت به شيئاً؟!.. هل خنت ثقتي بك؟!.. أنت.. أنت لم تؤذه لدرجة قتله!؟ أليس كذلك؟!

- أُقسم أني لا دخل لي بهروبه وتغيبي بسبب أنني كُنتُ..

وصمت ولم يكمل.. وتضاعف الشك آلاف المرات في قلوب الجميع و.. فقط أحدهم كان يحتاج لدليل واحد ليكون متيقناً و..



Scanned with CamScanner

نهض ياسر ومد يده باتجاه فاضل ليتقلص كم معطفه الطبي..

و..

تفجر بركان..

تفجر حقيقةً وليس مجازاً..

تفجر بركان بشري.. لم يكن خامداً يوماً ولا لثانية واحدة..

كان فقط عده التنازلي الأحمر قد بدأ مُنذُ ليلة..

وها قد وصل للصفر..

وكل ما احتاجه أن يرى ذلك الأثر فقط ليتفجر أسوأ من كل سابقاته..

واستحالت عينا ذلك البركان البشري حمماً ملتهبة واسود وجهه وصمت..

نعم لم يتكلم..

لم يشهق..

لم تصدر أنفاسه الملتهبة صوتاً حتى..

وكل ما حدث تالياً هو نفسه لم يعرف كيف حدث..

هو الآن فوق جسد ياسر وقبضته تعمل، الدماء تتناثر من شفتي ياسر وأنفه..

وجهه اعتلاه تشوه فظيع..

إحدى عينيه بدأت بالتورم..



Scanned with CamScanner

ومن الممكن أن تكون عميت..

وفجأة تحرك ذلك البركان ليقبض بكلتا يديه على رأس ياسر وعلى الأرضية راح يدكه.. ويدكه..

ويدكه..

صرخات من حوله..

محاولاتهم جذبه بعيداً عنه..

جميعها لم يشعر بها نادر حتى رأى ذلك الأحمر القاني ينساب من أسفل رأسه..

وهل سيتوقف؟!

كلا لن يتوقف.. تلك اليد التي امتدت لمعطفه وسرقت مفاتيحه..

راح يضربها ويحطمها بقبضته وسمع تكسر بعض العظام..

هو فقط يتسلى به قبل قتله..

لم ينم بسببه.. لم يرتح بسببه.. بكاء الفتى وخوفه بسببه..

بل ومرضه بسببه..

ذلك الجسد من أسفل منه هدأ تماماً ولكن ما زالت قبضة نادر المكومة تتنقل على مساحة ذراعه محطمة لها..

وعيناه تُحدقان بأثر الأنياب المغروسة فيها..



Scanned with CamScanner

أنياب فارس..

وأراد الانتقال للأخرى..

ولكن لحظة.. ما زال القلم بجيبه ويحمل دماءه لمَ لا يُكمل ما بدأه فارس؟..

و..

رنّ بغتة رنين هاتفه بنغمة مميزة..

تلك النغمة صارعت عقله كي توقظه من سكرة غضبه و..

« سيقتلك.»

صرخة مدوية هزت الحجرة بأكملها، ونادر يتلقى على رأسه ضربة غاضبة عنيفة من سالم ليلتفت للخلف ليقتله هو الآخر..

وتجمد فجأة وهو يُبصر حارس فاضل شاهراً مسدساً باتجاهه فيما كان فاضل إلى جواره يرتجف من رأسه إلى أخمص قدميه فمن أمامه أشد جنوناً وإجراماً من مجرمه الحقيقي.

ابتعد نادر عن جسد ياسر ولا يزال فاقداً تماسكه بالكلية.. لقد فقد نفسه وحطم كل مخططه ولن يجد مخرجاً الآن لا لنفسه ولا لذاك المسكين فارس..

« ماذا بك!؟.. أيُّ لوثة أصابت عقلك؟!.. لقد قتلت الرجل..»

قالها المدير مفزوعاً وهو يقسم أن من أمامه لا ينتمي لمجال الصحة إطلاقاً..



Scanned with CamScanner

ولم يكن نادر قد خرج ممَّا هو فيه.. فذلك الوغد المفترش الأرض بجسده كان نادر يعلم أنه هو.. هو المجرم.. ولكنْ شيء في نفسه لم يرد ذلك..

مرافقته له.. استبساله للحصول على صداقته.. ومساعدته له وتغطيته لغيابه.. هو حقّاً أراده أن يكون سالم أو ذلك الحارس ولم يرده ياسر..

وعلى الرغم من كل عاطفته الرافضة إلا أن قبضته تحركت بمفردها وصنعت ما صنعت كالسابق تماماً..

كيوم مراهقته..

مسح نادر الدم على معطفه وناوب بصره بينهم.. الكل مفزوعون وخائفون منه و..

- كان يتهمني مسبقاً أنه أنا.. ولو صدقتموه فسأُطرد من وظيفتي وأنا بالكاد حصلتُ عليها ولكوني مجرماً سابقاً لن يوظفني مستشفىً آخر.. فيما كان هو من اختطفه.. وتغيبه وتلعثمه وخوفه هو الدليل.

كيف نطقتها شفتاه؟ هو نفسه لا يعلم ولكن لم يلبث أن قال المدير محتدّاً:

- بهروب الفتى أنت مطرود سلفاً وبعلمي أنك مجرم ولا



Scanned with CamScanner

حتى مريضاً سأقبلك بمستشفاي ولا يحتاج الأمر إليه ولا لما قاله.

هل ينقل البركان إلى جسد المدير؟! قاوم نفسه بصعوبة..

فيما لا يزال جسد سالم يرتجف ممّا فعله نادر وهو يغطي بعض جراح ياسر النازفة إضافةً إلى فزعه من ذلك المسدس بيد الحارس مستغرباً في نفسه كيف يتنقل به..

ولكن انتبه فجأة لكلمات فاضل الأخيرة قبل ثورة نادر ليسأل بصدمة:

- لقد.. لقد كنت تسأل ياسر إن كان آذى الفتى وهذا يعني أن قول نادر صحيح فهناك شخص يؤذي الفتى!!.. بل.. بل أنت لم تهتم بكونه يؤذيه.. فقط استنكرت أن يؤذيه إلى درجة القتل.

شهق المدير لهذه الحقيقة الصادمة وشحب وجهه ليباري وجوه الموتى وهو يصيح:

- بل.. بل ياسر من وظفه هنا هو فاضل نفسه وبنفس يوم التحاق فارس بمستشفانا.

(كيف ينتقل الحديث دوماً من مطاردة فارس وريث أموال والده ليتهموه بتهم حقيقية لا يستطيع الرد عليها؟!) هذا ما فكر به فاضل وقد انتفض جسده كما لو تم القبضُ عليه بالجرم المشهود..

- يا إلهي!



Scanned with CamScanner

همس بها نادر فجأة وهو يخرج قلمه المسجل عليه اسمه ليتابع بانفعال مبالغ فيه وقد تمالك جزءاً من رباطة جأشه على الرغم من الجسد الدامي إلى جواره:

- البارحة حين فقدتُ الوعي كُنتُ قد نسيتُ قلمي بحجرة الفتى وبعد أن ساعدني سالم لأُفيق وجدتُ دماء به وأظن الفتى استخدمه للدفاع عن نفسه ضد ياسر حين هاجمه.

لم يفهم المدير ما قاله فقد خبؤوا الأمر عنه ولكن سالم اتسعت عيناه لآخرهما وهو يصيح:

- لعل هذا سبب ثورة الفتى البارحة وعنفه فالجميع بحثوا عن مصدر الجرح بجسده ولم نجد..

والتفت لينظر لذراع ياسر المضمدة وانتفض جسده وهو يذكر كيف كان نادر يبحث في ذراعيه.. إذاً نادر كان يحاول حماية الفتى فقط ويريد معرفة من آذاه..

بل وكان يشك به..

ظل محدق النظر بنادر الذي لا يزال يلهث ثم عقد حاجبيه وقال بحزم:

- نادر لا شأن له بهروب الفتى.. بل وقد تولى رعايته بإخلاص وياسر على الأرجح هو الذي هاجمه ولعل صياح الفتى من معدته بسبب الضربات التي تلقاها منه وحين أخرجناه من المستشفى



Scanned with CamScanner

هرب لأنه خائف منه..

وامتقع وجهه مستطرداً:

- كما أنه يحاول دوماً الانتحار ولن أستغرب لو وجدنا جسده غارقاً بالبحر أو بأي مكان.

ارتخت ملامح فاضل أمام هذه الحقيقة المنطقية الوحيدة والمقنعة لما حدث ولم ينبس أحدهم بعدها بشفة..

وظل الصمت سيد الموقف وكأن الأمر حُسم قبل أن يُدخل الحارس مسدسه واتجه لجسد ياسر ليحمله على كتفه بخفة فهو مسئوليتهم أولاً وآخراً..

كما أنهم بحاجة لاستجوابه..

فقد يكون سئم من مماطلتهم له وقتل الفتى أو اختطفه..

بل وتغيبه عن نوبته يزيد من تلك الشكوك..

كان يتحرك فاضل مغادراً حين أمسك نادر بذراعه قائلاً:

- أنت.. أنت وعدتني بالمال.. وظفني معك فلا ذنب لي أن أُطرد وأفقد مستقبلي.. لا تجعلني في هذا الحدث الخاسر الوحيد.. فقد كُنتُ مخلصاً لك.

حدجه فاضل بنظرة مشمئزة وتجاهل توسلاته، وطرد عقله كل ذرة شك به كونه مهرب فارس فقد خسر وظيفته بل وشهد له سالم بأنه كان برفقته.. فسحب ذراعه بعنف قائلاً بتكبر:



Scanned with CamScanner

- فلتمت جوعاً.. كان عليك أن تحرص على الفتى أكثر.

ثم خرج ليلتفت نادر للمدير الذي صاح مخاطباً فاضل:

- أنا جاد.. سأنكر أي علاقة لنا بك أو بسفاحك المتنكر.

توجه نادر نحوه ليقول مستعطفاً:

- ليس عليك طردي.. سأكون جيد.

- اخرس واحزم أغراضك وارحل.

ألقى بها المدير له قبل أن يغادر فيما اعتلت عينيْ سالم نظرة مشفقة وقال:

- أنا أسف.. لقد كُنتَ مخلصاً حقّاً.. ولكن مصلحة المستشفى فوق كل شيء وأرجو أن تجد عملاً قريباً.

قالها وغادر هو الآخر دون أن ينتظر رد نادر الذي ما أن غادر الجميع حتى شد قامته وتراقصت على شفتيه نصف ابتسامة متهكمة..

الشرخ بين المستشفى وفاضل سيعيق التحقيقات ولن يكون هناك تعاون.. وإن لم يطلب فدية لاختطاف فارس فهذا سيُبعد الشكوك أكثر عنه وسيبقى الجميع ما بين شكوكهم بكون فارس هرب بنفسه أو أن ياسر له دور في الأمر..

- ولا أظن أن مجرماً سيئ السمعة مثلي قد يُظن به فعل عمل خيري.



Scanned with CamScanner

وهز كتفيه (الحسنة الوحيدة لكونه مجرماً.)

زادت ابتسامته اتساعاً وهو يحدق بحاسوبه المحمول لموضوع فوق المنضدة والذي صور ما حدث كاملاً..

ثم أطبقه وقد ارتجف صوته غضباً:

- وكأني سأجعل إهاناتهم لي تمر.. لم أفعلها ولن أفعلها طوال

***

- ٥ فجراً -

حمل نادر حقيبته على ظهره وقد بدا في أجمل وأبهى حلة على نقيض وجهه الذي رسم حزناً ومسكنة كادا يقتلانه غيظاً لاضطراره للتمثيل حتى آخر دقيقة وهو يغادر الطابق الأول للمستشفى وسط نظرات العاملين به والتي امتزجت بين التشفي والتعاطف.

وبمجرد أن احتل مقعد السائق بسيارته حتى تغيرت ملامحه تماماً وعلتها البهجة والارتياح وهو يرتب خصلات شعره في المرآة الداخلية و..

«زعيم أنت بخير؟!!»

ارتفع من الهاتف صوت تميم والذي كان قد ضغط نادر إجابته مسبقاً ليرد:



Scanned with CamScanner

- أين لقاؤنا سيكون؟

صـمت لحظة يستمع للمكان المتفق عليه ثم حرك السيارة نحوهم..

تأمل قبضته التي لا يزال بها بعض آثار الضربات، وبحق هو رغب بقتله ولا يزال يرغب ولكن قد يُمنح يوماً ما فرصة لذلك.. ولا بأس إذا ما قضى ياسر باقي أيامه يحمل جريرته هو بهرب فارس.

ضحك بقوة فهو قد رتب للأمر ولكن لم يكن يظنه سيكون بهذا الشكل الجميل.

« هذه ليست سوى زوبعة ما قبل العاصفة.. وإذا كانت أسرته لا يعلمون حقّاً بكونه حيّاً فستتزلزل حياتك بأكملها يا فاضل أنت وهذا المستشفى إذا ما رفعوا قضيةً عليكم. »

نصف ساعة وكان نادر يغادر سيارته وقد ابتسم وعيناه تبصران الثلاثة الذين كانوا يقفون مستندين بظهورهم على شاحنة تميم..

لم ينتبهوا له وقد بدوا منسجمين في الحديث كالماضي تماماً حين يكتفي بمراقبتهم فقط داخل زنزانتهم..

ظهر التردد عليه ثوانيَ..

هم يستحقونها فعلاً منه..

ولا يدري كيف ولكن لم يتمالك نفسه ليبتسم وهو يمشي



Scanned with CamScanner

مشـــية متبخترة اعتادوا عليها حين كانوا يسـقطون أحد زعماء السجن..

لم ينتبهوا له فشعر ببعض الخزي..

« زعـــيـــم.»

صـــرخ بها تميم لينتبه الجميع لنادر الذي كان يقف وسـط الطريق بخطوات مشيته نفسها فقفز لوجهه حرج شديد وتمنى لو يمسحها من ذاكرتهم ولكن..

« وووووه افتقدتك حقًا.»

صـــرخ تميم وهو يركض ليعتنقه حتى أن قدمي نادر ما عادتا تلامسـان الأرض وبحق لم يكن يظن أنها ستكون ذات أثر عليهم لهذا الحد و..

« يا رأس البطيخة.. أنت تخنقني.. لا تعانقني! »

لم يهتم تميم لصـرخاته الغاضبة ومحاولاته إبعاده حين شـعر الاثنان معًا بجسـد حاتم الذي قفز فوقهما وبالتحديد فوق رأس نادر صائحًا:

- وأخيـراً.. لَمُّ شمل زنزانة ١٠٩.

ضـحك زيد من بعيد قبل أن يتحرك ليقف أمامهم، وهما لم يفكا الخناق عن نادر ولم يهتم بمشـاركتهما عناقه فهو قد التقى به قبلهما.



Scanned with CamScanner

وبعد وقت تراجع الاثنان للخلف لينظرا لمظهره الذي تغير وملابسه الباهية وهيئته الوسيمة.. كان يختلف تماماً عن ماضيهم..

وقبل أن يتحدثوا كان قد تلقى تميم قبضة ثائرة على رأسه..

فيما سقط حاتم أرضاً بركلة على ساقه من نادر الذي صرخ:

- معطفي قد تجعد.. وشعري تبعثر.. وحذائي اللامع لامسه غبار أقدامكما القذرة و..

واستمر بتعنيفهما ليضحك الاثنان..

« كالأيام السابقة تماماً.. ترفض مشاعرهما المحبة لك والمليئة بالنقاء.»

قالها زيد ليحدجه نادر بنظرة نارية وهو يرتب هندامه:

- نقية!؟.. أحدهما كاد يقتلني والآخر كاد يكسر رأسي.

توقف الثلاثة فجأة أمامه صفّاً واحداً ليرقبهم بنظرة مترددة قبل أن يصيح:

- سحقاً.. لا.

- أرجوك يا زعيييم.

صاح بها تميم وحاتم ولولا أنهما ساعداه لرفض ولكن لم يلبث أن أطبق شفتيه قبل أن يقف بدوره ليرطم بكتفه كتف كل واحد منهم كتحية أهل السجن.



Scanned with CamScanner

وبمجرد إنهائهم لذلك حتى حنى نادر رأسه هامساً:

- سيغطيني الحرج لعام قادم بأكمله.

- يا زعيم أنا لم أرتكب أي خطأ أبداً وقد اختطف الفتى ذلك الأحمد الغبي.

رفع نادر رأسه لينظر لحاتم الذي تابع بحماس:

- بحق لم اخترت غبيّاً مثله ليكون صـديقك!! هو حتى لا يعـ أننا مجرمون.. بل والأسوأ ذلك الفتى المختل راح يلعب في التـ

- لا ينبغي أن يخرج وصف مختل من فمك أنت بالذات؟!..

والتفت لزيد ليسأله بحدة:

- هل خالف الخطة؟.. هل آذى الفتى؟! هل هو حتى حاول التدخل في تفاصيل الخطة؟!..

ابتسامة متوترة رسمتها شفتا زيد وهو يجيبه:

- كلا.. كلا.. الأمور جميعها تمت كما خططت له ولم نخطئ أبداً.

- هذا جيد.

نطق نادر وهو يرتكن بظهره على الشاحنة من خلفه فيما سأل تميم بانفعال:

- زعيم.. قبضتاك.. ماذا حدث؟!.. هل قتلت أحداً!



Scanned with CamScanner

- حسـنـاً.. كان الوغد بمحطته الأخيرة ولكن رنين هاتفي باتصالكم أوقفني لسوء الحظ.

ألقى بها هازئـاً سـاخراً ولكن ذلك لم يُضـحك ولم يعجب الثلاثة الذين صرخ زيد أولهم:

- لا تقحمني في جرائم قتل.. فجرائمي بالكاد تبقيني سـنوات بالسجن.

فيما قال تميم: « لا تؤذِ نفسك أرجوك. »

أما حاتم فقد تمتم ساخطاً:

- دائماً المقطع الجيد من الخطط تستأثر به لنفسك.

ثم تذكر شـيئاً ليخرج من جيب سـترته الداخلي ورقة أعطاها لنادر قائلاً:

- انظر هـذا موعـد المحـاكمـة التي سـتكون الفتـاة الجميلة محامية فيها وموعدها بعد شهر من الآن.

التقط نادر الورقة منه والتهم حروفها وبدا عليه الحماس فإذاً مايا ستعود للوطن مجدداً وهي فرصة جيدة لمقابلتها.

- خذني معك إذا ما أردت مقابلتها فهي جميلة ولعل لدي بعض الجاذبية التي ستسحر ثرية مثلها.

- إن كنت تملك جاذبية فتلك الفتاة لا تملك أي جاذبية إطلاقاً كما أنها بغيضة ووقحة.

- أكثر منك؟!



Scanned with CamScanner

سـأل تميم باندهاش ليعبس نادر فيما ضـحك الباقيان قبل أن يقول نادر:

– لن أقابلها بشكلٍ عادي سأختطفها.

شحبت أوجه الثلاثة فيما تابع نادر بصدق:

– وجوابها على أسئلتي سيحدد إذا ما كان عليّ تركها تعيش أو أدفنها برحابة صدر.

قال الأخيرة باستمتاع عجيب وكأن بينهما حقداً ماضياً ويده تمتد ليمس شعره المسرح جيداً.

فيما أسرع زيد ليخرج من جيبه بطاقة ناولها لنادر قائلاً:

– إنها الهوية المزورة التي طلبتها للفتى.

أخذها نادر منه وبدت كالحقيقية تماماً فقال بحنق:

– لمَ أيها الغبي لا تترك هذا الطريق السيئ الذي تتخذه وتستأجر محلاً للإلكترونيات وتكسب رزقك منه بدلاً من تضييعه في مثل هذه السخافات؟!.

هل هو يمتدحه أم يذمه؟! لم يفهم زيد ولكن تلك الفكرة أعجبته لم لا يكسب رزقه دون خوف من الشرطة؟!

– زعيم.. ألا تريد أن نُنشئ عصابة جديدة وتقودها؟! وبحق دعنا نخطف الفتى المختل ونطلب فديه..

بتر حاتم عبارته بخوف حين رأى نظرات نادر.. (وبحق لم هو



Scanned with CamScanner

يكرر مختل أمامه؟!!)..

- المرأة المسنة صاحبة الملايين التي منحتك سيارة إسعاف من مستشفاها لم لا تتزوجها؟!

قالها نادر صادقاً ليصرخ حاتم ويحتضن جسده فزعاً:

- لا.. شبابي أضيعه عليها.. لا وألف لا.

- ألم تقل إنها بآخر مرضها وستموت؟ تزوجها أيها الغبي وخذ أموالها بدلاً من تضييع عمرك في مطاردة مسنات غيرها وبعدها خذ أيّاً من الشابات اللاتي ترضيك.

ازداد عبوس حاتم فيما التفت نادر لتميم وفتح شفتيه وأطبقهما وصمت برهة ولم يلبث أن تحدث:

- ابقَ أنت كما أنت.

ابتسم تميم لعبارته التي اعتبرها كمدح فيما نظر نادر لرأس حاتم الذي لا يزال الضماد يلتف حوله وذراع زيد المرفوعة وكأنها مكسورة وقال:

- تقمصكما لدور مراجعين كان جيداً أمام الطبيب سالم، هو حتى صدق كل كلمة قلتماها كشهود على حادثة هرب فارس من المستشفى.. كما أن تغطيتكما لسيارة الإسعاف لتشابه سيارة المستشفى العام كانت مذهلة.

ضحك الاثنان بحرج وأزالا تلك الضمادات الكاذبة، وبحق



Scanned with CamScanner

هما لم يبعداها إلا لأنهما بحاجة لمثل هذا الإطراء منه وقد منحهما إياه ولكن بطريقة « هذا ما انتظرتماه فخذاه إذاً. »

ارتفع رنين هاتف نادر فجأة ليأخذه وينظر لاسم أحمد المدون عليه وفتحه..

- أيها الأحمق أين أنت؟!.. لمَ لا ترد على اتصالاتي؟!.. هل أنت بخير؟.. هل استطعت اتباع الخطة وتخليص نفسك دون أن يشكوا بك؟!.. أنت لم..

تحرك نادر مبتعداً عنهم ليلوي حاتم شفتيه متمتماً بحدة:

- إنه صديقه الغبي ذاك.. بل ويصرخ في وجهه..

غابت عن نادر بقية محادثتهم وهو يسمع أحمد يواصل حديثه الغاضب:

- لقد تأخرت كثيراً.. والفتى.. الفتى..

- ما به فارس؟!.. هل هو بخير؟

- إنه بخير.. وقد وضعته بالحجرة وأغلقتُ عليه الباب وقد ظل لثلاث ساعات صامتاً كما وعدك قبل أن أسمعه يطرق الباب منادياً لك وسائلاً عنك.. وقبل قليل بدا صوته عصبيّاً وهو يسأل إن كان أصابك سوء فهو خائف..

- أنا قادم.

ألقاها نادر وأغلق هاتفه ببرود قبل أن يقفز لسيارته وابتسم



Scanned with CamScanner

وهو يراهم يلوحون له بأيديهم مودعين ولوح لهم بدوره وكأن هذا لقاؤه الأخير بهم.

كان يفصله عن مكان فارس عشرُ دقائق بالسيارة فتوقف أمام خدمة قهوة بالطريق ليطلب لنفسه قهوة ساخنة بعد هذه الليلة العصيبة..

ولم يلبث أن غالب نفسه ليقول ساخطاً:

- وقهوة مثلجة تعلوها الكريمة والشوكولا.

وصمت.. فقد طلب فارس منه مرةً تذوق القهوة ولكن المثلجة أفضل لفتيان بعمره..

لم هو يفعل ذلك؟!.. لم هو يطيعه؟!.. لم هو أنقذه أصلاً؟!

هو حتى خسر وظيفته ومستقبله بسببه!!

هل سيجد يوماً إجابة لكل تساؤلاته المستفهمة؟!

***



Scanned with CamScanner

# الفصل الخامس عشر

(خربشات.. خربشات.. خربشات..

توقفت كفه الصغيرة عن رسمها وعبس بوجهه الجميل وهو يبعد الكراس بعد أن كان مستلقِياً فوقه..

اعتدل جالساً وتطلع للباب وذاكرته تُلقي له كلمات مايا المهددة

« لا تخرج.. ابقَ هنا وارسم حتى أعود. »

امتدت شفتاه وبدت عيناه منذرتين ببكاء شديد فقد مرت ساعة كاملة مُنذُ تركها له بالحجرة..

جذبه من خضم مللِه ومصارعته لرغبته بالخروج أصوات عالية ومتداخلة من صالة المنزل، فوقف وبفضول طفولي غادر الحجرة إلى حيث تلك الأصوات..

« جدي؟!.. »

ترددت تلك الصرخة العصبية المستهجنة بصوت مايا ذات الأربعة عشر ربيعاً ووجهها المحمر حنقاً يواجه مسناً تعدت سنواته الستين وكفه تشتد على مقبض عصاه الذهبي ذي رسم الطائر فيما راح أسفل عصاه الأسود يدك أرضية الصالة إثر اقترابه منها وشفتاه تنطقان بلطف:



Scanned with CamScanner

« أنتِ ابنتي.. ابنتي أنا.. توقفي عن عنادك ولتعيشي معي بالمنزل وسأوفر لكِ كل ما تحتاجينه وترغبين به.. فأنا جدك وولي أمرك بعد وفاة والدك. »

ارتفعت كفاها لتشتدا على خصرها ونظراتها المتحدية تصدم لطفه الكبير وتحطمه:

« ما زلت تكرر كونك جدي؟!.. تبّـاً.. أنت لست إلا نكرة.. ولتخرج من منزلنا.. ثم من قال لك إنني بحاجة لمالك؟!.. أُفضل الموت جوعاً والعيش مشردة على أخذ قرش منك حرمت والدي منه. »

احمر وجه ذلك العجوز وترقرقت عيناه بالدموع لذكرى ولده الراحل مُنذُ سنين واقترب منها قائلاً برفق:

« أخطأتُ بحقه.. ولكن لا تعيشي مع رجل غريب لأنكِ فقط غاضبة لأنني لم أمنحكما المال الذي يجعلكما تعيشان الرفاهية.. »

صرخت مقاطعة له باستهجان:

- ما زلتَ تهذي بالمال!!.. هل هذا كُلُّ ما يُهمك؟!.. أنا غاضبة لأنك قتلت والدي أيها العجوز.. وإن بقيتُ معك بمنزل واحد لا أظنك ستعيش لليوم الذي يليه.

اتسعت عينا المسن فزعاً فيما أشارت للرجل الواقف بعيداً يرقبهما بصمت صارخة:



Scanned with CamScanner

- والرجل الغريب هو زوج أمي.. هو من اعتنى بنا في فترة سجن والدي وبعد قتلك لوالدي فلا تتحدث عنه وكأنه لاشيء.. بل أنت.. أنت لا شيء.

تراوحت تلك التعابير في وجه راكان ما بين السعادة والاستهجان.. السعادة لامتداحها له.. والتوتر والاستنكار لوقاحتها مع جدها، ولكنه ظل يقبع بالزواية لا يتدخل بين النارين المشتعلتين ومن الجيد أن زوجته فاتن في السوق وإلا لنشب صراع أعظم وأسوأ..

« عيشك مع والدك وسط لصوص مجرمين قد أفسدك، أنتِ بحاجة للتهذيب لتكوني سيدة مجتمع راقية كما يريد والدك. »

رد المسن وعيناه مسلطتان عليها بحدة لتحدجه بنظرات نارية قاتلة..

فهل تغضب لتقليله من احترام والدها واتهامه بأنه لم يُحسن تربيتها؟!..

أم لأنه الآن يُريد إعادة تربيتها لتكون سيدة!!.. بل والأغرب هو يتحدث كما لو كان يعرف ما يريده والدها!!

« حقّاً؟!.. كيف ستهذبني؟!.. كما هذبت ابنك الذي نبذته.. وسجنته.. وأبعدته عن عائلته.. هل تريد سجني أنا الأخرى والتسبب بقتلي كما تسببت بقتل ابنك أمجد؟!.. ابنك الذي ظل



Scanned with CamScanner

يتردد عليك خمس سنوات طالباً رضاك وصفحك إلا أنك لم تكترث له.. وهل تظنني نسيت كيف حملني إليك وأنا في الخامسة ليُريك أن لديه طفلة وأن عليها معرفة جدها ولكنك رفضت استقباله وطردته واصفاً نسله بالمشين؟!.. »

ارتخى جفنا المسن وأطبق شفتيه واعتصر قلبه الألم والندم وباقي كلماتها يغيب عنه، فلم يظن أن ضغينتها نحوه قد بلغت هذا الحد.. فيما تابعت مايا وهي تمنحه ظهرها مغادرة:

- إجرام والدي أنت سببه.. وموته أنت سببه.. أنت لا تنفع كأب ولم تكن أباً فلا تمارس دور الجد علي.. وأفضل أن يفرق بيننا الموت على أن يظلل رأسينا سقف واحد.

كلمتها الأخيرة ألقتها وغادرت الصالة بخطوات غاضبة ليتبعها راكان هامساً لها بعدة كلمات مؤنبة..

فيما انهارت الدموع من عيني المسن حتى ارتفع نشيجه باكياً ولم تستطع قدماه حمله ليرمي بثقله على مقعد هزاز قريب..

طال بكاؤه وطال وملأت الدموع وجهه كما ملأته التجاعيد.. وشفتاه تُتمتمان بقلب مفطور ألماً

« بُني.. بُني أمجد.. كُنتَ صالحاً وقد أفسدتك.. فليغفر الله لي.. ولتغفر لي بني في قبرك. »

شهقاته علت وكفه المجعدة ترتفع لتمسح وجهه و..



Scanned with CamScanner

التقطت عيناه..

التقطتا من فرجة الباب صورة ذاك الطفل الصغير ذي السنواتِ الخمسِ والذي أطل برأسه من فرجة الباب لتهتز خصلاته السوداء الطويلة أمام عينيه مانعة عنه الرؤية فرفع كفه ليُبعدها واختل توازنه فسقط على الأرض..

رنخت ملامح المسن وهو ينظر للصغير الذي دلك أنفه ألماً قبل أن يقف ودون تردد تحرك نحو المسن ليقف قبالته مبادلاً إياه النظرات بابتسامة جميلة عذبة..

وظل صمتهما ثوانيَ قبل أن يكسره الصغير وهو يقترب منه ليمد كفه لامساً مقبض العصا على هيئة الطائر بانبهار وقد أعجبه..

منحه المسن عصاه فعلت ضحكاته الطفولية وهو يتلمسه ويحركه يمنةً ويسرة فيما ابتسم المسن سائلاً:

- ما اسمك؟!

- فارث.

أجاب وهو يلتفت نحوه مانحاً له أجمل ابتساماته ولكن صدمته تلك الدموع التي انهارت غزيرةً من عيني المسن وبكاؤه العنيف وذراعه تمتد نحوه.. احمر وجه فارس وانتقل الحزن لقلبه فتحرك نحو المسن ليُمسك مسند المقعد وراح يحركه هازاً له في محاولة لتسلية العجوز..



Scanned with CamScanner

ولكن بدلاً من ذلك سحبه العجوز واحتضنه بقوة وهو يكرر:

- أسف.. أسف.. أسف بني.

ارتفعت كفاه الصغيرتان لتمسحا الدموع من وجهه وتلك هي المواساة الأولى التي يتلقاها مُنذُ وفاة ولده أمجد..

وبسبب وجه فارس الملاصق له تيقن من شكه فملامح وجهه شبيهة بولده أمجد.. بل واسم « فارس » الذي كان أمجد دائماً ما يُكرر أنه سيُسمي ولده الأول به زاد من تيقن المسن من أنه طفل أمجد.. أنه حفيده.. وأنهم قد أخفوا الأمر عليه..

فزاد من احتضانه..

« فارس. »

انتفض الاثنان على صوت مايا التي أسرعت تنتشل الطفل من حضن المسن وقد علا وجهها التوتر والقلق واعتصرته بين ذراعيها وكادت تسحقه على صدرها وكأنها تخشى أن يختطفه من أمامها..

بكى فارس تألماً من شدها عليه فيما مسح المسن وجهه قبل أن يغادر وهو يحمل سرهم في أعماقه و..)

عطسة اخترقت سكون المكان وانتشلت فارس من خضم ذكرياته ليحك أنفه بظهر كفه فيما مسحت كفه الأخرى على مسند المقعد الهزاز..



Scanned with CamScanner

ملأت الحيرة وجهه وإلى الآن لم يعلم لمَ بكى المسن ضامًا له بشدة؟!

وما سبب فزع أخته مايا وهي تنتشل جسده من بين ذراعيه لتضمه إليها وقد ملأ وجهها خوف هو الأول والأخير والذي لم ير له مثيلاً على وجهها بعد ذلك؟!

تنهد بانزعاج بعد تحرره من ذكراه ليعبس بشدة فقد مرت الساعاتُ الثلاثُ التي وعد نادر بالصبر فيها ولكنه لم يأتِ إلى الآن..

تأمل بصمت الحجرة التي يقطنها بعد خروجه من المستشفى كانت مختلفة تماماً عن حجرته بالمستشفى.. وعلى الرغم من جمالها إلا أنه يشعر الآن بالوحدةِ فيها دون نادر..

كما أن أحمد لم يُبادله الكلام بعد أن دفعه برفق إليها وأغلق الباب خلفه ليُبعد عندها فارس قناع العينين والسماعة ليجد نفسه وحيداً كالسابق تماماً..

تلك المشاعر السلبية أخذت منه دقائق فقط قبل أن يعود ليتعامل مع كل ما حوله وكأنه شيء جديد عليه بالرغم من أنه عاش مُنذُ تسعِ سنوات رفاهيةً فاقت جميع ما يراه..

ولم يكبح نفسه والسرور يعانق قلبه عن رمي جسده مجدداً فوق المقعد الهزاز وراح يؤرجحه بقدميه المتطاولتين وضحكة



Scanned with CamScanner

خفيفة تُفلت من بين شفتيه المزرقتين..

المزرقتين؟! لمَ؟!.. لأنه وقبل نصف ساعة قد فتح ستائر النافذة وفتح مزلاجها أوكسره بالأصح دون أن يقصد لتهب الرياح مرتطمة بجسده، وعيناه تحدقان بحماس بالخارج..

ولكن.. سرعان ما أصابته الخيبة..

تمنى أن يرى أشجاراً.. حدائق.. أُناساً.. أسواقاً..

ولكن كل ما رآه مساحة شاسعة على مد بصره لا يوجد بها طيف بشر واحد ولا حتى مبانٍ..

« لماذا اختار هذا المكان؟! »

عاد يكررها بخيبة وهو يتأرجح على المقعد قبل أن يقفز فجأة واقفاً وقد شده منظر المكعبات الزجاجية اللامعة التي ملأت الثريا المعلقة بالسقف أعلى سريره..

كانت تلتمع إثر أنوار حجرته القوية..

وافتر ثغر فارس عن ابتسامة متحمسة.. فآخر مرة رآها بقصره فوق سريره ورغم محاولاته وقفزاته لم يستطع لمسها لقصره وصغر سنه..

ثوانٍ وكان يعتلي السرير وبمدة واحدة من ذراعه استطاع لمسها.. هو قد كبر وكبر دون أن يشعر..

ضحك فرحاً ويده تشدها ليقربها من عينيه ليراها جيداً و...



Scanned with CamScanner

تساقط صف كامل من المكعبات الزجاجية مربوط بسلك خفيف ليرتطم ببطن السرير..

اتسعت عينا فارس ثوانيَ وهو يتخيل غضب نادر فانحنى نحوها ليُعيدها وبعد محاولات فاشلة داخله اليأس فتركها مخبأة أسفل غطائه..

وهل اكتفى بما عبث به؟!

لا.. فذلك اللوح الزجاجي كطاولة والذي استقام على عمود فاخر من الخشب بدا له غريباً.. وخلال نصف ساعة كان مفصولاً إلى جوار الأريكتين اللتين ارتمت وساداتهما في أرجاء الحجرة..

وتلك الزهرية العملاقة رسم عليها بعض الرسومات الأجمل فنقشها السخيف لم يعجبه وكان خطأهم هم أن وفروا له قلم التلوين كي يسجل الأرقام بالمفكرة الصغيرة المجاورة للهاتف والتي قد امتلأت بأكملها بخربشات مهمة وغير مهمة..

والهاتف فقط هو من أخذ من وقته الطويل..

وطوال استخدامه له كان يرفعه فقط فيتلقى صوت رجل غريب يسأله إن كان بحاجة لشيء فيداخله شيء من الخوف لصوته غير المألوف فيغلق في وجهه..

وانفرجت شفتا فارس لخاطر مفزع.. ألم يتماثل للشفاء؟!



Scanned with CamScanner

لماذا إذاً لا يتقبل صوت الرجل؟!

واستمر الأمر لساعة بأكملها محاولاً التيقن من شكوكه فيرفعه ليسمع صوت الرجل فيبادر لا شعوريّاً بإغلاقه..

قبل أن يُفصل الخط عنه..

ولم يسمع بسبب باب حجرته المغلق جيداً والعازل للصوت تلك الأصوات المتجادلة لأحمد وموظف الاستقبال الذي أخبره أن خدمة الهاتف لن تكون ضمن خدماتهم وأن عليه أن يؤدب أطفاله..

ومع اختفاء الخط من الهاتف انتبه فارس للساعة المحيطة بذراعه الأيمن وقد كانت ساعة ضخمة فهي ساعة نادر التي منحها له قبل تنفيذهم لخطة الهروب..

وقد تجاوز الوقت الآن أربعَ ساعات وأكثر فانعقد حاجباه وبدأ يداخله القلق ولكن..

هو لم يستكشف بعد دورة المياه..

و اتجه نحوها..

وتنقلت تلك المستحضرات الصابونية بين كفيه واشتم رائحتها الجميلة وانسكب بعضها على الأرضية و..

انتبه لمجفف الشعر الملاصق للحائط..

اتسعت عيناه عن آخرهما فهو يشابه ما كانت تستخدمه مايا..



Scanned with CamScanner

بل وكانت الخادمة في بعض الأحيان تجفف شعره به..

توسعت شفتاه بابتسامة جامحة وفتح الصنبور ليبلل خصلات من شعره إن لم يكن كُله وراح يرتب خصلاته ويجففها بالمجفف للأعلى بطريقة تشابه تسريح نادر لشعره..

علت ضحكاته وهو يحدق بنفسه في المرآة وانتبه أخيراً..

(رؤيته لم تكن مشوشة أبداً..)

إذاً فشكه كان خاطئاً بأنه لم يتعافَ من المتلازمة..

كما أن وجهه ممتلئ بعض الشيء مقارنة بآخر مرة رأى نفسه فيها بالمرآة والتي تصادف ضرب المجرم الأخير له وانفراده به..

بياض وجهه مشرق وعيناه لم تعودا باهتتين وقد صفا بياضهما بشكل جميل وتوسطهما بؤبؤان أزرقان أشبه بالبحر..

شعره الأسود الكثيف ازداد كثافةً وطولاً ووصل لمنتصف رقبته..

خامر قلبه شعور رائع من السعادة وقليل من الخوف..

الخوف لأنه وبعد تلك المرة السعيدة سرعان ما تحطمت سعادته حين اقتحم المجرم عليه خلوته وأذاقه ألوانًا من العذاب والضرب وأجبره على أن ينظر لجثة أخته والدماء..

ذلك البحر المتوسط لحدقتيه راح يهتز منذراً بسيل من الدموع..



Scanned with CamScanner

ترك المجفف.. ودورة المياه.. وكل ما أثار حماسه وفضوله في الحجرة من أثاث..

ليطرق الباب..

« نادر. »

« أين نادر؟! »

« أريد نادر »

« أريده الآن. »

نعم لن يثق بأنه سيكون بخير في هذا المكان إلا بوجوده معه..

هو يخاف من أن يقتحم المجرم خلوته هذه..

ولا يريد لهذه السعادة أن ترحل كالسابق حين حاول مناداة نادر لينقذه ولكن لم يكن يعرف وقتها اسمه..

حاول تمالك نفسه وهو يطرق الباب بأدب كي لا يُغضب أحمد ولكن الوقت طال وتجاوز خمس ساعات فأضحت طرقاته عصبيةً أكثر وهو ينادي نادر فقد أصبح قلقه الآن اثنين..

من أجل نفسه خوفاً من المجرم..

ومن أجل نادر لتأخره.. فهل هو بخير؟!..

ولكن أحمد لم يجبه..

فنادر قد حذره مسبقاً من الحديث معه فهو لم يختبر بعد ردة



Scanned with CamScanner

فعله إذا ما التقى بشخص آخر وجهاً لوجه غير نادر..

ولكن فارس لم يفهم سبب تجاهله له، فعاد الحزن ليكسو ملامحه وهو ينظر لما حوله.. هل هو سجين مجدداً؟!

قرص البرد جسده فسحب قدميه ليرتمي على السرير وكل ما يخفف عنه خوفه وجود ساعة نادر حول ذراعه..

قليل من الخمول والتعب تسلل لجسده بعد كل ذلك المجهود الذي بذله بالعبث بما في الحجرة..

ولكن لم يلبث أن رفع كفيه ليغطي شفتيه بعد أن داهمه شعور مفاجئ بالغثيان لم يفهم له سبباً، بل وضاقت عيناه فجأة وكفه تنتقل بشبه صدمة لتشد على أسفل كتفه لإحساسه بوخز وألم بعضلاته.. وتدفقت مياه أنفه بغزارة..

هذه الأعراض هل هي متعلقة بمرضه؟!..

شحب وجهه جزعاً وتلك الآلام توهن عضلات جسده ولكن ألم قلبه كان أشد فنادر قد أخرجه بعد تعافيه.. فهل سيعيده للمستشفى إذا ما رأى هذه الأعراض الغريبة؟!

فزع عظيم غطى وجهه وتحامل على نفسه ليسحب جانب الغطاء وراح يمسح به أنفه وقطرات العرق من وجهه.. (سيخفي الأعراض على نادر وسيتحمل ألمها فهو يفضل الموت على العودة لذاك المستشفى.)



Scanned with CamScanner

صـــراع طويل قضـــاه مع تلك الأعراض التي تراوحت ما بين الشـدة والخفة قبل أن تُغمض عيناه دون أن يشـعر وغرق في النوم مجهداً منهكاً..

***

- ٦ والنصف صباحاً - ٢٢ سبتمبر -

طرقات خفيفة انتشـلت أحمد من عمق شـروده واضـطرابه ليسـرع نحو باب الصـالة الخارجي الملحق بالنزل الموجود على أطراف العاصمة.

فتحه بسـرعة ليتنهد براحة لرؤيته نادر بخير والذي دخل بكل برود وهدوء حاملاً حقيبته على كتفه وبعض الأكياس بكفه.

« هل لا يزال هائجاً؟! »

سـأل نادر وعيناه تجوبان الصـالة الصـغيرة التي التف على جدرانها أريكة طويلة زرقاء اختفى خلفها ممر صـغير مظلم ضـم بابين متقابلين..

خمن نادر أن أحدهما يضـم حجرة فارس فهو من حجزها إلكترونيّاً وبالتحديد خارج حدود العاصمة تحسباً لأي ظرف.

« هل مر الأمرُ بسلام؟!.. لم يشك بك أحدهم صحيح؟!.. ثم لماذا أغلقت الخط في وجهي دون أن تُجيب؟! »

سأل أحمد وقد بدا قلقاً للغاية ليجيبه نادر:



Scanned with CamScanner

- نعم.. نعم.. ولله الحمد.. ولوقت طويل لن تساورهم الشكوك حولي.

عبارته الأخيرة جعلت وجه أحمد يشحب فإذاً قد ينتهي بهم المطاف للشك به، ولم يشعر بنفسه إلا وكفه تمتد لتقبض على طرف معطف نادر الأيمن صارخاً بعصبية:

- أنت.. أنت لم تخبرني بأن هناك مجرماً يطارد الفتى.. لقد ظننت الأمر أهون من ذلك.. ولولا إخباره لي عبر رسائل الهاتف الليلة الماضية لم أكن لأعلم.. نادر أن يطارده مجرم قد قتل أخته قبل تسع سنوات هذا فظيع.

دفع نادر كفه بعيداً عن معطفه وتمتم محنقاً:

- لماذا يصر الجميع على تجعيد معطفي؟!

وألقى نظرة ساخطة نحوه قبل أن ينزع المعطف ليعلقه على مشجب قريب ولكن وجه أحمد هو الآخر لا يُنذر بهدوء قريب..

فأجاب بملل:

- لأنك ستكون مزعجاً هكذا.. لهذا لم أخبرك.

انعقد حاجبا أحمد أكثر وأكثر وبدا الهم في وجهه قبل أن يتحرك ليجلس على الأريكة ناظراً للأسفل فهو للمرةِ الأولى يُقحم نفسه بمثل هذه المعضلة..

ارتكن نادر بكتفه على زاوية الممر وظل معلق النظر به ثوانيَ



Scanned with CamScanner

الغريب أثار حيرة نادر فامتدت يده لتسحب كفيه بعيداً عن وجهه ولم يكد يلامسهما حتى شعر ببللهما..

ارتفع حاجباه وعيناه تنتقلان للنظر لخصلاته السوداء التي ما زالت تتقاطر من أطرافها بعض المياه..

وزفر بتعب لتلك التسريحة والتي أدرك نادر منها أنه قد عبث بشعره بالمجفف وشكّل بعضه للأعلى متجاهلاً خصلاته الجانبية الأخرى المبتلة والتي جعلت أذنيه تزرقّان برودةً..

« ألا يمكنك أن تجلس هادئاً لدقائق دون حقنة مُهدئ؟! »

تذمر بتعب ثم سحب الغطاء الدافئ ليغطي به جسده بالكامل حتى رأسه..

« تبّاً.. »

همس غاضباً وعيناه تلتقطان المكعبات الزجاجية الساقطة إلى جوار السرير والطاولة المحطمة والزهرية المشوهة ومزلاج النافذة المكسور..

« ستدفع ثمنها جميعاً أنت. »

انتفض أحمد الواقف أمام الباب بسكون - خشية إفاقة فارس - وهمس معترضاً:

« وما شأني أنا؟!.. »

- لمَ لم توقفه؟



Scanned with CamScanner

- لأنك منعتني من الدخول عنده.

- ليس وهو يستنزف أموالي.

- لقد رأيته من ثقب الباب ولكن خشيت أن يكون عنيفاً نحوي.

- بل كُنتَ تستمتع وتحثه في نفسك لفعل الأسوأ بي.

- لا تختلق مبررات لسرقة أموالي بعد أن رميت مصروفي بعيداً.

- سحقاً.. لن أدفع قرشاً واحداً عن هذه الأضرار وبما أنك أول من قابله الموظف فلن يطالب أحد بالمال غيرك.

- أنت مبتز فظيع.. لم عدت؟!.. ليت ذلك المجرم قتلك.

تجاهل نادر شتائمه الغاضبة وهو يغلق النافذة بقوة وأسدل الستائر عليها كي لا يصاب فارس بالبرد..

وظل يصارع غضبه ثوانيَ قبل أن يحدق بالنائم متمتماً:

- من حسن الحظ أنه نام وإلا لكانت الخسائر أكبر.

قالها والتفت ليرى أحمد الذي انحنى في إذعان نحو الطاولة يصلحها في صمت وقد احتقن وجهه ثم انتقل للزهرية لينظفها في دورة المياه.. فهو بحق بحاجة لكل قرش من أجل دراسته وزواجه..

تنهد نادر باستياء قبل أن يركل بقدمه المكعبات الزجاجية



Scanned with CamScanner

أسفل السرير فالنزل يستحق نصيبه من الضرر لمقتنياتهم الرديئة.. كما أنه يصعب على أحمد إصلاحها..

« ألست غاضباً من أجل فقدك لوظيفتك؟! »

فاجأه سؤال أحمد فالتفت نحوه لتلتقط عيناه نظراته المتعاطفة والمشفقة وهو يفك عقد سلك الهاتف.. (لهذا إذاً استجاب وسيدفع بدلاً عنه قيمة الأضرار.. لأنه يظنه مفلساً ولم يعد لديه مصدر دخل جديد للمال..)

« لا. »

رد نادر بصدق ليرتفع حاجبا أحمد دهشةً فيما تابع نادر:

- لقد كُنتُ سأتركهم سابقاً.. هل نسيت؟

- ولكن الأمر يختلف الآن.. كانوا سيمنحونك وظيفة دائمة لو أكملت الأشهر الستة.

طيف من الحزن مر على وجه نادر وكأنه للتو انتبه لهذه الحقيقة التي نسيها أو تناساها وتذكر والديه وتفاخرهما به..

« لا تحزن سأساعدك في البحث عن وظيفة أخرى. »

أخرجته عبارة أحمد المواسية من شروده ليقول ببرود:

- وفر تعاطفك لنفسك.. فأنا لستُ نادماً.. ولستُ حزيناً على الوظيفة..

- حقّاً؟!



Scanned with CamScanner

- أنت مستغرب؟!

- بالتأكيد.

- وأنا أيضاً.

اتسعت عينا أحمد فيما هز نادر كتفيه كناية عن عدم تفهمه هو الآخر قبل أن يدير عينيه لينظر لفارس بابتسامة قائلاً:

- بل والأغرب أنا أشعر.. أشعر بالراحة و.. والـ.. والـ..

- والسعادة؟!

حدق مذهولاً بأحمد الذي أتمها بدلاً عنه قبل أن يُكمل:

- لقد أنقذته.. وفرجت كربته - بتوفيق الله - لهذا تشعر بالسعادة.. ولن يضيع الله أجرك.

ظل الصمت بينهما ثوانٍ وقد ظهر تغير طفيف بوجه نادر وما زالت عيناه معلقتين بالنائم هناك.. قبل أن يدفع فجأة أحمد للخارج بعد أن أنهى التنظيف هامساً بتحذير:

- مهما حدث.. لا تُصدر صوتاً فهو نائم.

- حدث؟!.. ما الذي سيحدث؟!

واصل نادر دفعه للخارج وترك الباب مفتوحاً ليهمس أحمد مستنكراً:

- نادر أغلقه.. ماذا لو رآني وثار وقد يمرض أكثر؟!!



Scanned with CamScanner

- كلا.. لن يُغلق عليه باب من الآن وصـاعداً إلا بيديه هو.. يكفيه سجن تسع سنوات.. وإذا ما ثار فسأتكفل أنا بأمره.

قالها بحزم وهما يسيران في الممر قبل أن يصلا للصالة.. ولم يكادا يبتعدان عن الحجرة حتى شـهق أحمد فزعـاً وهو يشـعر بكفي نادر المتسللتين لداخل سترته..

« ماذا تفعل؟!.. هل تريد سرقتي؟! »

صـرخ أحمد وهو يبعده ولكن نادر لم يتحرك وكفاه تنتقلان لجيوب بنطاله في جرأة..

و فهم أحمد فجأة عمَّ يبحث ليتجمد مكانه مسـتسـلماً لنادر الذي راح يعلو وجهه مزيج من الإحباط والغضـب وهو يخرج الجيوب الواحد تلو الآخر قبل أن يرفع عينيه لتصـدمه تلك الابتسامة المستفزة على وجه أحمد وهو يقول:

- هل ظننتني أحمق؟!.. تريد مسـح صـورتك من هاتفي.. أنا لسـتُ سـاذجـاً.. فهي موجودة في هاتفي الآخر وجهازي اللوحي وحاسوبي وسحابة التخزين الإلكترونية.. لذا لن تستفيد شيئاً من تحطيم هاتفي الذي أخفيته قبل قدومك.

احتقن وجه نادر واشتدت قبضته:

« إن لم تمسحها فسأحطم كل أجهزتك التي ذكرتها الآن. »

- وأقطع مصـدر ابتزازي لك؟!.. لا وألف لا.. ثم إنها المرةُ



Scanned with CamScanner

الأولى بحياتي التي أجد فيها ما أبتزك به.

- لا تختبر صبري ستندم إن وجدتُ أجهزتك.

- جدها أولاً ثم افعل ما تريد.

قالها أحمد متحدياً ليشتعل وجهه غضباً واتجه نحوه فأردف مسرعاً:

- احذر فالصورة ما زالت معي.. وإن لمستني فأنا أقسم أنه لو بقي فيّ نفس واحد فسأرسلها لهاتف أمي.

تجمد نادر بموقعه فالأسوأ من إرسالها لوالديه هو إرسالها لسعاد والدة أحمد التي ستهرع لوالديه لتخبرهما بأن ولدهما نادر مات ولديها الدليل وفي ثوانٍ تُدمر صحتهما كما نقلت لهما قبل سنين طويلة خبر موت ولدهما الأكبر نادر..

« نا١١١در. »

التفت الاثنان معاً لمصدر الصرخة المبتهجة ليريا فارس يقف جوار الباب المفتوح وقد اعتلت شفتيه ابتسامة كبيرة لسماعه صوت نادر العالي ومن ثم رؤيته الآن.

« لقد أتيت. »

صرخ بها وتلك الابتسامة المتحمسة تتسع منذرة نادر باندفاعة مجنونة نحوه..

« هل.. هل تراه؟! »



Scanned with CamScanner

توقف فارس في خطواته لسـؤال نادر المفاجئ والتفت لينظر لأحمد الذي كان جسد نادر يحجبه من قبل..

ضاقت عينا فارس قليلاً حين رآه فهو تواصله الثاني مع شخص وجهـاً لوجه بعـد سـنين وبعـد تقبله التـدريجي لنـادر، تراجع خطوتين للخلف وقد شحب وجهه مما جعل نادر يسأله بقلق:

- فارس.. هل أنت بخير؟!.. هل تتصوره ذلك المجرم؟!

عـادت زرقـاوتي فـارس المرتجفتـان خوفـاً لتجوبـا عينيْ نـادر المتلهفتين للإجابة وظل صـامتاً يصـارع نفسـه ثوانِيَ.. فإن لاحظ تلك الأعراض فقد يعيده للمستشفى فابتسم قائلاً:

- لا.. هو أحمد وقد عرفته.

علت شـفتي نادر ابتسـامة مرتاحة أراحت فارس والذي عادت له بهجته فاندفع نحوه ليعانقه، فيما تراجع نادر للخلف فهو بحق ليس بحـاجة لعناق جديد فعضـلاته ما زالـت تؤلمه من عناق المجنونين السابقين..

ومع تراجعه وبحقد دفع أحمد من ظهره ليحل محله وتلتقطه ذراعا فارس الصارخ سعادةً:

- لقد كُنتُ قلقاً عليك.. لماذا تأخرت؟!..

طالت ثرثرته السـعيدة وبصـعوبة حفظ أحمد توازنه وعقله يشـتم نادر وفتح فارس عينيه ليجد نادر يقف في الخلف بكل برود وكفاه منشغلتان بإخراج حاسوبه من حقيبته..



Scanned with CamScanner

« أسف.. فهو وغد عديم المشاعر. »

ارتد فارس بجسده للخلف ناظراً بخوف لأحمد وابتلع ريقه وقبضتاه تشتدان و.. انتبه لنظرات نادر المتفحصة له فاستعاد هدوءه ليصرخ بشكل مبالغ فيه:

- أحمد.. لقد حفظتُ الجزأين اللذين وعدتك بحفظهما.

- أنت تمزح.

قالها أحمد ذاهلاً ليضحك فارس بارتباك وهتف متفاخراً وهو يشيح بنظراته بعيداً عنه:

- وقرأتُ الكتاب كاملاً أيضاً.

- إذاً فأنت ستحصل على جائزتين.

- حقّاً؟!

ارتفع حاجبا فارس وبدا سعيداً فيما تابع أحمد:

- أجل كما وعدتك.

- ولكن لا أحد يأخذ جائزة على حفظ كتاب الله فهو من سيعطيني الجائزة - هذا ما أخبرني به أبي - أما الكتاب فهو ما اتفقنا عليه.. أليس كذلك؟

تغيرت ملامح أحمد وحدق به غير مصدق وإن أعجبه ما قاله تماماً ليقول:

- أنت محق.. أسف لقد أخطأت.



Scanned with CamScanner

وامتدت يده نحوه ليسحبه للجلوس على الأريكة فقد بدا شاحباً ولكن فاجأه تحرك فارس بعيداً عنه وقد بدا مرتعباً ليجلس على الأريكة ملاصقاً لنادر الذي وضع حاسوبه على المنضدة.

« هل كان الأمرُ صعباً؟! »

نطق نادر وهو يرمقه بهدوء ليحرك رأسه بـ « لا » ومع صمت نادر الطويل المحدق به تابع:

- كان ممتعاً.. ممتعاً جداً.. كانت السيارة تهتز بقوة.. ونزلتُ على التربة وكان الهواء قويّاً وشممت رائحة المطر..

ثم عبس بوجهه « ولكنك تأخرت باللحاق بي.. وقد خشيتُ أن يؤذيني أو يؤذيك. »

- لا تخشَ شيئاً.. ذلك الوغد لن يقترب منك مجدداً.

قالها بعزم صادق وهو يبتسم له براحة فقد نجحت الخطة وها هو الآن يجلس جواره بخير دون أن يمسه أذىً..

ابتسم فارس بدوره وهو يراه يفتح مقطع فيديو على حاسوبه فيما جلس أحمد إلى جوارهما ليشاهد ما نادر بصدد عرضه.

وثوانٍ وكان ذلك المقطع المُكبر - والذي حُجب منه وجه فاضل - يُعرض أمام عيني فارس المتحمستين المستمتعتين بالجهاز الذي يرغب الآن بسحبه والعبث به و..



Scanned with CamScanner

اتسعت عيناه وارتجف جسده وضاقت أنفاسه لمرأى ياسر الذي دخل الحجرة لينضم للجميع..

أنزل فارس رأسه هلعاً..

لم يرد رؤيته..

وبان الفزع بكل ملامحه..

« نادر أوقفه. »

همس أحمد قلقاً وهو يرى الفوضى التي أحدثها المقطع في الفتى ولكن نادر لم يكترث رغم شعوره بارتجاف جسد فارس الملاصق له..

« لا تخف.. كل شيء على ما يرام.. إنها مجرد صورة.»

لمعت عينا فارس بدموع الخوف ورفع عينيه محركاً رأسه رافضاً المشاهدة..

« أكمله فقط وسترى. »

« لا. »

قالها ونهض محاولاً الهرب فهو منهك كفاية من مصارعته للأعراض، ورؤيته المجرم الآن زادت من ألمه واضطرابه..

ولكن نادر أمسك ذراعه مانعاً له وسحبه للجلوس مجدداً.

« أعلم أنك خائف.. ولكن يجب أن تواجه خوفك وتكسره. »



Scanned with CamScanner

اتسعت عينا أحمد عن آخرهما لفهمه سبب خوفه فذلك الرجل ياسر هو المجرم إذاً.

« لا أُريد. »

قالها وتلاحقت أنفاسه ذعراً وهو يحاول تخليص ذراعه من نادر ولكن نادر لم يُفلته..

« لا أُريد أرجووك. »

صاح بها وزاد اضطرابه وخوفه وعيناه تتجهان للأسفل..

« لن تُشفى إذا بقيت هكذا تجبن عن رؤيته. »

قالها نادر بحدة فاتسعت شفتا فارس مصدوماً ورفع عينيه لترتطما بعيني نادر الجادتين..

اهتزت الدموع بين أهدابه فرمش بها لتخط على وجنتيه فهو يريد الشفاء حقّاً.. وبتغير مفاجئ أطبق شفتيه وهز رأسه مستسلماً لنادر..

ذلك الضغط عليه لم يعجب أحمد إطلاقاً ومع ذلك اكتفى بالصمت فنادر أدرى بطبيعة مرض فارس وما قد يُعجل بتعافيه.

فيما لم يظهر على نادر أي تعاطف أو تأسف وهو يعيد تشغيله وعيناه ترمقان الملتصق به والذي عاد جسده للارتجاف وبسبب عيني نادر المركزتين عليه لم يجرؤ مجدداً على الإشاحة بهما بعيداً عن ياسر..

عاد لذاكرته ذلك الماضي المتمثل في ياسر..



Scanned with CamScanner

ضربه له لتسعِ سنوات..

تعذيبه بالصور وإيذاؤه الجسدي المستمر لموضع واحد من جسده..

قتله للَمى وعجزه عن إنقاذها و..

شهق وهو يرى نادر في صورة الفيديو أيضاً يجلس مجاوراً لياسر..

إذاً نادر يعرف المجرم!..

وارتخت ملامحه فجأة والدموع تعلق بعينيه المتنقلتين بصمت مصدوم بين الفيديو ووجه نادر المبتسم..

ذلك العراك والضرب أذهبا فزع فارس بالكامل بل وراح يقترب أكثر وأكثر من الشاشة ناظراً..

فيما اهتز جسد أحمد بفزع ووكز نادر بمرفقه كي يغلق ذاك المشهد العنيف.

« ألم ترحل بعد؟!.. لم نعد بحاجةٍ إليك.»

ألقى بها نادر ليعبس أحمد فيما سمعا ضحكة فارس المفاجئة ونادر في الفيديو ينهض عن جسد ياسر..

« أنت قوي بالفعل.. لقد تغلبت عليه. »

تمتم بها فارس بصدمة عند انتهاء المقطع ولم يصدق عينيه وهو يتابع بانفعال:



Scanned with CamScanner

- يُمكن ضربه.. هو حتى لم يستطع قتالك.

أومأ نادر برأسه موافقاً فيما لا يزال فارس غارقاً بذهوله قبل أن يسأله بلهفة:

- هل مات؟!

ابتسم نادر لمعالم الراحة والانشراح في وجهه وأجاب:

- لا.. ولكن عليك أن تتوقف عن الخوف منه.. فأنت أيضاً قد اقتصصت لنفسك منه وقد رأيت بنفسك ذراعه المصابة بسببك.

- ألم تخف منه أبداً؟!

سؤاله نمّ عن إعجاب وتعجب في آنٍ واحد

- لا..

- أنا كُنتُ خائفاً عندما ضربته.

- وأنا كُنتُ غاضباً فقط لأنه خدعني وآذاك.

- ذراعه التي مزقت جسد أختي لقد حطمتها بقوة.

صاح بها بفرحة وانبهار شديدين.

- هل تشعر بتحسن الآن؟!

سأله نادر وهو يُطبق الحاسوب ليبتسم فارس مجيباً بصدق وامتنان:



Scanned with CamScanner

- نعم.. نعم..

كررها كثيراً وهو يومئ برأسه وعادت الدموع لتعانق عينيه..

من أين خرج له هذا الطبيب الذي جعل حياته تُشرق أكثر وأكثر ؟!

افتر ثغره عن ابتسامة محبة كبيرة ورفع قبضته ليمسح وجهه قبل أن يلحظ جهازاً مستقرّاً أمام الأريكة..

« تلفاااااااااز »

صرخ سعادةً وهو ينهض نحوه ليتفحصه فيما شحب وجه أحمد خشية تعطيله له وتحميله تكلفة إصلاحه فأصابع فارس راحت تدق كل أزراره تتالياً..

قفز أحمد نحوه ومد له بالريموت: « يمكنك استخدام هذا.»

أدار فارس بصره نحوه وتأمله ثوانيَ ليهمس سعادةً وقد زال خوفه:

- أنت هو أحمد حقّاً.. الذي عالجت نادر.. واااو أنت طويل أيضاً ولكنك لست أطول من نادر.

- نعم.. نعم.. خذه وتوقف عن ضغط الأزرار بقوة فقد يسقط التلفاز.

قالها بتوتر فيما انعقد حاجبا نادر بصمت وهو يتأمل فارس مستغرباً عبارته قبل أن يراه يسحب الريموت بكل أريحية من



Scanned with CamScanner

أحمد وقفز ليتوسط الاثنين وراح يقلب القنوات..

سحب نادر كوب القهوة المثلجة التي أحضرها له وناوله إياه قائلاً:

- إنه بنكهة الشوكولا التي تحبها.

سحب فارس الكوب بسعادة وقربه لشفتيه ونادر يراقبه بصمت ولم يكد يتذوقه حتى ظهر امتعاض خفيف بوجهه ثم وضعه على المنضدة بصمت دون أن يُكمله..

« وأنا لمَ لم تحضر لي واحداً؟! »

بطرف شفتيه همس بها أحمد محنقاً ليهمس نادر بدوره:

- لستُ مسئولاً عنك..

- فقط امتناناً لي لأنني شهدتُ في المستشفى بوجود فارس فيه ثم ارتباطي به حتى عودتك الآن أيها الوغد.

- أنت من أشركت نفسك وقد كنت العضو غير المرغوب فيه بالخطة.. ثم يكفيك شرفاً أن ائتمنتك عليه من بين الجميع.

ارتخت ملامح أحمد وبدا غير مصدق فنادر يثق به إذاً..

« من هؤلاء؟! »

صرخ فارس مفزعاً الاثنين ليعقد نادر حاجبيه ويُحدق بالشاشة التي حملت صورة لإنمي قديم ما زال مستمرّاً بالعرض فقال مستنكراً:



Scanned with CamScanner

- هؤلاء.. إنهم طاقمه.

- ولكن حين كُنتُ أشـاهده كان هذا القائد ليس لديه طاقم سوى من خمسة أعضاء.

- أنت تمزح.

انقلب ذلك البرود في نادر لحماس وهو يكلمه وكأن ما يتحدثان عنه جدي بل و..

- ما هو آخر حدث شاهدته فيه؟!

- حين غلب الرجل الجشع.

- تبّاً.. لقد فاتك الكثير.. وذلك المجرم الذي تسبب بحبسك يستحق القتل لهذا فقط.

ثم رفع سبابته متحدثاً باندفاع:

- أبوه قُتل.. وانضم لفريقه اثنان آخران واختطفوا طباخ..

أسـهب في حديثه فيما حزن فارس لسـماعه موت والد القائد فيما ارتسـم الغباء بكل أشـكاله على وجه أحمد وهو ينظر لنادر المنسـجم معه فقبل قليل كان قاسياً للغاية بإجباره على مشاهدة ذلك المقطع والآن يشاركه اهتماماته..

والتفت نادر نحوه ليرى نظراته المسـتفزة السـاخرة ليتمعر وجهه..

« أنت طبيب بشري؟! »

صرخ فارس فجأة موجهاً حديثه لأحمد ليجيبه رغم استنكاره



Scanned with CamScanner

كلمته الأخيرة:

- نعم.

- هل هو صعب؟!.. ما هو تخصصك؟!.. أنا أُريد أن أُصبح طبيباً مثلك.

- لا.. الأمرُ يعتمد على مدى اجتهادك.

ظل فارس يتحدث معه فيما عاد نادر يراقبه بصمت قبل أن يستدير فارس بجسده كله نحو أحمد وانتبه نادر لظهر قميصه الغارق تماماً..

اشتدت ملامح نادر ونهض نحوه مقاطعاً للاثنين ليلمس أسفل عنق فارس من الخلف مفاجئاً له و.. امتلأت أصابع كفه بقطرات العرق المتقاطرة منه..

تفجر خوف فظيع في عيني فارس وهو يلتفت نحوه فيما دقق نادر النظر بأنفه السائلة مياهه وعينيه الواهنتين الذابلتين ثم ارتفع كف نادر ليضغط أسفل كتف فارس ليتقلص وجهه ألماً..

« أنت لست بخير؟! »

قالها نادر بقلق ليحرك فارس رأسه صارخاً بوجل:

- لا.. لا.. أنا بخير.

- توقف عن الكذب.

قالها غاضباً ويده تمتد نحوه ليوقفه فهو بحاجة للراحة



Scanned with CamScanner

وشـرب دوائه، ولكن وقبل أن يلمسـه كان قد نهض فارس وابتعد عنه حتى التصق ظهره بالحائط خلفه صارخاً باضطراب:

- أنا لا أكذب.. أنا بخير.

أشار نادر بحزم لأحمد بأن يخرج من الحجرة قائلاً بحدة:

- أنت حتى لم تتقبل وجوده وبقيت تتجنب النظر نحوه ولولا المقطع الذي رأيته لياسـر لم تكن لتثق أنه ليس المجرم بل وتغير تعاملك معه بالكامل.

أحمد نفسه لاحظ ذلك ولكن لم يعرف السبب إلا الآن.. فيما بـدا فـارس على وشـك البكـاء بانهيار وهو يرى خطوات نـادر المقتربة فصرخ:

- لا.. لا.. أنا بخير.. فقط لم أنم.

تحرك أحمد ليغادر ولكن ارتفعت فجأة كف فارس ليتشـبث بطرف سـترته مسـتغيثاً به من نادر الذي إذا ما قال أمراً يسـتحيل تغييره:

- أنا أراك.. أُقسـم أنا أراك جيداً الآن ولا أشـعر بسـوء.. لقد كنت خائفاً فقط أنني لو نظرت إليك قد أظنك المجرم.. أقسـم أني أثق الآن أنـك أحمـد ولا أفكر بشـيء آخر.. لا تـذهـب أرجوووك..

وانهار باكياً وهو يرفض إفلاته ولم يُبعده أحمد وإن نظر نظرة مستعطفة لنادر أن يتهاون معه..



Scanned with CamScanner

فزعه وبكاؤه المبالغ فيه وهروبه منه أقلقت نادر الذي لانت ملامحه فجأة واقترب منه ليقول:

- اهدأ.. اهدأ.. إنه مجرد دواء ستتناوله وستعود أفضل من السابق..

« لا.. لا.. لا أُريد العودة للمستشفى. »

صرخ بها باكيًا وانهار على ركبتيه كارهًا نفسه لأنه كُشف، وشفتاه تنطقان مزلزلتين الاثنين:

- أرجووووكما.. أرجووكما.. سأكون بخير ولكن لا تُعيداني إليه.. سأفعل أي شيء تريدانه.

خالج الحزن قلب أحمد فيما اقترب نادر منه ليربت على كتفيه قائلاً:

- إذاً هذا ما يقلقك.. هل أنت أحمق؟!.. هل تظن أنني أخرجتك منه لأُعيدك إليه مجدداً؟!

رفع فارس عينيه المستعطفتين الغارقتين نحوه ليقول نادر برفق:

- فقط ستأخذ دواءك اليوم هنا وليس في المستشفى.. فالأعراض الانسحابية للدواء من جسدك قد ظهرت وهي ما سببت ارتباكك وتزعزع أفكارك وإذا لم نجعل الدواء يخرج بالتدريج من جسدك فقد تنتكس.



Scanned with CamScanner

- إذاً لن تعيدني للمستشفى؟.

- أبداً..

قالها نادر صـــادقاً وتانك الزرقاوان ما زالتا تلفظان دموعهما خارجاً..

هذه الحياة الجديدة التي يعيشـها فارس الآن رآها نادر في عينيه المهتزتين الجزعتين واللتين نبأتاه بأنه غير مصدق لها وكأنه يعيش حلماً جميلاً لا يريد الإفاقة منه ويخشـى فقدانه.. حتى ولو على حساب استنجاده من نادر بأحمد رغم تعلقه المجنون به..

- هل تريد الالتقاء بأختك مايا؟!

جفت الدموع بعيني فارس وبدت اللهفة بعينيه المتسـعتين ولكن سرعان ما قال نادر:

- هـل تريـد أن تلتقي بهـا وأنـت مـا زلـت تعـاني مع أعراض المرض؟!.. ألا تريد أن يخف عنك قليلاً كي لا تشـعر بالسـوء نحوها؟.

كلماته المنطقية جعلت فارس يهدأ ويومئ برأسه بـ« نعم »

- إذاً حقيقة تعافيك البسـيط الآن قد تتلاشـى في أي لحظة.. وكما تعلم فإن مرضـك صـعب الشـفاء وقد تضـطر لاسـتخدام الدواء لأكثر من سـبع سـنوات وقد يكون مدى الحياة وذلك كله يعتمد على تجاوبك وسماعك للنصائح.



Scanned with CamScanner

- ولكن إن تناولته الآن فسأنام لثلاث عشرة ساعة.

وجال ببصره فيما حوله بإحباط فهو لم يشبع بعد من استكشاف ما حوله..

- وحين تُفيق سيكون لك يومان كاملان للعبث، ثم في هذه الليلة حين تُفيق سنرحل وسنمر بأماكن كثيرة ومنها السوق فقد تركنا ملابسك في المستشفى وأنت..

وصمت نادر محنقاً وهو يُحدق بملابس فارس المبتلة بعرقه.. هو بحاجة لاستبدالها بشكل عاجل..

والتفت لأحمد المتصلب والذي قال بانفعال:

- ماذا؟!.. ليس لدي سوى ما أرتديه.. ثم يكفي أيها الوغد الأضرار التي..

وصمت ليعلو عينيه خبث مفاجئ وهو يلتفت لفارس قائلاً بلطف:

- فارس تعال واختر لك من هذه الحقيبة ما يناسبك وفي الغد سيشتري لك نادر ملابس جديدة!

لم يكن قد أتم حديثه حين قفز فارس في طاعةٍ عمياء إلى حقيبة نادر فملابسه الراقية في الحقيقة تُعجبه وتروقه كثيراً..

فيما استشاط نادر غضباً وكان سيتجه إلى أحمد الذي فر هارباً ولكن عليه اللحاق بفارس قبل أن يعيث فساداً بملابسه



Scanned with CamScanner

النظيفة والمطوية بعناية..

***

- التاسعة مساءً -

مرت نصفُ ساعة فقط مُنذُ إفاقة فارس وقد تناول طعامه كاملاً برفقة نادر الذي شاركه النوم أيضاً في الحجرة خشية عبثه بأي شيء..

ولكن عيني نادر المحتقنتين لم تغادرا ذلك القميص الأصفر الذي غرق نصف فارس العلوي فيه وهو يدفع كُمَّيْه الفضفاضين للأعلى كي لا يتسخا بالطعام وراح يلف الشال جيداً حول عنقه أما البنطال فلولا حزامه المثبت له لم يكن ليسهل عليه ارتداؤه..

(لماذا يختار دوماً أكثر ما يعجبني؟!.. ويسلبه مني تتالياً!!) همست بها نفس نادر وهو يذكر (قناع العينين.. أمواله.. ووظيفته المسلوبة).. ولولا تلك الضجة المحرجة التي صنعها فارس للحصول على ملابسه هذه لم يكن ليعطيها له..

« أنا مستعد للخروج. »

قالها فارس بحماس بعد إنهائه لطعامه فوقف نادر وحمل الحقيبة فيما أسرع فارس ليحمل الأكياس مساعداً له وقد زينت شفتيه ابتسامة رائعة..

وخلال دقائق كانا ينزلان السلم ليبدأ فارس رحلته الخارجية الأولى..



Scanned with CamScanner

جابت عيناه ما حوله بفضول وهو يمشي ملاصقاً لنادر ويبدو أن فترة العلاج قد أثرت فيه كثيراً فلم يفزع من موظف الاستقبال ولا من الضيوف الجدد للنزل..

وتجاوزا المخرج ليُشرق وجه فارس وتتسع عيناه لمرأى السماء المظلمة التي زينتها النجوم..

وكاد يفضح نادر بصيحاته السعيدة وهو يرفع رأسه للأعلى محدقاً بها فهي المرةُ الأولى مُنذُ زمن طويل لا يكون سقفه غيرها..

وتوسعت شفتاه وهو يتلفت كالمجنون محدقاً بهذا وذاك وخطا عدة خطوات بعيداً عن نادر الذي علت شفتيه ابتسامة خفيفة..

« هل أنت جاد حقّاً برحيلك إلى قريتنا؟! »

انتفض نادر بفزع من صوت أحمد الذي وقف خلفه فجأة مصرحاً بقلق وأنفاس لاهثة:

- لقد أخبرتني ريم أنك اشتريت منزلكم القديم وقد نقلت والديك إليه بناءً على طلبك وأنك خلال يومين ستلحق بهما..

- لهذا عدت مسرعاً إلى هنا بعد هربك.

- نعم.. هل فقدت عقلك؟!.. منزلكم القديم إلى جوار الأسرة التي حاولتْ قتل ولدهم ولذا لن يتركوك بحالك.. كما أن



Scanned with CamScanner

فارس لن يكون بخير في وجودهم.

- لقد فسخت خطوبتك بريم فلمَ ما زلتما تثرثران معاً حولي؟!

- لا تُغير الموضوع.. لم يكن من ضمن خطتك أخذ الفتى وعودتك للقرية فلم غيرت رأيك فجأة؟!

صمت غلف وجه نادر واكتفى بمراقبة فارس الذي ميّز سيارة نادر من بين السيارات..

« نادر.. ما الذي تخفيه علي؟! »

« لا شأن لك. »

بكل جفاء نطقها نادر مفاجئاً أحمد واتجه بخطواته للسيارة.. وفتح حقيبتها الخلفية ليرمي داخلها بالأكياس وحقيبة ملابسه..

« نادر.. أليس ذلك الرجل في مقطع الفيديو رفيقك في مناوبتك؟! »

(لمَ يتغير الحديث فجأة؟!).. حدق به نادر مستغرباً ليتابع أحمد:

- لما يقرب ستة أشهر رافقته؟!.. لقد رأيتك تضربه بكل برود وكأن ليس بينكما صداقة أو عشرة لـ..

- هو ليس صديقي.. وهي أقل من ستة أشهر.. ثم لو مررت بما مررتُ به في السجن لم يكن ليعد ذلك شيئاً عندك.. فرفيق



Scanned with CamScanner

زنزانتي لسنة بأكملها الخائن لي أنا ورفاقي كُنتُ شريكاً في مؤامرة قتله بعد خيانته لذا فياسر ذاك لا شيء عنده ولهذا لم أشعر بأي ندم بل وما حدث لا يُعدُّ شيئاً هو مجرد محطة ومررتُ بها.

- ولهذا أنا قلق.. ماذا لو استفزك أولئك الأشخاص في القرية بعد أن تسببت بإعاقة ولدهم؟! هل ستستطيع التماسك؟!

- هذه مشكلتي ولا شأن لك.

قالها نادر غاضباً فهو أصبح مزعجاً بحق.

- ماذا لو سألوك عن الفتى بماذا ستجيبهم؟!

- إن كُنتَ قلقاً بهذا الشأن فقد زورتُ له هوية ونسبته إلى عمي المتوفى مُنذُ عشرِ سنوات والذي عاش هنا بالعاصمة.. ولذا لو سأل أحد عنه فسأخبره بأنه ابن عمي.

ما قاله أورث أحمد ارتياحاً ولكن كونه زور له هوية باسم عمه هذا يدل على أن نادر كان يخفي مسبقاً أنه عائد لقريته وبرفقته فارس.

- نادر ماذا تُخفي علي؟!

قالها مستعطفاً هذه المرة وقد تغير وجهه ليعقد نادر حاجبيه فقد بدا قلقه عليه واضحاً وصريحاً على عكس السابق.

- لا شيء حقّاً.. فحارس فاضل قال إنه لن يعلن عن فارس ليومين وهي فرصتي لتهريبه من العاصمة قبل الإبلاغ عنه وإن



Scanned with CamScanner

كُنتُ أظن أنهم لن يجرؤوا على فعلها.. كما أن غيابي عن والديّ قد أثر بهما قليلاً لذا أردتُ مرافقتهما.. وفارس بحاجة للعيش وسط أناس وأمي وأبي لن يستاءا منه كما وأنهما لن يضايقاه إلى حين ترتيب موعد للقائي بشقيقته..

- حقّاً؟!

- نعم.

قالها نادر وركز بصره فيه بأنه ليس مستعدّاً لسؤال آخر..

وتساقط رذاذ مفاجئ من المطر ليرفع الاثنان رؤوسهما للأعلى قبل أن يسمعا صياح فارس بسعادة وهو يخرج من السيارة ليمد ذراعيه ويدور حول نفسه والرذاذ يرتطم بجسده..

علت شفتي نادر ابتسامة مبتسرة وهو يتحرك نحوه ليمسك ذراعه ثم فك طيّات كمه الملاصق لمرفقه لتغطي ذراعه كاملاً قائلاً:

- توقف عن التصرف كالجانحين.. والبردُ شديد.

لم يمنعه فارس وهو يُرخي الأخرى له قبل أن ينتبه نادر فجأة لداخل سيارته الفوضوي ودرجه المفتوح وقد تناثرت منه الأوراق و.. ضربة تلقاها فارس على رأسه ونادر يصرخ:

- لم لا تكف عن العبث بأغراضي؟!..

« هل سينسجمان حقّاً؟! »



Scanned with CamScanner

تمتم بها أحمد قلقاً ولكن فارس لم يغضب من نادر بل راح يضحك وهو يفتح باب السيارة ويقذف بنفسه داخلها ليرتب تلك الفوضى وبحق هو الشخص الأول الذي استطاع اقتحام خصوصية نادر ومشاركته أغراضه وملابسه بل ونادر قدّمه على نفسه وفقد وظيفته بسببه!..

وقف نادر إلى جوار باب السائق وتردد ثوانيَ قبل أن ينظر لأحمد قائلاً:

- انتبه لنفسك جيداً ولقد أرسلتُ مقطع الفيديو لهاتفك ليكون وسيلة ضغط عليهم إذا ما اهتدوا إليك فهددهم فقط بنشره وإن كُنتُ أظن أنهم لن يكترثوا لك.. وخلال شهر سأعود إن شاء الله للعاصمة.

- لا تقلق.. لم يبقَ سوى القليل على إنهاء تطبيقي العملي.

- من هو القلق عليك؟!

قالها بحدة وهو يقذف بجسده خلف المقود فيما تمتم أحمد بأشد حالاته قلقاً:

- كُن بخير.. كُن بخير أرجوك.

لم يكن قد أنهى عبارته حين ارتفع رنين هاتفه ليلتقطه وقد كانت ريم المتصلة.. فأجاب سريعاً ليتلقى صوتها العصبي:

- هل منعته من العودة للقرية؟!



Scanned with CamScanner

- هل أنتِ غبية!! ومُنذُ متى كان نادر يسمع رأي أحد؟!

- لقد علمتُ ما يخفيه؟!

- حقّاً؟!

- نعم.. والده يحتضر ولن يُكمل شهراً واحداً.

- يا إلهي!

- نعم.. لهذا اشترى منزل والديه ليحقق أُمنية والده قبل وفاته متجاهلاً تلك الأسرة الحاقدة عليه.. ولقد أخبرني طبيب والده أنه اتصل بنادر قبل أسبوع وأخبره بذلك.

اشتدت ملامح أحمد وتضاعف قلقه وقال:

- لن تصدقي!!.. وجهه لا يظهر تعبير ولو طفيف عما يعانيه.. إنه يُخفي كل شيء في أعماقه ويقاسيه وحده كعادته سابقاً ولكني متيقن أنه لن يحتمل كثيراً فحبه لوالديه يفوق حبه لكل شيء آخر وهو بحاجة لمن يقف إلى جواره.

- إذاً تعال للقرية.

- هل أنتِ ساذجة؟! هل نسيتِ والدينا؟!.. بالكاد فسخنا خطوبتنا التي لا معنى لها ولكنهم لن يتركونا بحالنا.. كما أن لدي تطبيقاً عمليّاً ودراسة وقد لا أتفرغ إلا بعد ثلاثة أسابيع.

- إذاً سأقف إلى جواره بنفسي.

- سحقاً.. دعيه وشأنه.. وكأنه لا يعلم أنكِ تحبينه ستكونين



Scanned with CamScanner

ضغطاً أسوأ عليه.

- وغد حقير.. بدلاً من الربط بيننا أطعت والديك جبناً وجئت لخطبتي.

- وكأن ما فعلناه أضاع عليك فرصة زواجك به.. توقفي فقط عن التغنج والدلال أمامه فهذا أكثر ما يكرهه.. ومن الجيد أنه لا يزال يعاملك جيداً من أجل عنايتك بوالديه أثناء سجنه.

- لهذا أكرهك.

أغلقت الخط في وجهه ليعبس وبحق كلاهما سعيدان لفسخ الخطوبة وأدار أحمد بصره لسيارة نادر المتحركة..

وقد عاوده القلق فنادر بحاجة ماسة لمن يعتني به الآن.. بل والأشد حال وفاة والده هو بحاجة لمن يساعده على تفريغ بعض ألمه وحزنه بدل كتمانه داخله.. ولكن من قد يكون ذلك الشخص؟!

وفي داخل السيارة ارتفع صوت ارتطام معدنيْ حزام الأمان بعضهما ببعض وفارس يحاول ربطه قبل أن يسحبه نادر منه ويربطه جيداً وفارس محدق به بحنق فالمرة القادمة هو من سيربطه لنفسه..

« أنت مشاكس فظيع. »

قالها نادر غاضباً والمسند الفاصل بينهما قد فُتح درجه



Scanned with CamScanner

و تناثرت سجائر نادر القديمة منه..

- هل هو أحمد؟!..

حرك نادر السيارة سائلاً: « ماذا تعني؟! »

- الـذي يـدخن؟!.. فلقـد رميـتُ بكـل العلـب الممتلئة في الخارج.

شـحب وجه نادر وأوقف السـيارة لينظر للدرج الآخر والذي كان خاليـاً تماماً..

استحالت عيناه حمماً فيما ضحك فارس مكملاً:

- كُنتُ أعلم أنه ليس أنت.. لا تغضب منه.

تكومت قبضـته وتفجر غضـب عنيف في وجهه ولكن تلك الابتسـامة البريئة وهو يخرج ذراعه من النافذة لتتلقى رذاذ المطر ويسأل في الوقت ذاته:

- ماذا ستشتري لي من السوق؟!.. أريد قميصاً عليه رسم ذاك الإنمي.. وأريد حذاء رياضـيّاً فحذاؤك واااااسـع للغاية وأريد هاتفاً لي جديداً و..

وراح يثرثر ويطلب منه وكأنه مسـئولٌ عنه بل وكأنه يطلب من والده ليزفر نادر بحنق ويحرك السيارة متنازلاً عن سجائره المرمية بالخارج قبل أن يهزه صوت فارس الصارخ:

- هناك كشـك قهوة.. أُريدُ قهوة مثلجة بالشـوكولا فالتي



Scanned with CamScanner

بالبارحة لم أستطع شربها.

- حسناً.

قالها نادر تلقائيّاً وهو ينظر له مستغرباً ففارس لم يسأله إلى أين هو راحل به؟!

لم يناقشه؟!

ولم يظهر أي اعتراض؟!

ثقته العمياء به تُدهشه ووجد نفسه يسأله:

- هل سافرت سابقاً في السيارة؟!

عاد فارس بنظره نحوه ليجيب متحمساً:

- لا.. كُنتُ في قصر والديّ فقط أخرج للبحيرة القريبة أو مدينة الألعاب والمدرسة حتى الطائرة لم أركبها.

ثم استرخى في مقعده أكثر ناظراً لنادر الذي قال بتعب:

- أشعر وكأن لهم سبباً مقنعاً لعدم فعلهم ذاك.

اكتفى فارس بابتسامة نقية لطيفة دون أن يفهم مقصده..

فبحق إضافةً لمرضه الصعب هو مشاكس وفوضوي ونادر الآن مضطر ليكون رفيقه وحده وطبيبه أيضاً لما يقرب الشهر فهل سيكون قادراً على احتماله مع كل ما ينتظره في قريته؟!..

« خذ. »

انتبه نادر من شروده على صوت فارس وهو يمدُّ له بكيس



Scanned with CamScanner

ممتلئ ببذور دوار الشمس فارتخت ملامحه وتناوله منه ليبدأ بقضمها فهو يحبها وستساعده في قطع الطريق و..

لكن..

«من أين حصلت عليها؟!»

هتف نادر فجأة مستغرباً مستنكراً ليبتسم فارس وهو يقضم واحدة بتلذذ قائلاً:

- لقد طلبتها من طفل في سيارة مجاورة لنا قبل قدومك.

شحب وجه نادر وظل يغالب حرجه من تصرفه ثوانِيَ قبل أن يمر بكشك القهوة متجاوزاً له وهو يقول بحدة:

- لا تطلب شيئاً من أشخاص آخرين حتى ولو أطفالاً.. ولن تحصل على القهوة الليلة.

بدا الانزعاج على فارس فيما تمتم نادر بحنق:

- ليس وكأني بخيل معك لتطلب من الآخرين.

وعاد يقضم البذور وسط ثرثرة فارس - الحزينة والمعتذرة - وقد علت شفتيه ابتسامة فهو بحق لا يكف عن إشغاله عمّا يضايقه ومفاجأته بتصرفاته الجنونية الطفولية والغريبة.

***



Scanned with CamScanner

# مُتلازمة فريجولي

هل التقيت بمن سيقلب
عالمك رأساً على عقب ؟!..
عذراً..
عقباً على رأس؟!

.

مهلاً
أي منهما؟!

.

.

حسناً..لم لا تقرر أنت ؟!.. فلقاء الاثنين
أصبح وشيكاً..
ولتشهد مع الجمهور طقوس اللقاء
الأولى بين ( نادر وفارس).

منال معشي

@mnowolita.m
@Mnowolita_M

9 786038 403815

adabarabic7
services_book
servicesbook1
www.adab-book.com

Scanned with CamScanner